

الجزء الثاني

(من كتاب)

# الدليل الصادق

على وجود الخالق وبطلان مذهب الفلاسفة

ومنكري الحوارق



الفقير الى ربه القدير عبد العزيز بن عبد الرحمن . ج . ب . الله

(حقوق الطبع محفوظة للمؤلف)

(طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر القاهرة سنة ١٣١٧ هجرية)

فهرست الجزء اثناني من كتاب الدليل الصادق على وجود الخالق ❦

صحيفة

- ٤٣ المبحث الثالث في النظر في الحيوان وفيه مطلبان
- ٤٣ المطلب الاول في كيفية النظر في الحيوان وما في اختلاف أحواله من الآيات الدالة على صانعه بالقدرة والاختيار
- ٥٨ المطلب الثاني في كيفية التفكير في الحيوان على مقتضى ما تدل عليه الآيات القرآنية
- ٩١ المبحث الرابع في النظر في النبات وفيه مطلبان
- ٩١ المطلب الاول في كيفية النظر في انبات وما في تكوينه من الآيات الدالة على صانعه بالقدرة والاختيار
- ١٠٨ المطلب الثاني في كيفية التفكير في النبات على مقتضى ما تدل عليه الآيات القرآنية
- ١٣٩ المبحث الخامس في النظر في الافلاك والكواكب وما يتبع ذلك \* وفيه أربعة مطالب
- ١٣٩ المطلب الاول في كيفية ترتيب الافلاك والكواكب وصورها وحركاتها
- ١٦٠ المطلب الثاني في كيفية النظر في الافلاك والكواكب للاستدلال على مبدعها بالقدرة والاختيار
- ١٧٦ المطلب الثالث في كيفية التفكير في خلق السموات والكواكب على مقتضى ما تدل عليه الآيات القرآنية
- ٢٤٣ المطلب الرابع في كيفية النظر والتفكير في الليل والنهار للاستدلال على الصانع المختار الحكيم
- ٢٥٩ المبحث السادس في النظر في الرياح وفيه مطلبان

٢٥٩ المطلب الاول في كيفية النظر في الرياح للاستدلال على الصانع المختار

الحكيم

٢٦٦ المطلب الثاني في كيفية التفكير في الرياح علي مقتضي ما تدل عليه الآيات

القرآنية

٢٧١ المبحث السابع في النظر في السحاب والمطر وما يتبع ذاك \* وفيه مطلبان

٢٧٢ المطلب الاول في كيفية النظر في السحاب والمطر وما يتبع ذلك من

الرعد والبرق والصواعق

٢٧٨ المطلب الثاني في كيفية التفكير في السحاب والمطر والرعد والبرق

والصواعق علي مقتضي ما تدل عليه الآيات القرآنية

٢٩١ المبحث الثامن في النظر في الارض وما فيها من الجبال والانهار وما

يتبع ذلك \* وفيه مطلبان

٢٩١ المطلب الاول في كيفية النظر في الارض وما فيها من الجبال والانهار

وما يتبع ذلك

٣٠٨ المطلب الثاني في كيفية التفكير في الارض وما فيها من الجبال والبحار

علي مقتضي ما تدل عليه الآيات القرآنية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين \* وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
 أجمعين \* وبعد فقد قال الله تعالى في سورة بني اسرائيل ( ولقد كرمتنا بني  
 آدم ) قاطبة تكريماً شاملاً لهم وفاجرهم من حيث الاختصاص بالقوة العاقلة  
 المدركة لحقائق الاشياء كما هي وهي التي تجلي فيها نور معرفة الله تعالى ويشرق  
 فيها ضوء كبريانه وهو الذي يطلع على أسرار عالمي الخلق والأمر ويحيط بأقسام  
 مخلوقات الله من الارواح والاجسام كما هي وقد ذكر المفسرون في هذا التكريم  
 وجوها . أحدها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو أن كل حيوان  
 يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد  
 له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي  
 يطأها القاذورات لا بيده \* وقيل ان الرشيد أحضرت عنده أطعمة فدعا بالملاعق  
 وعنده أبو يوسف فقال له جاء في التفسير عن جدك في قوله تعالى ولقد  
 كرمتنا بني آدم وجعلنا لهم أصابع يأكلون بها فرد الملاحق وأكل بأصابعه  
 . وثانيها ما قال الضحاك وهو النطق والتمييز وتحقيق الكلام أن من عرف  
 شيئاً فاما أن يعجز عن تعريف غيره كونه عارفاً بذلك الشيء أو يقدر على هذا  
 التعريف أما القسم الاول فهو حال جملة الحيوانات سوى الانسان فانه اذ حصل في

باطنها ألم أولدة فانها تعجز عن تعريف غيرها تلك الاحوال تعريفاً تاماً واقياً  
وأما القسم الثاني فهو الانسان فانه يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه ووقف عليه وأحاط  
به فكونه قادر على هذا النوع من التعريف هو المراد بكونه ناطقاً وهذا البيان ظهر  
ان الانسان الاخرس داخل في هذا الوصف لأنه وان عجز عن تعريف غيره ما في قلبه  
بطريق البيان فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة وبطريق الكتابة ولا يدخل فيه  
البيغا لانه وان قدر على تعريفات قليلة فلا قدرة له على تعريف جميع الاحوال على سبيل  
الكمال والتمام. وثالثها مقال عطاء وهو امتداد القامة وينبغي أن يشترط فيه شرط  
وهو طول القامة واعتدالها مع استكمال القوة العقلية والقوى الحسية والحركية.  
ورابعها حسن الصورة وان شئت فتأمل عضواً واحداً من أعضاء الانسان وهو  
العين فخلق الحدقة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض الاجفان ثم خلق فوق بياض  
الجفن سواد الحاجبين ثم خلق فرق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق بياض  
الجبهة سواد الشعر وليكن هذا المثال الواحداً ثم ذالك في هذا الباب. وخامسها  
مقال بعضهم من كرامات الآدمي أن آتاه الله الحط قال الامام نجر الدين وتحقيق  
الكلام في هذا الباب أن العلم الذي يقدر الانسان على استنباطه يكون قليلاً أما اذا  
استنبط الانسان علماً وأودعه في الكتاب وجاء الانسان الثاني واستعان بذلك  
الكتاب وضم اليه من عند نفسه أشياء أخرى ثم لا يزالون يتعاقبون ويضم كل متأخر  
مباحث كثيرة الى علم المتقدمين كثرت العلوم وقويت القضايل والمعارف  
وانتهت المباحث العقلية والمطالب الشرعية الى أقصى انغمايات واكل النهايات  
ومعلوم أن هذا الباب لا يتأتى إلا بواسطة الحط والكتابة ولهذا الفضيلة  
الكاملة قال تعالى (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)  
وسادسها أن أجسام هذا العالم اما بسائط واما مركبات أما البسائط فهي  
الأرض والماء والهواء والنار والانسان ينتفع بكل هذه الأربع أما الارض

فهي لنا كالأثم الحاضنة قال تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وقد سماها الله تعالى بأسماء بالنسبة اليها وهي الفراش والمهد والمهاد وأما الماء فانتفاعنا به في الشرب والزراعة والحراثة ظاهر وأيضاً سخر البحر لنا كل منه لحما طرياً ونستخرج منه حلية نلبسها وتري الفلك مواخر فيه وأما الهواء فهو مادة حياتنا ولولا هبوب الرياح لاستولي النتن على هذه المعمورة وأما النار فيها طبخ الأغذية والاشربة ونضجها وهي قائمة مقام الشمس والقمر في الليالي المظلمة وهي الدافعة لضرر البرد كما قال الشاعر

ومن برد في الشتاء فأكفة \* فان نار الشتاء فأكفته

وأما المركبات فهي اما الآثار العلوية واما المعادن والنبات واما الحيوان والانسان كالمستولي على هذه الاقسام والمتنفع بها والمستسخر اكل اقسامها فهذا العالم بأسره جار مجري قرية معمورة أو خان معد وجميع منافعها ومصالحها مصروية الى الانسان والانسان فيه كالرئيس والمخدوم والملك المطاع وسائر الحيوانات بالنسبة اليه كالعبيد وكل ذلك يدل على كونه مخصوصاً من عند الله بمزيد التكريم والتفضيل (وحملائم في البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وهذا أيضاً من مؤكدات التكريم المذكور أولاً لانه تعالى سخر هذه الدواب له حتى يركبها ويحمل عليها وينزو ويقاتل ويذب عن نفسه وكذلك تسخير الله تعالى المياه والسفن وغيرها ليركبها وينقل عليها ويتكسب بها مما يختص به ابن آدم كل ذلك مما يدل على أن الانسان في هذا العالم كالرئيس المتبوع والملك المطاع وكل ما سواه فهو رعيته وتبع له (ورزقناهم من الطيبات) المستلذات من الثمرات والاقوات وذلك لان الاغذية اما حيوانية واما نباتية وكلا القسمين انما يغتذى الانسان منه بألطف أنواعها وأشرف أقسامها بعد التنقية البامة والطبخ الكامل والنضج البالغ وذلك

مما لا يحصل الا للانسان ( وفضلناهم ) في العلوم والادراكات بما ركبنا  
 فيهم من القوي المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح ( على  
 كثير ممن خلقنا ) وهم من عدا الملائكة عليهم الصلاة والسلام ( تفضيلاً ) عظيماً  
 فحق عليهم أن يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل  
 العقائد الحقه وانما تشبه جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة  
 عارية عن الخطأ والحلل وليس فيه دلالة على أفضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان  
 المراد هنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطلحها  
 ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله  
 سبحانه وقد ذكر الامام نجر لدين في هذا التفضيل وجوهاً \* أولها أن  
 المخلوقات تنقسم الى أربعة أقسام. الى ما حصلت له القوة العقلية الحكيمة ولم  
 تحصل له القوة الشهوانية الطبيعية وهم الملائكة. والى ما يكون بالعكس وهم  
 البهائم. والى ما خلا عن القسمين وهو النبات والجماد. والى ما حصل النوعان فيه  
 وهو الانسان ولا شك أن الانسان لكونه مستجمعاً للقوة القدسية المحضنة وللقوى  
 الشهوانية البهيمية والغضبية والسبعية يكون أفضل من البهيمية ومن السبعية ولا  
 شك أيضاً أنه أفضل من الاجسام الخالية عن القوتين مثل النبات والمعادن  
 والجمادات واذ ثبت ذلك ظهر أن الله تعالى فضل الانسان على اكثر أقسام  
 المخلوقات \* والثاني أن أشرف الموجودات هو الله تعالى واذ كان كذلك فكل  
 موجود كان قربه من الله تعالى أتم وجب أن يكون أشرف لكن أقرب  
 موجودات هذا العالم من الله هو الانسان بسبب أن قلبه مستنير بمعرفة الله  
 تعالى ولسانه مشرف بذكر الله وجوارحه وأعضائه مكرمة بطاعة الله فوجب  
 الجزم بأن أشرف موجودات هذا العالم السفلى هو الانسان ولما ثبت أن  
 الانسان موجود ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته

ثبت أن كل ما حصل للانسان من المراتب العالية والصفات الشريفة فهي انما حصلت باحسان الله تعالى وانعامه . والفرق بين التكريم المذكور في أول الآية والتفضيل المذكور في غيرها أنه تعالى فضل الانسان على ساثر الحيوانات بأمر خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والحط والصورة الحسنة والقامة المديدة ثم انه تعالى عرضه بواسطة ذلك العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقّة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل \* وقال تعالى في سورة طه ( قال ) أي موسى عليه السلام ( ربنا الذي أعطى كل شيء ) من الاشياء ( خلقه ) الذي هو عليه متميزاً به عن غيره أي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع أو أعطى مخلوقاته كل شيء . تحتاج هي اليه وترتفق به ( ثم هدى ) أي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما أعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكاله اما اختياراً كما في الحيوانات أو اضطراراً كما في الجمادات والقوي النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدماً على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوي المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي . قال الامام نجر الدين والشروع في بيان عجائب حكمة الله تعالى في الخلق والهداية شروع في بحر لا ساحل له ولندكر . منه أمثلة قريبة الي الافهام . ( أحدها ) أن الطبيعي يتول الثقل هابط والخفيف صاعد وأشد الاشياء ثملاً الارض ثم الماء وأشدّها خفة النار ثم الهواء فلذلك وجب أن تكون النار أعلى العنصريات والارض أسفلها ثم أنه سبحانه قلب هذا الترتيب في خلقه الانسان فجعل أعلى الاشياء منه العظم والشعر وهما أيبس ما في البدن وهما بمنزلة الارض ثم جعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل تحته النفس الذي هو بمنزلة الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية التي في القلب التي هي بمنزلة النار فجعل مكان الارض من البدن الاعلى وجعل مكان النار من البدن



الاسفل ليرف أن ذلك بتدبير القادر الحكيم الرحيم لا باقتضاء العلة  
والطبيعة (وثانيها) أنك اذا نظرت الى عجائب النحل في تركيب البيوت  
المسدسة وعجائب أحوال النمل والبعوض في اهتدائها الى مصالح أنفسها العرفت  
أن ذلك لا يمكن الا بالهام مدبر عالم بجميع المعلومات (وثالثها) أنه تعالى  
هو الذي أنعم على الخلائق بما به قوامهم من الطعام والمشروب والملبوس  
والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها ويستخرجون الحديد من الجبال  
واللآلى من البحار ويركبون الادوية والدرياقات النافعة ويجمعون بين الاشياء  
المختلفة فيستخرجون لذات الاطعمة فثبت أنه سبحانه هو الذي خلق كل  
الاشياء ثم أعطاهم العقول التي بها يتوصلون الى كيفية الانتفاع بها وهذا غير  
مختص بالانسان بل عام في جميع الحيوانات فأعطي الانسان انسانية والحمار حمارة  
والبعير ناقة ثم هداه لها ليدوم التناسل وهدى الاولاد لثدي الامهات بل  
هذا غير مختص بالحيوانات بل هو حاصل في أعضائها فانه خلق اليد على  
تركيب خاص وأودع فيها قوة الاخذ وخلق الرجل على تركيب خاص وأودع  
فيها قوة المشي وكذا العين والاذن وجميع الاعضاء ثم ربط البعض ببعض  
على وجوه يحصل من ارتباطها مجموع واحد وهو الانسان وانما دلت هذه  
الاشياء على وجود الصانع سبحانه لأن اتصاف كل جسم من هذه الاجسام  
بتلك الصفة أعني التركيب والقوة والهداية اما أن يكون واجبا أو جائزا  
والاول باطل لانا نشاهد تلك الاجسام بعد الموت منفكة عن تلك التراكيب  
والقوى فدل على أن ذلك جائز والجائز لا بد له من مرجح وليس ذلك  
المرجح هو الانسان ولا أبواه لان فعل ذلك يستدعي قدرة عليه وعلما بما فيه  
من المصالح والمفاسد والامران نائيان عن الانسان لانه بعد كمال عقله يعجز  
عن تغيير شعرة واحدة وبعد البحث الشديد عن كتب التشريح لا يعرف من

منازع الاعضاء ومصالحها الا القدر القليل فلا بد أن يكون المتولى لتدبيرها وترتيبها موجوداً آخر وذلك الموجود ان يكون مؤثراً بالذات أو بالاختيار والاول محال لان الموجب بالذات لا يتميز مثلاً عن مثل وهذه الاجسام متساوية في الجسمية فلم يختص بعضها بصورة الوجه وبعضها بصورة اليد وبعضها بصورة الرجل وبعضها بقوة "سمع" وبعضها بقوة الشم وبعضها بقوة الهضم الى غير ذلك من القوي والاعضاء المختلفة والافعال المتباينة فثبت أن المؤثر والمدير قادر والتادر لا يمكنه مثل هذه الافعال العجيبة الا اذا كان عالماً ان هذا المدير لا بد وأن يكون واجب الوجود في ذاته وفي صفاته والا لافتقر الى مدير آخر ويلزم التسلسل وهو محال واذا كان واجب الوجود في قدرته وعالميته وانواجب لانه لا يتخصص ببعض المكينات دون البعض وجب أن يكون عالماً بكل ما صح أن يكون معلوماً وقادراً على كل ما صح أن يكون مقدوراً فظهر بهذه الدلالة أستناد العالم الى مدير واجب الوجود في ذاته وفي صفاته عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات وذلك هو الله سبحانه وتعالى \* وقال تعالى في سورة المؤمنون ( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ) السلالة الخلاصة لانها تسلسل من بين الكدر فعالة وهو بناء يدل على القلة كالقلامة والقمامة أي من خلاصة تولدت من فضل الهضم الرابع وتواردت على أطوار الحلقة وأدوار الفطرة حتي صارت منياً ولاشك أن تلك الخلاصة انما تولدت من الأغذية والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنبات انما يتولد من صفو الارض والماء فالانسان بالحقيقة يكون متولداً من سلالة من طين ( ثم جعلناه نطفة ) بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجواهر أو المسلول أو الماء ( في فرار ) أي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة

(مكنين) وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر أو بمكائنها في نفسها  
فإنها مكنت بحيث هي وأحرزت قال الامام نجر الدين ومعنى جعل الانسان  
نطفة أنه خلق جوهر الانسان أولاً طيناً ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة  
في أصلاب الآباء فقفذه الصلب بالجماع الي رحم المرأة فصار الرحم قراراً مكيناً  
لهذه النطفة والمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر فسماه بالمصدر (ثم خلقنا  
النطفة سلقة) أي دماً جامداً بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (نخلقنا  
العلقة مضغة) أي قطعة لحم كأنها مقدار ما يمضغ لا استبانة ولا تمايز فيها  
(نخلقنا المضغة) أي غالبها ومعظمها أو كلها (عظاماً) بأن صلبناها وجعلناها  
عموداً للبدن على هيات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة (فكسونا  
العظام) الممهودة (لحماً) من بقية المضغة أو مما أبتنا عليها بقدرتنا مما يصل  
إليها من دم الحيض أي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم  
علي مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت  
الاستحالات وجمع العظام لاختلافها (ثم أنشأناه خلقاً آخر) أي خلقاً مبيناً  
للخلق الاول مبيانة ما أبدها حيث جعله حيواناً وكان جماداً وناطقاً وكان أبكم  
وسميماً وكان أصم وبصيراً وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره بل كل عضو من  
أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا يحيط بها وصف  
الواصفين ولا شرح الشارحين \* وروي العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما  
قال تصريف الله إياه بعد الولادة في أطواره في زمن الطفولية وما أبدها  
إلي استواء الشباب وخلق الفهم والعقل وما أبده الي أن يموت وهذا المعنى  
مروي أيضاً عن ابن عمر وإنما قال أنشأناه لانه جعل انشاء الروح فيه واتمام  
خلقه انشاء له (فتبارك الله) فتعالى شأنه في علمه الشامل وقدرته الباهرة  
والالفتات الي الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر

من الافاعيل العجيبة من أحكام الالوهية وللإيدان بان حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا أو لا حظه أن يسارع الي التكلم به اجلالاً واعظاماً لشؤنه تعالى (أحسن الخالقين) أي هو أحسن الخالقين خلقاً أي المقدرين تقديراً حذف المميز لدلالة الخالقين عليه (ثم انكم بعد ذلك) أي بعد ما ذكر من الامور العجيبة (لميتون) لصاؤون الى الموت لا محالة (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والمقاب وقد جعل سبحانه الامامة التي هي اعدام الحياة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضاً على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع \* وقال تعالى في سورة الفرقان (وهو الذي خلق من الماء بشراً) أي جعله جزءاً من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيآت حسبما اقتضته الحكمة الالهية أو هو النطفة (فجعله نسباً وصهراً) أي قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينتسب اليهم وذوات صهراً أي اناثا يصاهر بهن (وكان ربك قديراً) حيث خلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطبائع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا واثني \* وقال تعالى في سورة الروم (أولم يتفكروا في أنفسهم) انكار واستقبح لقصر نظرهم على ما ذكر في الآية قبل من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط أو أقصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكير في أنفسهم ليستدلوا بصفاتها وأحوالها المتغيرة على وجود صانمها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته فان أقرب الآيات والدلائل نفس الانسان فلو تفكروا فيها لعلموا وحدانية الله فان الله خلقهم علي أحسن تقويم \* قال الامام نجر الدين ولنذكر من حسن خلقهم جزءاً من ألف جزءاً وهو أن الله تعالى خلق للانسان

معدة فيها ينهضم غذاؤه لتقوى به أعضاؤه ولها منفذات أحدهما لدخول الطعام فيه والآخر لخروج الطعام منه فإذا دخل الطعام فيها انطبق المنفذ الآخر بعضه على بعض بحيث لا يخرج ذرة ولا بالرشح وتمسكه المعدة الي أن ينضج نضجاً صالحاً ثم يخرج من المنفذ الآخر وخلق تحت المعدة عروقا دقاقا صلابا كالمصفاة التي يصفى بها الشيء فينزل منها الصافي الى الكبد وينصب الثفل الي معي مخلوق تحت المعدة مستقيم متوجها الي الخروج وما يدخل في الكبد من العروق المذكورة يسمى المساريقا بالعبرية ولما ينزل الصافي الي الكبد ويشتمل عليه ينضجه نضجاً آخر ويكون مع الغذاء المتوجه من المعدة الى الكبد فضل ماء مشروب ايرق ويندرق في العروق الدقاق المذكورة وفي الكبد يستغني عن ذلك الماء فيميز عنه ذلك الماء وينصب من جانب حدة الكبد الى الكلى ومعه دم يسير تفتدي به الكلى وغيرها ويخرج الدم الخالص من الكبد في عرق كبير ثم يتشعب ذلك النهر الي جداول والجداول الي سواق والسواق الي رواضع ويصل فيها الي جميع البدن فهذه حكمة واحدة في خلق الانسان وهذه كفاية في معرفة كون الله فاعلا مختارا قادرا كاملا عالما شاملا علمه ومن يكون كذلك يكون واحداً والا لكان عاجزاً عند ارادة شريكه ضد ما اراده \* وقال تعالى في سورة الروم أيضاً ( ومن آياته ) الباهرة الدالة على قدرته ( أن خلقكم من تراب ) لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أتم عليه في ذاتكم وصفاتكم قال الامام نجر الدين ان كل بشر مخلوق من التراب أما آدم فظاهر وأما نحن فلانا خلقنا من نطفة والنطفة من صالح النذاء والنداء اما من لحوم الحيوانات وألبانها وأمانها وإما من النبات والحيوان أيضاً له غذاء وهو النبات لكن النبات من التراب فان الحبة من الحنطة والنواة من التمر لا تصير شجرة الا

بالتراب وينضم إليها أجزاء مائة ليصير ذلك النبات بحيث يندو (ثم إذا أتم  
 بشر تنتشرون) أي فاجأهم بعد ذلك وقت كونكم بشرًا تنتشرون في الأرض  
 وهذه حجة ظاهرة وآية باهرة على قدرته تعالى \* وتقريره هو أن التراب أبعد  
 الأشياء عن درجة الأحياء وذلك من حيث كيفيته فإنه بارد يابس والحياة  
 بالحرارة والرطوبة ومن حيث لونه فإنه كدر والروح نير ومن حيث فعله  
 فإنه ثقيل والأرواح التي بها الحياة خفيفة ومن حيث السكون فإنه بعيد عن  
 الحركة والحيوان يتحرك يمينا ويسرة والي خلف والي قدام والي فوق والي  
 أسفل وفي الجملة فالتراب أبعد عن قبول الحياة من سائر الأجسام لأن العناصر  
 أبعد من المركبات لأن المركب بالتركيب أقرب درجة من الحيوان والعناصر  
 أبعدا التراب لأن الماء فيه الصفاء والرطوبة والحركة وكلها على طبع الأرواح  
 والنار أقرب لأنها كالحرارة النريزية منضجة جامعة مفرقة ثم المركبات  
 وأول مراتبها المعدن فإنه ممتزج وله مراتب أعلاها الذهب وهو أقرب من  
 أدنى مراتب النبات وهي مرتبة النبات الذي ينبت في الأرض ولا يبرز  
 ولا يرتفع ثم النبات وأعلى مراتبها وهي مرتبة الأشجار التي تقبل التعظيم  
 ويكون لثمرها حب يؤخذ منه مثل تلك الشجرة كالبيضة من الدجاجة  
 والدجاجة من البيضة قريبة من أدنى مراتب الحيوانات وهي مرتبة  
 الحشرات التي ليس لها دم سائل. ولا هي إلى المنافع الجليلة وسائل. ثم  
 الحيوانات وأعلى مراتبها قريبة من مرتبة الإنسان فإن الأنعام ولا سيما الفرس  
 تشبه العتال والحمال والساعي ثم الإنسان وأعلى مراتب الإنسان قريبة من  
 مرتبة الملائكة المسبحين لله الحامدين له فالله الذي خلق من أبعد الأشياء عن  
 مرتبة الأحياء حيا هو في أعلى المراتب لا يكون إلا منزها عن العجز والجهل  
 ويكون له الحمد على انعام الحياة ويكون له كمال القدرة ونفوذ الإرادة كذا

قال الامام نجرالدين قال وفي الآية لطيفتان . احدهما قوله اذا وهي للمفاجأة يقال خرجت فاذا أسد بالباب وهو اشارة الى أن الله تعالى خلقه من تراب بكن فكان لا انه صار معدنا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا وهذا اشارة الى مسألة حكمية وهي ان الله تعالى يخلق أولا انسانا فينبهه أنه يحيي حيوانا وناميا وغير ذلك لا انه خلق أولا حيوانا ثم يجعله انسانا فخلق الانواع هو المراد الاول ثم تكون الانواع فيها الاجناس بتلك الارادة الاولى فالله تعالى جعل المرتبة الاخيرة في الشئ البعيد عنها غاية من غير انتقال من مرتبة الى مرتبة من المراتب التي ذكرناها . اللطيفة الثانية قوله بشر اشارة الى القوة التي يحصل عند وجودها الادراك لان البشر بشر لا بحركته فان غيره من الحيوانات أيضا كذلك وقوله تنتشرون اشارة الى القوة التي يحصل عند وجودها الحركة وكلاهما من التراب عجيب أما الادراك فلكثافته وجوده . وأما الحركة فلثقله وخموده . وقوله تنتشرون اشارة الى أن العجبية غير مختصة بخلق الانسان من التراب بل خلق الحيوان المنتشر من التراب الساكن عجيب فضلا عن خلق البشر \* واعلم انه تعالى ذكر في موضع آخر انه خلق من الماء بشرا وقال من ماء مهين وههنا قال من تراب فههنا قال ما هو أصل أول وفي ذلك الموضع قال ما هو أصل ثان لان ذلك التراب الذي صار غذاء يصير مائعا وهو المي ثم ينعقد ويتكون بخلق الله منه انسانا أو نقول الانسان له أصلان ظاهران الماء والتراب فان التراب لا ينبت الا بالماء ففي النبات الذي هو أصل غذاء الانسان تراب وماء فان جعل التراب أصلا والماء لجمع أجزائه المنفتحة فالامر كذلك وان جعل الاصل هو الماء والتراب لتثبيت أجزائه الرطبة من السيالان فالامر كذلك فالله تعالى عبر تارة بالتراب وتارة بالماء ولم يقتصر على أحدهما أو يقل خلقكم منهما لان فيه لطيفة

وهي أن كون التراب أصلاً والماء أصلاً ليس لذاتيهما وإنما هو يجعل الله تعالى لأن حكمته اقتضت أن يكون الناقص وسيلة إلى الكامل فخلق التراب والماء أولاً وجعلهما أصليين لمن هو أكل منهما بل للذي هو أكل من كل كائن وهو الإنسان فلما كان كونهما أصليين ليس أمراً ذاتياً لهما بل يجعل جاعل فتارة جعل الأصل التراب وتارة الماء ليعلم أنه بإرادته واختياره فإن شاء جعل هذا أصلاً وإن شاء جعل ذلك أصلاً وإن شاء جعلهما أصليين ( ومن آياته أن خلق لكم ) أي لاجلكم ( من أنفسكم أزواجا ) أي من جنسكم بعد إيجادها من ذات أبيكم آدم عليه السلام ( لتسكنوا إليها ) أي لتألفوها وتميلوا إليها وتطمئنوا بها فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر ( وجعل بينكم ) أي بين الأزواج أما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور أي جعل بينكم وبينهن ( مودة ورحمة ) أي تواداً وتراحماً بسبب الزواج الذي شرعه لكم من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة أو رحم\* وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا وقال بعضهم محبة حالة حاجة نفسه ورحمة حالة حاجة صاحبه إليه وهذا لأن الإنسان يحب مثلاً ولده فإذا رأى عدوه في شدة من جوع وألم قد يأخذ من ولده ويصالح به حال ذلك وما ذلك لسبب المحبة وإنما هو لسبب الرحمة ( إن في ذلك ) أي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معني البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للأشعار يبعد منزلته ( لآيات ) عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها ( لقوم يشكرون ) في تضاعيف تلك الأفاعيل المتينة المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه



على أن ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبغي عنه قوله تعالى ومن آية بل هي مشتتة على آيات شتى \* قال الامام نجر الدين قوله ان في ذلك يحتمل أن يقال المراد ان في خلق الازواج لآيات ويحتمل أن يقال في جعل المودة بينهم آيات أما الاول فلا بدله من فكر لان خلق الانسان من الوالدين يدل على كمال القدرة ونفوذ الارادة وشمول العلم لمن يشكر ولو في خروج الولد من بطن الام فان دون ذلك لو كان من غير الله لأفضى الي هلاك الام وهلاك الولد أيضاً لان الولد لو سئل من موضع ضيق بنير اعانة الله لمات . وأما الثاني فكذلك لان الانسان يجد بين القرينين من التراحم ما لا يجده بين ذوى الارحام وليس ذلك بمجرد الشهوة فانها قد تنتفي وتبقى الرحمة فهو من الله ولو كان بينهما مجرد الشهوة والغضب كثير الوقوع وهو مبطل للشهوة والشهوة غير دائمة في نفسها لكان كل ساعة بينهما فراق وطلاق فالرحمة التي بها يدفع الانسان المكاره عن حريم حرمه هي من عند الله ولا يعلم ذلك الا بفكر وكثيراً ما تجد انساناً يتزوج امرأة مع حب مفرط بينهما ثم يقع بينهما الفراق عن قرب مالم يحصل بينهما الالفة والتوفيق من الله تعالى ولذلك قال المأمون

ما الحب الا قبله \* وغمز كف وعضد

ما الحب الا هكذا \* ان نكح الحب فسد

( ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم ) أى لئلا تتكلم بان علم كل صنف لغته وألمه وضعها وأقدره عليها أو اجناس نطقكم وأشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقتين متساويين في الكيفية من كل وجه ولو أن عربين هما اخوان تكلمتا بلغة واحدة لعرف أحدهما من الآخر حتى ان من يكون محجوباً عنهما لا يبصرهما يقول هذا صوت فلان وهذا صوت فلان

الآخر (والوانكم) بياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما أو تخطيطات الاعضاء وهياتها وألوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص فان واحدا منهم مع كثرة عددهم وصغر حجم خدودهم وقودهم لا يشبهه بغيره حتي التوأمين مع توافق موادها وأسبابها والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لاحالة وان كانا في غاية التشابه وفيه حكمة بالة وذلك لان الانسان يحتاج الي التمييز بين الاشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وصول العدو اليه وليقبل على الصديق قبل أن يفوته الاقبال عليه وذلك قد يكون بالبصر نخلق اختلاف الصور وقد يكون بالسمع نخلق اختلاف الاصوات (ان في ذلك) أي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالانة والالوان (آيات) عظيمة في أنفسها كثيرة في عددها (للعالمين) أي المتصفين بالعلم وخص العلماء لانهم أهل النظر والاستدلال دون الجهال المشغولين بحطام الدنيا وزخارفها (ومن آياته منامكم) أي نومكم (بالليل والنهار) لاستراحة القوي النفسانية وتفوي القوي الطبيعية (وابتغاؤكم من فضله) أي تصرفكم في طلب المعيشة فيها بارادته فان كثيرا ما يكتسب الانسان بالليل وقيل أراد منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف البعض البعض كما يدل عليه آيات أخر ويكون التقدير هكذا ومن آياته منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار من فضله فأخر الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الى أن العبد ينبغي ان لا يري الرزق من كسبه وبمحدقه بل يري كل ذلك من فضل ربه ولهذا قرن الابتغاء بالفضل في كثير من المواضع منها قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقوله ولتبتغوا من فضله (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) أي شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث تأملون في تضاعيف هذا البيان

ويستدلون بذلك على شؤنه تعالى قال الامام فخر الدين اعلم أن من الاشياء ما يعلم من غير تفكر. ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكرة. ومنها ما لا يخرج بالفكر بل يحتاج الي موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا سمعه من ذلك المرشد. ومنها ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى أمثلة حسية كالاشكال الهندسية لكن خلق الأزواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر خامد الذكر فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق آية وأما المنام والابتغاء فقد يقع لكثير أنهما من أفعال العباد وقد يحتاج الي مرشد بغير فكرة فقال لقوم يسمعون ويجعلون باللهم الي كلام المرشد \* وقال تعالى في سورة الروم أيضاً ( الله الذي خلقكم من ضعف ) أي ابتداء كم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفاً أي خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة. وقال الامام فخر الدين قوله من ضعف إشارة الى حالة كان فيها جنيناً وطفلاً ومولوداً ورضيعاً ومفطوما فهذه أحوال غاية الضعف ( ثم جعل من بعد ضعف قوة ) وذلك عند بلوغه الحلم وشبابه واكتهاله ( ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ) اذا أخذ منكم السن وهو إشارة الي ما يكون بعد الكهولة من ظهور النقصان والشيبة هي تمام الضعف ( يخلق ما يشاء ) من الاشياء التي من جعلها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة قال الامام فخر الدين بين بقوله يخلق ما يشاء ان هذا ليس طبعاً بل هو بمشيئة الله تعالى ( وهو العليم القدير ) البالغ في العلم والقدرة فان التردد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة \* وقال تعالى في سورة لقمان ( ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض ) المراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كإمارة ما في الارض من الاشياء المسخرة

للإنسان المستعملة له من الجماد والحيوان أو لا يكون كذلك بل يكون سبباً  
لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات  
من الأشياء التي نيطت بها مصالح العباد معانماً أو معاداً . واما جملة منقاداً  
للأمر مذلاً على أن معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والأرض  
من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتعبة لنافع الخلق وما يستعمله الإنسان  
حسبما يشاء وان كان مسخراً له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى  
( وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة ) أي حال كون تلك النعم محسوسة مشاهدة  
مثل حسن الصورة وتسوية الأعضاء وما فيها من السلامة ( وباطنة ) وهي  
ما في الأعضاء من القوي فان العضو ظاهر وفيه قوة باطنة ألا ترى ان العين  
والاذن شحم وغضروف ظاهر واللسان والانف لحم وعظم ظاهر وفي كل  
واحد معنى باطن من الابصار والسمع والذوق والشم وكذلك كل عضو وقد  
تبطل القوة ويبقى العضو قائماً \* وقال تعالى في سورة السجدة ( الذي أحسن  
كل شيء خلقه ) أي حسن كل مخلوق خلقه اذا ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب  
على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن  
وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه وقد  
خلق تعالى كل حيوان على صورة ولم يخلق البعض على صورة البعض فكل  
حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح  
به معاشه وقال بعضهم انك اذا نظرت الى الأشياء رأيتها على ما ينبغي  
صلابة الأرض للنبات والثبات وسلاسة الهواء للاستنشاق وقبول الانشقاق  
لسهولة الاستطراق وسيلان الماء لتقدر عليه في كل موضع وحركة النار الى  
فوق لانها لو كانت مثل الماء تتحرك يمناً ويسرة لا حترق العالم تخلقت طالبة  
لجهة فوق حيث لا شيء هناك يقبل الاحتراق ( وبدأ خلق الإنسان من

(طين) على وجه بديع وفطرة عجيبة حيث كان أول فرد من أفراد الانسان وهو آدم عليه السلام مخلوقاً من الطين مباشرة (ثم جعل نسله) أي ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتتفصل منه (من سلالة من ماء مهين) هو المني الممتن (ثم سواه) أي عدله بتكميل أعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي قال الامام نجر الدين واعلم أن دلائل الآفاق أدل على كمال القدرة كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر ودلائل الانفس أدل على نفاذ الارادة فان التغيرات فيها كثيرة واليه الاشارة بقوله ثم جعل نسله ثم سواه أي كان طيناً فجعله منياً ثم جعله بشراً سوياً (ونفخ فيه من روحه) أي جملة حيا حساساً بعد أن كان جماداً وذلك بسبب نفخ الروح فيه وسيأتي بيان المراد من ذلك في المقصد الرابع وأضاف الروح اليه تعالى تشريفاً له وايداناً بأنه خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأنه منسباً اليه في حضرة الربوبية وأن أقصى ما انتهى اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى وأخري بالنسبة الي أمره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من أمر ربي قال الامام نجر الدين \* واعلم أن النصارى يفترون على الله الكذب ويقولون بأن عيسى كان روح الله فهو ابن ولا يعلمون أن كل أحد روحه روح الله بقوله ونفخ فيه من روحه أي الروح التي هي ملكه كما يقول القائل داري وعبدى ولم يقل أعطاه من جسمه لان الشرف بالروح فأضاف الروح دون الجسم على ما يترتب على نفخ الروح من السمع والبصر والعلم فقال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والاقعدة) أي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها في أنفسها تماماً جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدينية الفاضلة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلاً منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد

والبعث وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على  
 حقيقتها ( قليلاً ما تشكرون ) بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض  
 التذييلي أي شكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تشكرون \* وقال تعالى في سورة  
 فاطر ( والله خلقكم من تراب ) فان التراب هو الاصل الاول لكل انسان  
 ( ثم ) أي بعد ذلك في الزمان والمرتبة خلقكم ( من نطفة ) أي جعلها أصلاً  
 ثانياً من ذلك الاصل الترابي فانها من غذاء والغذاء بالآخرة ينتهي الى الماء  
 والتراب فهم من تراب صار نطفة ( ثم ) أي بعد أن أنهى التدبير زماناً ورتبة  
 الى النطفة التي لا مناسبة بينها وبين التراب دلالة على كمال القدرة والقول  
 بالاختيار ( جعلكم أزواجاً ) أي أصنافاً أو ذكرانا واناثا دلالة هي أظهر مما  
 قبلها على الاختيار ( وما تحمل من أثى ولا تضع الا بعلمه ) الا ملتبسة بعلمه  
 تابعة لمشيئته أي في وقت الحمل ونوعه وشكله وغير ذلك من شأنه مختصاً بذلك  
 كله { وما يعمر من معمر } أي من أحد وانما سمي معمر باعتبار ما هو صائر  
 اليه أي وما يمد في عمر أحد من مصفره الى الكبر ( ولا ينقص من عمره )  
 أي من عمر أحد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه الا بحق  
 لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائداً بل على معنى لا يجعل من  
 الابتداء ناقصاً ( الا في كتاب ) هو اللوح المحفوظ وقيل علم الله عز وجل  
 وقيل صحيفة كل انسان قال الامام نجر الدين قوله وما تحمل من أثى ولا تضع  
 اشارة الى كمال العلم فان ما في الارحام قبل الانخلاق بل بعده مادام في البطن  
 لا يعلم حاله أحد كيف والام الحاملة لا تعلم منه شيئاً فلما ذكر بقوله خلقكم  
 من تراب كمال قدرته بين بقوله وما تحمل من أثى ولا تضع الا بعلمه كمال  
 علمه ثم بين نفوذ ارادته بقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في  
 كتاب فبين أنه هو القادر العالم المريد ( ان ذلك ) أي ما ذكر من الخلق وما

بعده مع كونه محارا للمقول والافهام ( على الله يسير ) هين لاستغناؤه عن  
الاسباب \* وقال تعالي في سورة يس ( أولم ير الانسان ) الهمة للانكار  
والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدره هي مستتبعه للمعطوف أي ألم  
يتفكر الانسان ولم يعلم علما قويا هو في ظهوره كالمحسوس بالبصر ( انا خلقناه  
من نطفة ) أي شيء حقير يسير من ماء لا انتفاع به بعد ابداعنا اياه من تراب  
وانه لحم وعظام ولو كان من أشياء مختلفة الصور كان يمكن أن يقال العظيم خلق  
من جنس صلب واللحم من جنس رخو وكذلك الحال في كل عضو ولما كان  
خلقه من نطفة متشابهة الاجزاء وهو مختلف الصور دل على الاختيار والقدرة  
( فاذا هو خصيم مبين ) معطوف على خلقناه ومناه فاذا هو بعد ما كان ماء  
مهيئا رجل مميز منطيق قادر على الحسام مبين معرب عما في نفسه فصيح  
وفيه لطيفة غريبة وهي أنه تعالي قال اختلاف صور أعضائه مع تشابه اجزاء  
ما خلق منه آية ظاهرة ومع هذا فهناك ما هو أظهر وهو نطقه وفهمه وذلك  
لان النطفة جسم فهب أن جاهلا يقول انه استحال وتكون جسما آخر  
لكن القوة الناطقة والقوة الفاهمة من أين تقتضيها النطفة فابداع النطق  
والفهم أعجب وأغرب من ابداع الخلق والجسم وهو الي ادراك القدرة  
والاختيار منه أقرب \* وقال تعالي في سورة الزمر ( يخلقكم في بطون  
أمهاتكم ) بيان لكيفية خلقهم وأطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة  
وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد ( خلقا من بعد خلق ) مصدر  
مؤكد أي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق أي خلقا مدرجا حيوانا  
سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضع مخلقة من  
بعد مضع غير مخلقة من بعد علقه من بعد نطفة ( في ظلمات ثلاث ) متعلق  
بخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو ظلمة الصلب

والبطن والرحم (ذلكم) اشارة اليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى  
 البعد للايدان بعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحلّه الرفع على الابتداء  
 أي ذلكم العظيم الشأن الذي عرفتم عجائب أفعاله هو (الله ربكم) أي مربيكم فيما  
 ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به (له الملك)  
 على الاطلاق ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه (لا اله الا هو فاني  
 تصرفون) الغاء لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤنه تعالى أي فكيف  
 تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها  
 بالكلية \* وقال تعالى في سورة الزمر أيضاً (أو لم يعلموا) أي أغفلوا ولم  
 يعلموا (ان الله يبسط الرزق لمن يشاء) ان يبسط له (ويقدر) لمن يشاء ان  
 يقدره له وقال الامام نجر الدين يعني أو لم يعلموا ان الله تعالى هو الذي  
 يبسط الرزق لمن يشاء تارة ويقبض تارة أخرى وقوله ويقدر أي ويقتر  
 ويضيق والدليل عليه انا نرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه ولا بد  
 له من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله لانا قد نرى العاقل  
 القادر قد يجهد في طلب الدنيا معتمداً على عقله وقوته وهو في أشد الضيق  
 وقد نرى الجاهل المريض الضعيف في أعظم السعة وأنشد أبو بكر محمد بن  
 سابق الصقلي الواعظ بالشام رحمه الله تعالى

كم من قوى تقوى في قلبه \* مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف  
 وكم ضعيف ضعيف في قلبه \* كانه من خليج البحر يفترف  
 هذا دليل على ان الاله له \* في الخلق سر خفي ليس ينكشف

وليس ذلك أيضاً لاجل الطبائع والانجم والافلاك لان في الساعة التي ولد  
 فيها ذلك الملك الكبير والسلطان القاهر قد ولد فيها أيضاً عالم من الناس  
 وعالم من الحيوانات غير الانسان ويولد أيضاً في تلك الساعة عالم من النبات



فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا انه ليس المؤثر في السعادة والشقاوة هو الطالع ولما بطلت هذه الاقسام علمنا أن المؤثر فيه هو الله سبحانه وضح بهذا البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى أو لم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قال الشاعر

فلا السعد يقضى به المشتري \* ولا النحس يقضي علينا زحل

ولكنه حكم رب السما \* وقاضى القضاة تعالى وجل

\* وقال تعالى في سورة غافر ( وصوركم فاحسن صوركم ) أي صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصبي القامة بايدي البشرية متناسبي الاعضاء والتخطيطات متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) أي اللذائد ( ذلكم الله ربكم ) خبر ان لذلكم ( فتبارك الله ) أي تقدس وتنزه وتعالى بذاته ( رب العالمين ) أي مالكمهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية ثم قال تعالى ( هو الذي خلقكم من تراب ) أي بمخلق أيكم آدم منه أو أصالة على ما مر تحقيقه مرارا ( ثم من نطفة ) أي ثم خلقكم خلقا تفصيلا من نطفة أي مني ( ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ) أي أطفالا والافراد لارادة الجنس أو لارادة كل واحد من أفرادة ( ثم لتبلغوا أشدكم ) علة ليخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وقال صاحب الكشاف هو متعلق بمحذوف تقديره ثم يبيئكم لتبلغوا ( ثم لتكونوا شيوخا ) ضعفاء غرباء قد ماتت قوتكم ووهت أركانكم ( ومنكم من يتوفي من قبل ) أي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله أيضا ( ولتبلغوا ) متعلق

بفعل مقدر بعده أى ولتبلنوا (أجلا مسمي) هو وقت الموت أو يوم القيامة  
 يفعل ذلك (ولعلمكم تعقلون) ولكي تعقلوا ما في ذلك الانتقال من طور الى  
 طور من فنون الحكم وما في هذه الاحوال العجيبة من أنواع العبر وأقسام  
 الدلائل \* وقال تعالى في سورة شورى (لله ملك السموات والارض) فن  
 قضيته أن يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيفما يشاء (يخلق ما يشاء) مما  
 نعلمه ومما لا نعلمه على أى صورة شاء (يهب لمن يشاء إناثا) من الاولاد  
 (ويهب لمن يشاء الذكور) منهم من غير أن يكون في ذلك مدخل لاحد  
 (أو يزوجهم) أى يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا (ذكرانا وإناثا) قالوا معنى  
 يزوجهم أن تلد غلاما ثم جارية أو جارية ثم غلاما أو تلد ذكرا وأثي توأمين  
 (ويجعل من يشاء عقيماً) والمعنى يجعل أحوال العباد في حق الاولاد مختلفة  
 على ما تقتضيه المشيئة فيهن فيهب لبعض اما صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى  
 واما صنفين ويعقم آخرين والمقصود بيان نفاذ قدرة الله في تكوين  
 الاشياء كيف شاء وأراد (انه عليم قدير) بالغ العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة  
 ومصلحة \* وقال تعالى في سورة الناريات (وفي الارض آيات للموقنين  
 وفي أنفسكم) أى وفي أنفسكم آيات 'ذ ليس في العالم شيء الا وفي النفس  
 له نظير يدل دلالة مع ما انفرد به من الهيآت النافعة والمناظر البهية  
 والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة  
 والاختراعات الغريبة واستجماع الكمالات المتنوعة وقال ابن عباس رضى  
 الله عنهما يريد اختلاف الالسنه والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل  
 الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سيلين وقيل  
 يعنى تقويم الادوات والسمع والبصر والنطق الي غير ذلك من العجائب  
 المودعة في ابن آدم (أفلا تبصرون) أى ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة

\* وقال تعالى في سورة الطور ( أم خلقوا من غير شيء ) أي أوقع خلقهم وأحدثوا  
 على هذه الكيفية المتقنة وقدروا هذا التقدير البديع والشكل العجيب من غير  
 محدث ومقدر قال الامام فخر الدين ويحتمل أن يقال أم خلقوا من غير شيء أي ألم  
 يخلقوا من تراب أو من ماء دليله قوله تعالى ألم نخلقكم من ماء مهين وعلى هذا فله  
 وجه ظاهر وهو ان الخلق اذ لم يكن من شيء بل يكون ابداعيا يخفى كونه مخلوقا على  
 بعض الاغبياء ولهذا قال بعضهم السماء رفع اتفاقا ووجد من غير خالق وأما  
 الانسان الذي يكون أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما وعظما لا يتمكن أحد  
 من انكاره بعد مشاهدة تغير أحواله فقال تعالى أم خلقوا بغير شيء يخفى عليهم  
 وجه خلقهم بأن خلقوا ابتداء من غير سبق حالة عليهم يكونون فيها ترابا ولا  
 ماء ولا نطفة ليس كذلك بل هم كانوا شيئا من تلك الاشياء خلقوا منه خلقا  
 فما خلقوا من غير شيء حتى ينكروا الوجدانية ولهذا قال تعالى يخلقكم في  
 بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق ولهذا اكثر الله من قوله خلقنا الانسان من  
 نطفة وعلى قول من قال المراد منه أم خلقوا من غير شيء أي من غير خالق ففيه  
 ترتيب حسن أيضا وذلك لان نفي الصانع اما أن يكون بنفي كون العالم مخلوقا فلا  
 يكون ممكنا واما أن يكون ممكنا لكن الممكن لا يكون محتاجا فيقع الممكن  
 من غير مؤثر وكلاهما محال ( أم هم الخالقون ) لانفسهم فلذلك لا يبدون الله  
 سبحانه \* وقال تعالى في سورة النجم ( وأن الى ربك المنتهي ) أي انتهاء الخلق  
 ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً ( وأنه هو أضحك  
 وابكى ) أي هو خلق قوتي الضحك والبكاء قال الامام فخر الدين هذه  
 الآية مثبتة لمسائل يتوقف عليها الاسلام من جلها قدرة الله تعالى فان من  
 الفلاسفة من يعترف بان الله المنتهي وانه واحد لكن يقول هو موجب  
 لا قادر فقال تعالى هو أوجد ضدن الضحك والبكاء في محل واحد والموت

والحياة والذكورة والانوثة في مادة واحدة وان ذلك لا يكون الا من قادر واعترف به كل عاقل واختار وصفي الضحك والبكاء للذكر والاتي لانهما امران لا يملان فلا يقدر احد من الطبيعيين أن يبدي في اختصاص الانسان بالضحك والبكاء وجها وسببا واذا لم يعلل بامر ولا بد له من موجد فهو الله تعالى ويدلك على هذا انهم اذا ذكروا في الضحك امراله الضحك قالوا قوة التعجب وهو في غاية البطلان لان الانسان ربما يبهت عند رؤية الامور العجيبة ولا يضحك وقيل قوة الفرح وليس كذلك لان الانسان يفرح كثيرا ولا يضحك والحزين الذي عند غاية الحزن يضحك المضحك وكذلك الامر في البكاء وان قيل لاكثرهم علما بالامور التي يدعيها الطبيعيون ان خروج الدمع من العين عند امور مخصوصة لماذا لا يقدر على تلميل صحيح وعند الخواص كالتى في المغناطيس وغيرها ينقطع الطبيعي كما ان عند اوضاع الكواكب ينقطع هو والمهندس الذي لا يفوض امره الى قدرة الله تعالى وارادته ( وانه هو اُمامات وأحي ) لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان غاية ما يحصل من فعل القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة والبحث فيه كما في الضحك والبكاء غير ان الله تعالى في الاول بين خاصة النوع الذي هو أخص من الجنس فانه اظهر ثم عطف عليه ما هو أعم منه وهي الاماتة والاحياء وهما صفتان متضادتان أى الموت والحياة كالضحك والبكاء والموت على هذا ليس بمجرد العدم والا لكان المتنع ميتا وكيفما كان فالاماتة والاحياء امر وجودى وهما من خواص الحيوان وقيل الموت عدم الحياة عما من شأنه ان يكون حيا وعلى كل حال فلا يقدر على الاماتة والاحياء غيره تعالى فهو الذي امات أي خلق الموت والجود في العناصر ثم ركبها واحيا أي خلق الحس والحركة فيها وكما حفظها

حياة مدة هو قادر على أن يحفظها أكثر من ذلك فاذا مات فليس عن ضرورة فهو بفعل فاعل مختار وهو الله تعالى « وأنه خلق الزوجين الذكر والاتي من نطفة اذا تمني » تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من مني بمعنى قدر قال الامام نجر الدين الذكورة والانوثة من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة فبعضها يخلق ذكرا وبعضها أُنثى ولا يصل اليه فهم الطبيعي الذي يقول انه من البرودة والرطوبة في الاثني قرب امرأة أيبس مزاجا من الرجل وكيف واذا نظرت في المميزات بين الصغير والكبير تجدها أمورا عجيبة منها نبات اللحية فانه اذا قيل لهم ما السبب الموجب لتلازم نبات شعر اللحية وآلة التناسل فانها اذا قطعت لم تنبت اللحية وما الفرق بين سن الصباوسن الشباب وبين المرأة والرجل ففي بعضها يبهت وفي بعضها يتكلم بأمر واهية ولو فوضها الي حكمة الهية لكان أولي وقوله تعالى من نطفة تنبيه على كمال القدرة لان النطفة جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منه أعضاء مختلفة وطبعا متباينة وخلق الذكر والاثني منها أعجب ما يكون علي ما بينا \* وقال تعالى في سورة الواقعة ( نحن خالقناكم فلولاً تصدقون ) خطاب للكفرة بطريق الالزام والتبكيك والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أي فهلا تصدقون بالخلق فان مالا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبيء عن خلافه ليس من التصديق في شيء ( أفرايتم ما تمنون ) أي تقذفون في الارحام من النطف ( أأنتم تخلقونه ) أي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا ( أم نحن الخالقون ) له من غير دخل شيء فيه قال الامام نجر الدين قوله تعالى أفرايتم ما تمنون من تقرير قوله تعالى نحن خالقناكم وذلك لانه تعالى لما قال نحن خالقناكم قال الطبيعيون نحن موجودون من نطف الخلق وقبل كل واحد نطفة واحد فقال تعالى ردا عليهم هل رأيتم هذا المنى وانه جسم ضعيف متشابه الصورة لا بد

له من مكوّن فأتّم خلفتم النطفة أم غيركم خلقها ولا بد من الاعتراف بخالق  
 غير مخلوق قطعاً للتسلسل الباطل والى ربنا المنتهي ولا يرتاب فيه أحد من  
 أول ما خلق الله النطفة وصورها وأحيائها ونورها فلم لا تصدقون أنه واحد  
 أحد صمد قادر \* وقال تعالى في سورة التغابن ( هو الذي خلقكم ) خلقاً  
 بديعاً حاوياً لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك ( فمنكم كافر )  
 أي فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما استدعيه  
 خلقته ( ومنكم مؤمن ) مختار للإيمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان  
 الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق  
 والإيجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه  
 بل تشبتم شعبا وتفرقتم فرقا قال الزجاج فمنكم كافر بأنه تعالى خلقه وهو  
 من أهل الطبائع والدهرية ومنكم مؤمن بأنه تعالى خلقه كما قال أ كفرت  
 بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً ( والله بما تعملون بصير )  
 فيجازيكم بذلك فاختروا منه ما يجديكم من الإيمان والطاعة وإياكم وما  
 يردىكم من الكفر والمعصية ( خلق السموات والأرض بالحق ) أي بالارادة  
 القديمة على وفق الحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية ( وصوركم فأحسن  
 صوركم ) حيث برأكم في أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر  
 الظاهرة والباطنة ما يبط به جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة  
 صفات مصنوعاته وخصكم بمخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج  
 جميع مخلوقاته ومن حسن صورة الانسان أن خلقه ممتد القامة منتصب  
 الحلقة غير منكب ومن نظر في قد الانسان وقامته والنسبة بين أعضائه فقد  
 علم أن صورته أحسن صورة ولا يقدر في حسنه كون بعض الصور قبيحا  
 بالنسبة الي بعض لان الحسن وهو الجمال في الخلق والخلق على مراتب كما

قالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان ولو قابلت بين الصور المشوهة  
 وبين صورة القرس أو غيرها من الحيوانات لرايت صورة البشر المشوهة  
 أحسن ولذا لا يتمنى الانسان ان يكون على خلاف ما هو عليه لكون صورته  
 أحسن من سائر الصور وقد خصه الله تعالى بذلك في هذه النشأة ( واليه  
 المصير ) في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فأحسنوا سرائركم  
 باستعمال القوى والمشاعر فيما خلقن له حتى يجازيكم بالانعام لا بالانتقام  
 فكم من صورة حسنة تكون في العقبي شوهاء بقبح السريرة والسيرة  
 وكم من صورة قبيحة تكون حسنة بحسنها \* وقال تعالى في سورة الملك  
 ( قل هو الذي أنشأكم ) انشاء بديعاً ( وجعل لكم السمع ) لتسمعوا بها الآيات  
 التنزيلية ( والابصار ) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله  
 عز وجل ( والافئدة ) لتتفكروا بها فيما تسمعون وتشاهدونه من الآيات  
 التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة ( قليلاً ما تشكرون )  
 أي شكراً قليلاً غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة قال الامام نجر الدين  
 اعلم انه تعالى أورد البرهان من احوال الناس وهو هذه الآية وذكر من عجائب  
 ما في الانسان حال السمع والبصر والنفوس تنبها على دققة لطيفة كأنه تعالى  
 قال أعطيتكم هذه الاعطآت الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة لكنكم  
 ضيتموها فم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ولا تأملتم في عاقبة  
 ما علمتموه فكأنكم ضيتم هذه النعم وأفسدتم هذه المواهب فلماذا قال قليلاً  
 ما تشكرون وذلك لان شكر نعمة الله تعالى هو أن يصرف تلك النعمة الى وجه  
 رضاه وأتم لما صرفتم السمع والبصر والعقل لا الى طلب مرضاته فأتم  
 ما شكرتم نعمته ألبتة \* وقال تعالى في سورة الانسان ( هل أتى ) استفهام تقرير  
 وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل أتى ( على الانسان ) قبل زمان قريب

(حين من الدهر) أى طائفة محدودة كأنه من الزمن الممتد (لم يكن شيئاً مذكوراً) بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالانسانية أصلاً كالعنصر والنطفة وغير ذلك والمراد بالانسان الجنس « وحكي » الماوردي عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون هذا إشارة الى خلق آدم عليه السلام وما بعده بيانا لخلق بنيه واعلم أن الغرض من هذا التنبيه على أن الانسان محدث ومتي كان كذلك فلا بد له من محدث قادر (انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج) أخلاط جمع مشج أو مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصفت النطفة به لما أن المراد بها مجموع المائين ولكل منها أوصاف مختلفة من اللون والرقه والغلظ فان ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق يخلق منهما الولد وقيل مفرد كأعشار واكياش وقيل أمشاج ألوان وأطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الحلقة (نبتليه) حال من فاعل خلقنا أي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتى (فجعلناه سميماً بصيراً) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية (انا هديناه السبيل) بانزال الآيات ونصب الدلائل (إما شاكرًا وإما كفورًا) حالان من مفعول هديناه أى مكناه وأفدناه على سلوك الطريق الموصل الى البنية فى حالته جميعا واما للتفصيل أو التقسيم أى هديناه الى ما يوصل اليها فى حاله جميعا أو مقسوماً بعضهم شاكرًا بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه \* وقال تعالى فى سورة الانسان أيضاً (نحن خلقناهم) لا غيرنا (وشددنا أسرهم) أى شددنا توصيل أعضائهم بعضها ببعض وأحكامنا ربط مفاصلهم بالاعصاب \* وقال تعالى فى سورة المرسلات (ألم نخلقكم) أى ألم نقدركم (من ماء مهين) أى من نطفة قدرة حقيرة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر



معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أو  
 أقل منها أو أكثر (فقدرتنا) أي قدرتنا والمراد تقدير خلقه وجوارحه  
 وأعضائه وألوانه ومدة حمله وحياته أو هو من القدرة أي قدرتنا على خلقه  
 وتصويره كيف شئنا وأردنا (فتم القادرون) أي نحن حيث خلقناه في أحسن  
 الصور والهيآت (ويل يومئذ) أي اذ يكون الفصل بين الخلائق وهو يوم  
 القيامة (للمكذابين) بقدرتنا على ذلك \* وقال تعالى في سورة النبأ (وخلقناكم  
 أزواجاً) أصنافاً ذكراً وأثي ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم أمر  
 المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وقيل المراد منه كل زوجين ومتقابلين من  
 القبيح والحسن والطويل والقصير وجميع المتقابلات والاضداد كما قال ومن كل  
 شيء خلقنا زوجين وهذا دليل ظاهر على كمال القدرة ونهاية الحكمة حتى يصح  
 الابتلاء والامتحان فيتقيد الفاضل بالشكر والمفضول بالصبر ويتعرف حقيقة  
 كل شيء بضده فالإنسان إنما يعرف قدر الشباب عند الشيب وإنما يعرف  
 قدر الأمن عند الخوف فيكون ذلك أبلغ في تعريف النعم (وجعلنا نومكم سباتاً)  
 أي قطعاً عن الاحساس والحركة لازاحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها  
 وقال ابن الأعرابي في قوله سباتاً أي قطعاً ثم عند هذا يحتمل وجوهاً \* الأول  
 أن يكون المعنى وجعلنا نومكم نوماً منقطعاً لا دائماً فان النوم بمقدار الحاجة من  
 أنفع الأشياء مادوامه فنأضراً لأشياء فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لا جرم ذكره  
 الله تعالى في معرض الانعام \* الثاني ان الإنسان اذا تعب ثم نام فذلك النوم يزيل  
 عنه ذلك التعب فسميت تلك الازالة سباتاً وقطعاً وهذا هو المراد من قول ابن قتيبة  
 وجعلنا نومكم سباتاً أي راحة \* الثالث قال المبرد وجعلنا نومكم سباتاً أي جعلناه  
 نوماً خفياً يمكنكم دفنه وقطعه تقول العرب رجل مسبوت اذا كان النوم  
 يغالبه وهو يدافعه كأنه قيل وجعلنا نومكم نوماً لطيفاً يمكنكم دفنه وما جعلناه

غشياً مستولياً عليكم فان ذلك من الامراض الشديدة وهذه الوجوه كلها  
صحيحة \* وقال تعالى في سورة عبس ( قتل الانسان ) دعاء عليه وهي من  
اشنع دعواتهم لان القتل غاية شدة الدنيا والمراد التنبيه على أنهم استحقوا  
أعظم أنواع العقاب لاجل أنهم أتوا بأعظم أنواع القبائح والمنكرات ( ما أكفره )  
تعجب من افراطه في كفران نعمة الله والمراد تنبيه السامع الى ان حالته عجيبة  
حيث أنعم عليه مولاه بفنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة ثم  
قابل نعمته بالكفران ونسب جميع ما أنعم به عليه الى الطبايع مع وضوح الدلائل  
على ان كل شيء بخلقه تعالى وصنمه وأقربها ذاته فليحقق النظر ( من أي شيء  
خلقه ) شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من فطرته  
الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاصه  
بذلك وهو استفهام والمقصود منه زيادة التقرير في التحقير أي من أي شيء حقير  
مهين خلقه ( من نطفة خلقه ) جواب الاستفهام أي من نطفة مذرة خلقه  
( فقدره ) أطوارا الى أن تم خلقه وقال الزجاج المعنى قدره على الاستواء كما  
قال أكفرت بالذي خلقتك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا أي  
عدل أعضائك وملك انسانا ذكرا ويحتمل أن يكون المراد وقدر كل عضو  
في الكمية والكيفية بالقدر اللائق بمصلحته وهياً الانسان لما يصلح له ويابق  
به من الاعضاء والاشكال ( ثم السيل ) أي طريق خروجه من بطن أمه  
( يسره ) أي سهل له أمره في خروجه بأن فتح له فم الرحم وكان غير مفتوح  
قبل الولادة وألمه أن ينتكس فانه كان رأسه في بطن أمه من فوق ورجلاه  
من تحت فاذا جاء وقت الخروج انقلب وخرج برأسه حيا من ذلك المنفذ  
الضيق وهذا من أعجب المعائب فمن الذي أعطاه ذلك الالهام وحفظ عليه  
الحياة حتى خرج حيا من ذلك المنفذ الضيق وسهل له الخروج منه الا الله

ويحتمل أن يكون المراد من هذه الآية هو المراد من قوله وهديناهم للتجدين فهو يتناول التمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا وبين كل خير وشر يتعلق بالدين أي جعلناه متمكنا من سلوك سبيل الخير والشر والتيسير يدخل فيه الاقدار والتعريف والعقل وبعثة الانبياء وانزال الكتب ( ثم أماته فأقبره ) أي جعله ذاقير يوارى فيه تكريمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جرزا للسباع والطيور كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره اذا أمر بدفنه أو مكن منه وذكر الموت لانه من النعم بالنسبة للمؤمن فانه وصلة الى الحياة الابدية والنعيم ولانه من دلائل القدرة فانه ضد للحياة التي هي من أعجب المعائب وبضدها تميز الاشياء وأيضا اذا حضر أحدا الموت واجتمع الخلق على دفعه عنه أو ارجاع الروح الى عضو من أعضائه فلا يمكن ذلك ألبتة قال تعالى فلو لا ان كنتم غير مدينين أي مربوبين ترجعونها ان كنتم صادقين ( ثم اذا شاء أنشره ) أي أحياه وبعثه أي اذا شاء أنشره أنشره وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايدان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها ( كلاً ) ردع الانسان عما هو عليه ( لما يقض ما أمره ) بيان لسبب الردع والمعنى أن ذلك الانسان الكافر لم يقض ما أمر به من التأمل في دلائل الله والتدبر في عجائب خلقه وبينات حكمته وقال تعالى في سورة الانفطار ( يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ) أي أي شيء خدعك وجراك على عصيانه. والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايدان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدارا لاغتراره حسبما يفويه الشيطان ويقول له افعل ماشئت فان ربك كريم بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه ( الذي خلقك ) بعد ان لم تكن ( فسواك ) أي جعل أعضائك سليمة مسواة

مهياةً لنافعها ( فمدلك ) أى عدل بعض أعضائك ببعض بحيث اعتدلت ولم  
 تفاوت فهو من التعديل ويحتمل أن يكون من المدول أى صرفها عن خلقة  
 غير ملائمة لها إلى ما شاء من الميآت والأشكال والأشياء وقرئ فمدلك بالتشديد  
 أى صيرك معتدلاً متناسب الأعضاء من غير تفاوت فيها فلم يجعل احدي  
 اليدين أو الرجلين أو الأذنين أطول من الأخرى ولا احدي العينين أوسع  
 من الأخرى وهو كقوله بلى قادرين على أن نسوى بنانه وتقريره ما عرف  
 في علم التشريح أنه سبحانه ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى أنه  
 لا تفاوت بين نصفيه لاني العظام ولا في أشكالها ولا في ثقبها ولا في الأوردة  
 والشرايين والأعصاب النافذة فيها والخارجة فكل ما في أحد الجانبين مساو  
 لما في الجانب الآخر. وقال عطاء عن ابن عباس في معنى فمدلك جعلك  
 قائماً معتدلاً حسن الصورة لا كالبهيمة المنحنية. وقال أبو على المارسي عدل  
 خلقك فأخرجك في أحسن التقويم وبسبب ذلك الاعتدال جعلك مستعداً  
 لقبول العقل والقدرة والفكر وصيرك بسبب ذلك مستولياً على جميع الحيوان  
 والنبات وأصلاً لكمال إلى ما لم يصل إليه شيء من أجسام هذا العالم ( في  
 أي صورة ما شاء ركبك ) أى في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك  
 وهذا على أن ما ليست مزيدة بل هي في معنى الشرط والجزاء وبناء على هذا  
 الوجه قال أبو صالح ومقاتل المعنى ان شاء ركبك في غير صورة الانسان من  
 صورة كلب أو صورة حمار أو خنزير أو قرد. ويصح أن تكون صلة مؤكدة  
 والمعنى في أي صورة تقتضيها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فانه  
 سبحانه يركبك على مثلها وعلى هذا الوجه فالمراد من الصور المختلفة اما  
 الشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه أو الاختلاف بحسب الطول  
 والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة. قال الامام فخر الدين

ودلالة هذه الحالة على الصانع القادر في غاية الظهور لان النطقة جسم متشابه الاجزاء وتأثير طبع الابوين فيه على السوية فالفاعل المؤثر بالطبيعة في القابل المتشابه لا يفعل الا فعلا واحدا فلما اختلفت الآثار والصفات دل ذلك الاختلاف على أن المدبر هو القادر المختار. قال القفال اختلاف الخلق والالوان كاختلاف الاحوال في الغني والفقير والصحة والسقم فكما أنا نقطع بانه سبحانه انما ميز البعض عن البعض في الغني والفقير وطول العمر وقصره بحكمة بالغة لا يحيط بكنهها الا هو فكذلك نعلم أنه انما جعل البعض مخالفا للبعض في الخلق والالوان بحكمة بالغة وذلك لان بسبب هذا الاختلاف يتميز المحسن عن المسيء والقريب عن الاجنبي \* وقال تعالى في سورة الطارق ( فلينظر الانسان ) أي نظر تفكر واستدلال مم خلق أي من أي شيء خلق فاصله مما حذف الالف تخفيفا ( خلق من ماء دافق ) استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة ( يخرج من بين الصلب والترائب ) أي صلب الرجل وترائب المرأة أي عظام صدرها فالمراد بالماء في قوله من ماء دافق المتزجج من المائين في الرحم فانه يجوز أن يقال للشيثين المتباينين انه يخرج من بين هذين خير كثير وأيضا فان الرجل والمرأة عند اجتماعهما يصيران كالشيء الواحد فحسن هذا اللفظ هناك أو المراد بالصلب أجزاءه وكذا الترائب وقال الحسن المنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل ومن صلب المرأة وترائب المرأة قال المتقدمون من الفلاسفة ان المنى انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل عن جميع أجزاء البدن ومعظم أجزائه انما يتربي في الدماغ والدليل عليه أنه في صورته يشبه الدماغ ولان المكثر من الجماع يظهر الضعف أولا في عينيه ومستقره هو أوعية المنى وهي عمروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين قال الامام نقر الدين

لاشك ان أعظم الاعضاء معونة في توليد المنى هو الدماغ والدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وله شعب كثيرة نازلة الي مقدم البدن وهو التربية فلهذا السبب خص الله تعالي هذين العضوين بالذكر على أن كلام الفلاسفة في هذا الباب محض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالي أولي بالقبول ثم قال قد بينا في مواضع من هذا الكتاب أن دلالة تولد الانسان عن النطفة على وجود الصانع المختار من أظهر الدلائل لوجوه \* أحدها أن التركيبات المعجبية في بدن الانسان أكثر فيكون تولده عن المادة البسيطة أدل على القادر المختار \* وثانيها أن اطلاع الانسان على أحوال نفسه أكثر من اطلاعه على أحوال غيره فلاجرم كانت هذه الدلالة أتم \* وثالثها أن مشاهدة الانسان لهذه الاحوال في أولاده وأولاد سائر الحيوانات دائمة فكان الاستدلال به على الصانع المختار أقوى \* وقال تعالي في سورة الاعلى ( سبح اسم ربك الاعلى ) أى نزه اسمه عز وجل عن الاحاد فيه بالتأويلات الزائفة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لاعلى وجه الاعظام والاجلال والأعلى اما صفة للرب وهو الاظهر أو للاسم ( الذى خلق فسوى ) صفة أخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني أى سوى مخلوقه وجعله متناسب الاجزاء غير متفاوت وجعل له ما به يتأنى كماله ويتسنى معاشه وقد جعله بعضهم على الانسان خاصة وذكر للتسوية وجوها \* أحدها أنه جعل قامته مستوية معتدلة وخلقته حسنة على ما قال لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وأثنى على نفسه بسبب خلقه اياه فقال فتبارك الله أحسن الخالقين \* وثانيها أن كل حيوان فانه مستعد لنوع واحد من الاعمال فقط وغير مستعد لسائر الاعمال أما الانسان فانه خلق بحيث يمكنه أن يأتي بجميع أفعال الحيوانات بواسطة آلات مختلفة فالتسوية اشارة الى هذا \* وثالثها أنه هياها للتكليف والقيام باداء العبادات

(والذي قدر) أي أوقع تقديره في أجناس الاشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها وغير ذلك من أحوالها فجعل البطش لليد والمشي للرجل والسمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك (فهدي) أي فوجه كل واحد منها الي ما يصدر عنه وينبغي له ويسره لما خلق له بمخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولوتتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت في كل منها ما تحارفيه العقول\* وللمفسرين فيه وجوه قال مقاتل هدي الذي ذكره للآتي كيف يأتيها وقال آخرون هداة للمعيشة ومرعاه \* وقال آخرون هدي الانسان لسبل الخير والشر والسعادة والشقاوة وذلك لانه جعله حساسا دراكا متمكنا من الاقدام على ما يسره والاحجام عما يسوءه كما قال انا هديناه السبيل اما شاكرآ واما كفورا وقال ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم ثم هداة للخروج من الرحم ومن ذلك هدايات الانسان الي مصالحه من أغذيته وأدويته وأهور دنياه ودينه. قال العلامة أبو السعود وأما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير. ولا يعلمه الا المليم الخبير. وقال بعضهم المراد أن كل زاج فانه مستعد لقوة خاصة وكل قوة فانها لا تصلح الا لفعل معين فالتسوية والتقدير عبارة عن التصرف في الاجزاء الجسمانية وتركيبها على وجه خاص لاجله تستعد لقبول تلك القوي وقوله فهدي عبارة عن خلق تلك القوي في تلك الاعضاء بحيث تكون كل قوة مصدرا لفعل معين فخص الفرس بسرعة المشي والابل بقطع المسافات البعيدة مع الصبر على الجوع والمعش وهكذا كل نوع من جنس الحيوان أو النبات أو المهادن بل كل فرد منها فانه مختص بقوة هي مصدر لفعل معين. وقال بعضهم فهدي أي دلهم بأفعاله على توحيد

وجلال كبريائه ونعمت صمديته وفردانيته وذلك لان العاقل يري في العالم أفعالا محكمة متقنة منتسقة منتظمة فهي لا محالة تدل على الصانع القديم وقال تعالى في سورة البلد (لقد خلقنا الانسان في كبد) يطلق الكبد على الاستواء والاستقامة ولهذا قال ابن عباس في كبد أي منتصبا معتدل القامة وكل شي من الحيوان يعيش منكبا. وروى عكرمة عنه قال منتصبا في بطن أمه فهذا امتنان عليه في الخلق ولم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن أمها الا منكبة على وجهها الا ابن آدم فانه منتصب انتصبا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما وقال ابن كيسان منتصبا رأسه في بطن أمه فاذا أذن الله أن يخرج من بطن أمه قلب رأسه الي رجلي أمه وقيل في كبد أي تعب ومشقة فانه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة فدل هذا على أن له خالقا دبره وقضي عليه بهذه الاحوال ولو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدائد فليمثل أمر خالقه فانه هو الذي ينجي من جميع الاحوال كما قال تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أتم تشركون (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) أي أيحسب أنه ليس له خالق قدر على خلقه وتصويره ويظن أنه لشدة لا يقدر عليه أحد وان فسرنا الكبد بالحنه والبلاء كان المعنى تسهيل ذلك على القلب كأنه يقول وهب أن الانسان كان في النعمة والقدرة أفيظن أنه في تلك الحالة لا يقدر عليه أحد والمراد لن يقدر على تغيير أحواله ظنا منه انه قوى على الامور لا يدافع عن مراده (يقول أهلكت مالا لبدا) أي كثيرا بعضه على بعض من تلبد الشيء اذا اجتمع بعضه فوق بعض يريد كثرة ما أنفقه سمعة ومفاخرة وكان أهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم ويدعونه معالي ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) يعني أفيظن أن الله لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيه



أنفقه ( ألم نجعل له عينين ) يبصر بهما عالم الملك من الارض الي السماء حتي يشاهد بهما في طرفه عين النجوم العلوية التي بينه وبينها عدة آلاف سنة ويفرق بهما بين ما يضر وينفع وقال بعضهم ألم نجعل له عينين يبصر بهما المراثيات والا لتعطل أكثر ما يريد شققناها وهو في الرحم في ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا تزيد احدها على الاخرى شيأ وقد رنا البياض والسواد والشهولة والزرقة وغير ذلك على ماترون وأودعناهما البصر على كيفية تعجز الخلق عن ادراكها ( ولسانا ) يترجم به عن ضمائره والا لاحتاج الانسان الى الاشارة أو الكتابة فتعسر أمره وبه تدرك الطعوم من الحلو والمر ( وشفقتين ) يستر بهما فاه ويستعين بهما علي النطق والأكل والشرب وغيرها قال بعضهم أسبل الصانع الحكيم أمام الفم سترامن الشفة ذا طرفين يضمهما ويفتحهما عند الحاجة ويمتص بهما المشروب ( وهديناها النجدين ) أي بينا له طريقي الخير والشر وأصل النجد المكان المرتفع قال بعضهم لما وضحت الدلالة الدالة علي الخير والشر صارتا كالطريقين المرتفعتين بسبب كونها واضحين للعقول كوضوح الطريق العالى للابصار أو الثديين لانها كالطريقين لحياة الولد ورزقه والله تعالى هدي الطفل الصغير حتي ارتضعهما وعبارة روح البيان . أو طريقي الثديين لانها طريقان مرتفعان لنزول اللبن سبيان حياة المولود وتمكين مولود عاجز من رضاع أمه عقيب الولادة قدرة علي ونعمة جليلة اه قال القفال والتأويل هو الاول ثم قرر وجه الاستدلال به فقال ان من قدر على أن يخلق من الماء المهين قلبا عقولا ولسانا قولاً فهو على اهلاك ما خلق قادر وبما يخفيه المخلوق عالم فما العذر في الذهاب عن هذا مع وضوحه وما الحجة في الكفر بالله مع تظاهر نعمه وما العلة في التعزز على الله وعلى أنصار دينه بالمال وهو المعطي له وهو الممكن من الانتفاع به \* وقال تعالى في سورة الشمس ( ونفس وما سواها )

أى أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها قال الامام فخر الدين ان حملنا النفس على الجسد فتسويتها تعديل أعضائها على ما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة الناطقة فتسويتها اعطاؤها القوى لكثيرة كالقوة الخيلة والمذكورة على ما يشهد به علم النفس ( فان قيل) لم نكرت النفس (قلنا) فيه وجهان أحدهما أن يريد به نفسا خاصة من بين النفوس وهى النفس القدسية النبوية وذلك لان كل كثرة فلا بد فيها من واحد يكون هو الرئيس فالمرکبات جنس تحته أنواع ورئيسها الحيوان والحيوان جنس تحته أنواع ورئيسها الانسان والانسان أنواع وأصناف ورئيسها النبي والانبياء كانوا كثيرين فلا بد وان يكون هناك واحد يكون هو الرئيس المطلق فقوله ونفس اشارة الى تلك النفس التى هي رئيسة لعالم المركبات رئاسة بالذات \* الثاني ان يريد كل نفس ويكون المراد من التكثير التكثير على الوجه المذكور فى قوله علمت نفس ما أحضرت وذلك لان الحيوان أنواع لا يحصى عددها الا الله على ما قال بعد ذكر بعض الحيوانات ويخلق مالا تعلمون ولكل نوع نفس مخصوصة متميزة عن سائرهما بالفصل المقوم لماهيته والخواص اللازمة لذلك الفصل فمن الذي يحيط عقله بالقليل من خواص نفس النمل والبعوض فضلا عن التوغل فى بحار أسرار الله \* وقال تعالى فى سورة التين ( لقد خلقنا الانسان ) أى جنس الانسان ( فى أحسن تقويم ) أى كأننا فى أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هي انموذجات من الصفات السبحانية وآثار لها \* وقال تعالى فى سورة العلق ( اقرأ باسم ربك ) أى مبتدئا القراءة باسم ربك ( الذى خلق ) أى أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شيء وانما ذكر عقيب قوله

ربك قوله الذي خلق لان العبد كأنه يقول ما للدليل على انك ربي فيقول لانك كنت بذاتك وصفاتك معدوما ثم صرت موجودا فلا بد لك في ذاتك وصفاتك من خالق وهذا الخلق والايجاد تربية فدل ذلك على اني ربك وانت مربوبي ( خلق الانسان من علق ) على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله بيداتع الصنع والتسيير وعلي الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو أشرفهم ويجوز أن يراد بالفعل الأول أيضاً خلق الانسان ويقصد بتجريدده عن المفعول الابهام ثم التفسير بقوله خلق الانسان من علق تفخيماً لخلق الانسان ودلالة على عجيبة فطرته وقوله تعالى من علق أى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الأولى والآخرة من التباين البين . قال الملامة أبو السمود ولما كان خلق الانسان أول النعم الفائضة عليه منه تعالى وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته . وعلمه وحكمته . وصف ذاته تعالى بذلك أولاً ليستشهد النبي عليه السلاة والسلام به على تمكنه تعالى له من القراءة ثم كرر الأمر فقال تعالى ( اقرأ وربك الأكرم ) أى افعل ما أمرت به وربك الذي أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه هو الأكرم ( الذى علم بالقلم ) أى علم الانسان الكتابة بالقلم أو المراد بالقلم الكتابة التى تعرف بها الامور الغائبة وجعل القلم كناية فالمعنى علم ما علم بواسطة الكتابة لاغيره فكما علم القارىء بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونها كما قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وانما وصف نفسه بأنه خلق الانسان من علق وثانياً بأنه الذى علم بالقلم لان أول أحوال الانسان كونه علقه وهى أخس الاشياء وآخر أمره هو صيرورته عالماً بحقائق الاشياء وهو أشرف مراتب المخلوقات فكانه تعالى يقول انتقلت من أخس المراتب الى أعلى

المراتب فلا بد لك من مدبر مقدر ينقلك من تلك الحالة الحسيسة الى هذه الحالة الشريفة ثم فيه تنبيه على أن العلم أشرف الصفات الانسانية كأنه تعالى يقول الایجاد والاحياء والاقدار والرزق كرم وربوبية أما الاكرم هو الذي أعطاك العلم لان العلم هو النهاية في الشرف وقوله باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اشارة الى الدلالة العقلية الدالة على كمال القدرة والحكمة والعلم والرحمة وقوله الذي علم بالقلم اشارة الى الاحكام المكتوبة التي لا سبيل الي معرفتها الا بالسمع فالاول كأنه اشارة الى معرفة الربوبية والثاني الى النبوة والمراد منه التنبيه على فضيلة الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا الله تعالى وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا فالقلم صياد يصيد العلوم يبكي ويضحك بركوعه تسجده الانام. وبمركته تبقى العلوم على مر الليالي والايام. نظيره قول زكريا اذ نادى ربه نداءً خفياً وأسمع فكذلك القلم لا ينطق ثم يسمع الشرق والغرب. قال اقليدس الخط هندسة روحانية ظهرت بألة جسمانية. وقال بعضهم لو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تديره دليل الا القلم والخط لكفى به فسبحانه من قادر بسواده جعل الدين منورا كما أنه جعلك بالسواد مبصرا فالقلم قوام الانسان والانسان قوام العين ولا تقل القلم نائب اللسان فان القلم نائب اللسان واللسان لا ينوب عن القلم ( علم الانسان مالم يعلم ) بدل اشتغال من علم بالقلم أي علمه بالقلم وبدونه من الامور الكلية والجزئية واجلية والخفية مالم يخطر بباله وفي حذف المفعول أولا وأيراده بعنوان عدم المعلوماتية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم مالا تحيط به العقول مالا يخفى

## المبحث الثالث في النظر في الحيوان

وفيه مطلبان

المطلب الاول في كيفية النظر في الحيوان

وما في اختلاف أحواله من الآيات

{ الدالة على صانعه بالقدرة }

( والاختيار )

الحيوانات كائنات حية ذات حركة وحس وارادة وادراك مخالف لادراك الانسان بالكيفية أو الكمية فهو أخط من ادراك الانسان بكثير فبينها وبينه كما بين الارض والسماء أما اجناسها فلا يشوبها حصر ولا يلحقها استقصاء وكل يوم يكتشف المكتشفون دلي أجناس كثيرة منها ومن آياته تعالي انقسامها الى ما يطير والي ما يمشى وانقسام ما يمشى الى ما يمشى على رجلين والي ما يمشى على أربع والي ما يمشى على أكثر من ذلك حتى يبلغ عدد العشرات كالحشرة المسماة أم أربع وأربعين أو المائة كما يشاهد في بعض الحشرات ومنهم ما يمشى على بطنه بواسطة الفلوس التي عليها ويتسلق الاشجار والجدران وذلك كالحية ثم انقسامها في المنافع والصور والاشكال والاخلاق والطباع وانقسامها الى اجناس وأنواع وأصناف متفاوتة أشد التفاوت في صفاتها فمنها ما بلغ غاية عظيمة في الكبر كالقمل الذي علو الكبير منه اثنتا عشرة قدما ومنه الصغير جدا ومن الحيوان ما يعيش عمرا طويلا وما يعيش عمرا قصيرا وقد تخالف في مدد أعمارهم تخالفا غريبا واختص كل منه بمدة لا يصل العقل الي علة ثبوته فترى الحيوانات الجماء تعمر أكثر من القرناء والجريئة أكثر

من الجبانة والبرية أكثر من الهوائية لكن الرخمة والنسر والبيضاء والعراب تعيش قدر ما يعيش الانسان والضفادع البرية والمائية أطول حياة من سائر الحيوانات التي تعد لها في الحجم وهكذا لكل حيوان من كبير وصغير عمر يخصه ولم يتوقف طول أعمارها وقصرها على المسكن والمعيشة أو كبر الجسم أو صغره ولا على غير ذلك فاذن لا بد لها من مخصص خصص كلا منها بعمره الذي جعله له وهو الخالق الذي أبرزها من العدم وخصصها من القدم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن الحيوان ما يعيش في الهواء وما يعيش في الماء وما يعيش على سطح الغبراء وما يعيش في اثنين من ذلك ومنه ما يمشی على قدميه ويداه آلتان لأعماله وتناوله غذاءه أوهما جناحان يركب بهما متن الهواء ومنه ما يمشی على قدميه ويديه ومنهم ما يتناول غذاءه بفيه وما يتناوله بمنقاره وما يتناوله بانفه كالقيل ومنه ما يتناوله بلسانه كالخرباء التي تمد لسانها الطويل المبتل بمادة لزجة تخطف به الذباب وأمثاله من الهواء ومنه ما تنقف بيوضه في داخل جسده عن جنينه ويتم خلفه فيه ثم يلد كالكثير الحيوانات اللبونية ومنه ما تخرج بيوضه منه ثم يتخلق جنينه فيها مهياً له داخلها جميع ما يلزم له من الغذاء وذلك كالطير وبعض الحيات والجرذون ومنه ما لا يتم تلقيح بيوضه بمشي ذكره الا اذا وصل المنى اليها داخله محفوظاً من الهواء وان لحقه الهواء فسد رمته ما يلقي ذكره منيه على بيوضه بعد ان تلقيها أنشاء خارج جسدها وذلك كبعض الاسماك فلا يفسد منيه بالهواء ولا بالماء ومنه ما لا تلد انثاه ما لم تتزوج هي والذكور ومنه ما تلد انثاه بدون مزاجه الذكور وذلك كنوع من الحشرات تلد انثاه بدون مزاجه الذكور وتكون اولادها اناثا فقط وهذه تلد انثا أخرى وهلم جرا الي أن تلد انثا وذكوراً ومنه ما يرضع اولاده بما يعده الخالق من الحليب في ثديه أو أثديته التي تكون على عدد

أولاده غالباً ومنه ما يزرع أولاده زقا كالحمم ومنه ما يسعى بأولاده ويدلهم على أقواتهم كالذجاج ومنه ما يشترك في تربيتهم الذكر والاثني منه وذلك عند ما تكون أولاده غير قادرة على السعي في أول ولادتها وذلك كالعصافير والحمم والانسان لان انفراد الواحد بالتربية مع سعيه لرزقه أيضا يكلفه فوق طاقته ومنه ما تنفرد أثنائه بالتربية وذلك عند ما تكون أولاده قادرة على السعي مع أمها كالذجاج والحجل ومنه ما يترك أولاده غير قادرة على السعي كالغراب يحكي أن ولده كما يخرج من قشر البيضة يخرج من غير ريش فيكون كأنه قطعة لحم أحمر والغراب يفر منه ولا يقوم بتربيته ثم ان البعوض يجتمع عليه لانه يشبه قطعة لحم ميت فاذا وصلت البعوض اليه التقم تلك البعوض واغتذي بها ولا يزال على هذه الحال الي أن يقوي وينبت ريشه وينحفي لحمه تحت ريشه فعند ذلك تعود أمه اليه ومن الحشرات ما تبيض بيضها في محل تبحث عنه بالدقة والاعتناء العظيمين فتضعه بجانب أزرار الاشجار أو أثمارها الجنية لكي عند ظهور صفارها تجرد ما يقيم أود حياتها حتى تترعرع وتموفاتها لو ألقها علي قارعة الطريق بلا اعتناء لقيت الحشرات ومن الغريب أنها تضع ذلك البيض بطريقة لا يتساقط عليه المطر لئلا يتلفه فلما تتم الحشرة هذه العملية تتولي الشمس أمره فتبعث له أشعتها وتكفي الحشرة مؤونة الاعتناء به الي أن يخرج من ظلمات سجنه ومن الحيوان ما يبني الاعشاش لأولاده بكيفيات عسرية اما نقرا في الاشجار واما عمارة بالطين واما غير ذلك ومنه ما يحملهم على ظهره كالحیوان الآكل النمل في أميركا أو يحملهم في جراب عند بطنه يخرجهم وقت حاجة السعي على القوت ويدخلهم فيه عند المنام وهو حيوان في أستراليا ومنه ذو المخرج الواحد تشترك فيه فضلاته وبيوضه ومنه ما ليس كذلك ومنه ما سفاده في وقت معين لا يعدوه ومنه ما سفاده لا يعين في

وقت ومنه ما يملأ أثناء عند السفاد ومنه ما يدبرها ومنه ما يلصق جنبه بجنبها  
ويحاكها حتى تلقي بيوضها وهو يلتصق منه على تلك البيوض فيلقحها وذلك  
كبيض الاسماك ومنه ما بيوضه تحاكي بنقوشها ألوانه كالجلج وبيض الدجاج  
الهندي المسمى بين الناس بدجاج فرعون فان بيوضه مخططة بألوان تحاكي  
ريشه ومنه ما بيوضه بيضاء أو بلون آخر غير مشوب بغيره لا يحاكي ريشه في  
شيء ثم ان بيوضه مختلفة الاشكال والهيآت والمقادير فمنها الكروي والمستطيل  
والكبير والصغير وغير ذلك ومنه ما يلد الواحد ومنه ما يلد الكثير حتى يبلغ  
عددا عظيما ومنه ما يكسى جسده بالريش الذي يحفظه من الحر والقر ويناسبه  
في طيرانه بتكوينه المحكم فانظر الى ريش الجناحين للطائر حيث لا بد من  
امتداده مقدارا معين الكمال طائر وقد جعلت أوائله الشخينة مفرغة لتخف  
عليه في الطيران ولكن مع تفرغها قد جعلت مادتها صلبة لدنة تتحمل القواصل  
ولا تتعصف بسهولة وجعلت أواخر هذا الريش مملوءة بمادة لينة خفيفة  
لا يثقل حملها ذلك تدبير عجيب تجزم عند مشاهدته العقول بحكمة صانعه  
سبحانه ومع ذلك فقد أعطى الطيران غير ذي الريش وهو حيوان مكسو  
بالوبر ويطير بجناحين مكوّنين من جلد رقيق ويخالف بقية الطيور أيضا  
بأنه ذوفم بأسنان وأكف صغيرة نابتة على جناحيه وذلك هو الخفاش الذي  
له خواص الحيوانات اللبونية فيشابهها في هيكله ومنه وتوالده وارضاعه  
ويخالفها بأنه يطير في الهواء كسائر الطيور فسبحان من لا يمكنكم عليه في  
مصنوعاته ناموس ولم تقتصر قدرته على طريقة واحدة من طرق العمل  
فيلزمها ولا يتجاوزها الى غيرها بل يفعل ما يشاء وينوع مخلوقاته على ما يريد  
ومنهم ما هو مكسو بالصوف أو بالشعر أو بالوبر أو بالعظم كالسلاحف أو بالقشور  
الغضروفية ومنه ما ليس عليه الا الجلد والبشرة ومن عجيب لطفه تعالى وتدبيره



أن الحيوانات التي توجد في البلاد الباردة تكون مغطاة بصوف يسمح لها  
 بإمكان المعيشة في تلك المناطق المنخفضة الحرارة هذا ان كانت من الحيوانات  
 ذوات الاصواف وان كانت غير ذلك فيكون لها وقايات مختلفة تقيها نيران  
 البرودة حتي اننا نعرض حيواناتنا التي في بلادنا المعتدلة الي الهلاك العاجل  
 ان نقلناها الي تلك البلاد لعدم استعداد أجسامها لتحمل ذلك المناخ وبعضها  
 من الحيوانات الدنيثة يظل طول الشتاء متحصنا تحت الارض بعضها في حالة  
 خدر أي نوم عميق وبعضها تكون قد استعدت على غنائم تطارد عنها كتائب  
 الجوع ثم في اختلاف هياآته وأشكاله ما يدهش العقول فته الطويل والمستدير  
 ونصف الكرة ومنه طويل اليدين قصير الرجلين كالزرافة ومنه بالعكس  
 كالارنب ومنه قصير العنق ومنه طويله حتي ان بعضه يلف عنقه كما يطوق الجبل  
 وذلك كطائر ا كبر من المصفور يوجد في بلاد الشام ومنه ذو العينين ومنه ذو العيون  
 كبعض العناكب ومنه ذو الذنب ومنه ذو الالية ومنه مستطيل الاذنين ومنه  
 مستديرها ومنه ذو الحافر وذو الظلف وذو الخف وذو القدم وذو البرائن ومنه  
 ذو الكرش لحزن كمية من الطعام النباتي الذي يحتاج الي كمية كثيرة منه لكفاية  
 الغذاء وذلك في اكلة النبات ومنه ما ليس له الا المدة لان غذاءه الحيواني يكفي منه  
 لتغذيته كمية قليلة ومنه ذو الاسنان الصالحة لتمزيق اللحم الذي يكون غذاءه ومنه  
 ذو الاسنان التي تصلح لقضم النبات الذي هو غذاؤه وان في تكوين الاسنان  
 لاسيا في الانسان وترتيب وضعها لعبارة لاولي الابصار فقد وضعت القواطع  
 منها في مقدم القم محدودة صالحة لقطع ما يحتاج لقطعه ويكتنفها الانياب مرآسة  
 تصلح للكسر والتفتيت بحسب شكلها الذي يحكي شكل المعاول وقد اكتنفها  
 الاضراس مستورة عن النظر مكوونه علي شكل تصلح به للسحق والطحن  
 وانظر لوخولف هذا الترتيب فوضعت الاضراس في مقدم القم واخرت

القواطع ماذا كان ينشأ من عسر تناول الغذاء وماذا كان في منظر القوم من البشاعة  
فسيبحان الحكيم الخبير. ثم في اختلاف سلاح الحيوان ما يهر الالباب فنه المخالب  
والانياب والقرون والخرطوم والذبان والسم الناقع والفساء الكريه كما في الظربان  
وفي اختلاف تحصيل رزقه واحتياله عليه لاسيما الحيوان الاعجم عبرة لمن  
يعتبر فنه ما يخطف الحيوانات الصغيرة الطائرة في الهواء مثل الذباب وذلك  
كالخفاف ومنه ما يحفر الارض للوصول الى رزقه ومنه ما يتسلق الاشجار ومنه  
ما يغوص في البحار ومنه ما يطوف في القفار ومنه ما يقف في باب وكرصيده  
ويفسو فساء كرهيا حتى يميته بذلك ثم يأكله وذلك كالظربان مع الضب واختلاف  
اقواته وكيفيه تناوله لها وادخاره اياها أمر في الغرابة عريق فنه ما يقتات  
بالحبوب ومنه بالاوراق ومنه بالاثمار ومنه باللحوم ومنه بالحشرات ومنه  
بانفس القوت ومنه باخبثه واقدره وانجسه وذلك كالخنزير الاهلي ومنه ما  
يلع قوته بلعاً ومنه ما يمضغه مضغاً ومنه ما لا يدخر قوته ومنه ما يدخر قوته  
في الصيف لاوقات الشتاء وذلك كالنحل والنمل ثم في اختلاف ألوانه ما يهيج  
النظر ويحير الفكر فنه الابيض والأحمر والأصفر والأزرق والأسود والمنقش  
بالألوان المختلفة ثم تري النوع الواحد منه متساوي الافراد في لون واحد أو  
متساويها في نقش واحد وذلك كالتراب والحجل وأنواع من المصافير وتري  
نوعاً آخر مختلف الافراد في الألوان كالخيل أو في النقوش كالدجاج ومنه ما نقوشه  
منتظمة بكيفية واحدة كالنمر والطاووس ومنه ما ليس كذلك كالدجاج والحمام  
والقطط وذكر صاحب الرسالة الحميدية أن بعض الماديين يعلل انتقاش جلد  
النمر بأنه في القرون الغابرة كان يجلس تحت الاشجار المظلة قليلاً فتصل اليه  
اشعة الشمس من بين خلال أغصانها فانتقش جلده بذلك النقش قال فليعلل لنا  
عن انتقاش ريش الطاووس بالون الذهبي والاخضر والأزرق والعسلي والأسود

والكحلي وغير ذلك بأشكال منتظمة وتخطيط محكمة وعن انتقاش ريش الديكة التي لايري واحد منها الا بانتقاش غريب عن كثير من أفراد نوعه وعن انتقاش ريش الورور والحسون وأمثال ذلك كثير ومما يقضي منه بالمعجب في الحيوان أصواته ومناظره فنه المطرب الذي يهيج بصوته القلوب ومنه ذوالصوت المنكر الذي يصم الاذان ومنه الجميل الذي يستوقف الطرف كالطاووس والزرافة وبعض الديكة وابدع الجميع جمالا. وأظرفها مثالا. الحسان من نوع الانسان فهناك دهشة النظر وحيرة الفكر والاخذ بمجامع القلوب والسطوة على الالباب والسلطة على أهبة الجبارة والحكام ومنه ما تشعشع منه الجلود وترجف القلوب كالرتيلاء والثيبان والخنزير والسعدان ثم منه ما يختص بأثني ومنه ما ليس كذلك ومنه الذي يسعي لرزقه منفر داومنه ما يسعي اليه مجتمعا أسرابا وهذا منه ما يكون اجتماعه على نظام الجمهورية ومنه ما يكون على نظام الملكية ويقم الحرس ويقدم الدليل والرائد للماء والكلأ واختلاف أخلاقه أمر عجيب قد الفت فيه الكتب فمنه الجريء والجبان. وقريب الالعة للانسان. وبعبدها وغير ذلك وكذلك اختلافه في القوة والضعف والصبر على عدم القوت وضد ذلك ومقاومة الفواعل الخارجية وعدم مقاومتها فنه ما لو نخس بآبرة في نخاعه الشوكي لمات في الحال وبطلت حياة كما قيل في الانسان ومنه ما لو قطعتة ثلاث قطع رأسه ووسطه وذنبه وتركته بعض أيام لرايت الرأس قد نبت له بدن وذنب والوسط قد نبت له رأس وذنب والذنب قد نبت له رأس ووسط وكل منها قد رجع حيوانا والرأس يصير كذلك قبل سواه وذلك كحيوان يسمى الهيدرا من الحيوانات الصغيرة فكل هاتيك الاختلافات دلائل شاهدة بان صانع هذا العالم الحيواني لا يحكم عليه في صنعه ناموس ولا تلجئه ضرورة الى التزام طريقة واحدة في ابداعه بل هو واسع القدرة والعلم والتدبير ينشيء نوعا على كيفية

تكون كافية له في معاشه وقيام نظام حياته كاملة في زينة مرآه وينشيء نوعا آخر منه بكيفية هي بالضد من الكيفية الاولى وتكون كافية تلك الكفاية وكاملة ذلك الكمال تبيها للعقول وايقاظا للافهام أنه فاعل مختار لا يعجزه شيء ولا يئزب عن علمه غيب سبحانه وتعالى عما يقول الجاهلون. قال صاحب الفلسفة الحقّة الحيوانات على وجه العموم تختلف في طبائعها وأطوارها وأجناسها وهي تختلف أيضا في مآكلها فبعضها التي تسمى بالحيوانات الكاسرة تأكل لحوم غيرها من الحيوانات الأدنى منها فتسلق وراءها شوامخ الجبال وتنزل خلفها إلى الوديان حتى تتركها فتستعين حينئذ على تمزيقها بمالها من المخالب المناسبة تمام التناسب لهذه الغاية ومالها من الأنياب الحادة وبعد ذلك بتدبيره في انتهاشها بمالها من الأضراس الموضوعة بأوضاع محكمة جداً لتكسير عظامها وطحن لحومها بدون مكابدة أي صعوبة ولا كبير اجهاد ومنها ما يسمى بالقراضة كالقار مثلاً وأسنانها موضوعة على حسب ما أكلها فلا أنياب لها لعدم احتياجها إليها ومنها ما تسمى بالمجتره ولها ستة أضراس ولفكها حركات من الجانبين ولها أربعة معدّات لأنها آكلة للنباتات ولا يخفى أنها صعبة الأضمخام \* أولها معدة لتخزين الحشائش التي تأكلها بعد أن تمضغها مضغاً غير تام وبعد قليل يحصل في هذه المعدة مجهودية تطرد هذه الحشائش إلى القم فيطحنها الحيوان ثم يرددها فتنزل إلى المعدة الثالثة ثم الرابعة أما أمعاؤها فيبلغ قدر طولها خمسة وعشرين مرة . فانظر هديت إلى الاعتناء بأمر هذه الحيوانات التي جعل لها أربع معدّات يمر إليها الأكل تباعاً ليتم انصلاحه . أليس من مزيد العناية ومدحش الصناعة ان توضع هذه بطريقة بها بعد ان ينزل الغذاء إلى المعدة ينطرد إلى المعدة الثانية ومنها إلى القم ثم منه إلى المعدة الثالثة ولا ينزل إلى الأولى كما حصل أول مرة أما الحيوانات التي تطير في الهواء فهي لا تكاد

تحصر اكثرها منها الكبير جداً ومنها المتناهي في الصغر ومنها الجوارح أي سباع  
الطيور وهي تأكل اللحوم كالسباع وهي ذات أعضاء مجعولة لهذه الغاية  
حيث ان لها مناقير قوية وأظافر حادة متينة كالمقاب والنسر ومن هذه  
الطيور ليلية وهذا الصنف يكون له عينان كبيرتان موجودتان أمام الرأس  
وبعضها يتغذى بالحشرات ويكون منقارها مناسباً لذلك أي طويلاً وبعضها  
قاعدة غذائها الجيوب ويكون منقارها قصيراً مخروطي الشكل . هذا التناسب  
الجهاني موجود فيها عدا عن رقة رقصها . ودقة نقشها . مما يستلفت الناظر .  
ويسر الخاطر . ومن بعض أنواعها ما هو ضروري الوجود لحفظ حياة بني  
الانسان بحيث انها لو فقدت لم يمكنه الحياة بدونها واليك ما قال في شأنها  
المسيو أوجين سيرفين وهو أحد علماء الزراعة في فرنسا قال المصافير هي التي  
تحفظ لنا ثروتنا وتحمي لنا محصولاتنا وتساعدنا في زراعاتنا ويمكن أن يقال  
مميزاً بالبرهان ان العصفور يمكنه أن يعيش بدون الانسان بخلاف هذا  
الاخير فانه لا يستطيع أن يعيش بدون العصفور ( تأمل ) فبدونه كانت  
الحشرات تأكل كل شيء فهو ان لم يكن موجوداً يكون القمح والاعشاب  
الحضراء والمراعي النضراء والقواكه اليانعة غنيمة باردة لعشرات الالوف من  
أنواع الحشرات التي لا يمكننا ان ندفعها عن أنفسنا فاذا كان لكل نبات حشرة  
فكذلك لكل نبات عصفور يدافع عنه ويحمله من تلك الحشرة غذاءه .  
هذه المصافير ترفع قشور الاشجار لاجل ان تكتشف على الحشرة المضررة  
التي تبيض هناك والتي تنخر صغارها أخشاب تلك الاشجار . والمصافير المسماة  
بكمائن تبحث في داخل أزهار مزروعاتنا على بيض أو صغار الحشرات فتقتبها  
وبذلك تنجي النباتات من الخطر الذي يلقحنا من تلك الحيوانات وبالجملة  
فهؤلاء المصافير هم صيادون لا يعتريهم تعب ولا نصب في صيد الحشرات





فلا يزال يرمي نفسه عليها الى ان ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكاً مؤبداً  
فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان  
احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقي في النار ابد الآباد أو مدة مديدة  
ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اني ممسك بحجزكم  
عن النار وأنتم تهافتون فيها تهافت الفراش قال صاحب الرسالة  
الحمدية ولعلك تظن ان البعوض أصغر الحيوانات لانك لم تسمع بالحيوانات  
التي لا ترى الا بالمكروسكوب الذي أظهر عوامها المتوغلة في الصخر فتلك  
المخلوقات الخفية تسمى النقايات لانها اكتشفت أولاً في نقاعة الاعشاب  
ومع ان الوفا وربوات منها تسبح في فطرة من الماء دون أن تزدهم أو  
تتصادم فلها الحياة وكل آلتها وهي أجناس وأنواع وصنوف وصور  
مختلفة فمنها النقايات الفصفورية التي يجتمع منها خلق كثير لا يحصى على وجه  
البحر فتلمع وتتوقد كسيل من نار وكلها لاتنام ليلاً ولا نهاراً ولم ترقط في حال  
السكون الا قبل خروجها من جراثيمها وقد تبين من بحث علماء الحيوان أن  
مائة وستين مليوناً من صغارها لم تبلغ ثقل قمحة واحدة وأن في قطرة واحدة  
من الماء ما يزيد عن كل أهل الارض من البشر وراقبوا بعضها فرأوا الواحدة  
منها قد تلد ألوف الألوف في زمن قصير ثم ان لتلك النقايات أعضاء  
كثيرة مختلفة ولها سعي في طلب معاشها وميل الي ما يلائم ونفور عما يضر  
ونباهه تتق بها الاخطار ولا يصدم واحد منها صاحبها أو يزاحمه مع أن الوفا  
وملايين وربوات تسبح في قطرة واحدة من الماء كما قدمنا وهي سريعة  
الحركة جدا والغاية في صغرها ما ذكره بعضهم أن نوعاً منها لا يزيد الواحدة  
منه على جزء من أني جزء من الشعرة ولكل منها أعضاء خادمة لحياتها  
فتبارك الخلاق القدير اه فهذه لمعة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى في أصغر



الحيوانات وفيها من العجائب ما لو اجتمع الاولون والآخرون على الاحاطة  
بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جليلة من ظاهر صورته فأما  
خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها الا الله تعالى وكيف يمكن أن يستقصى ذلك  
بل لو أردنا أن نذكر عجائب النملة أو النحلة أو العنكبوت وهي من صغار  
الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي الفها لزوجها وفي ادخارها  
لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجاتها لم تقدر على ذلك  
فتري العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين  
بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالحيط بين طرفيه ثم  
يبتدىء ويلقى اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يندو الى الجانب  
الآخر فيحكم الطرف الآخر من الحيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد  
ما بينهما متناسبا تناسب هندسيا حتى اذا أحكم معاقد القمط ورتب الحيوط  
كالسدي اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدي ويضيف بعضه الي بعض  
ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدي ويراعي في جميع ذلك تناسب  
الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البعوض والذباب ويقعد في زاوية مترصدا  
لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد يادر الى أخذه واكله فان عجز عن  
الصيد كذلك طاب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط  
ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فاذا  
طارت رمي بنفسه اليه فأخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله وما  
من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من العجائب ما لا يحصي أقترى أنه تعلم هذه  
الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو عله أولا هادي له ولا  
معلم أفيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه  
الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أفلا يشهد

هو بشكله وصورته وحركته وهدايته ومعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم وللنمل تدير عجيب في ادخار قوته فانه يتخذ القرية تحت الارض وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلقة يملؤها حبوبا وذخائر للشتاء ثم اذا لحق ذخيرته رطوبة الارض وخاف العفن على الحب اخرج به الى ظاهر الارض ونشره وأكثر ما يفعل ذلك ليلا في ضوء القمر واذا احتكر ما يخاف انباته قسمه نصفين ما خلا الكسفرة فانه يقسمها ارباعا لما ألهم من أن كل نصف منها ينبت فسبحان الهادي المبين ومنه نوع يوجد في الرمال يسمي بنمل الاسد ويسميه البعض بأسد النمل لان مقدمه يشبه وجه الاسد ومؤخره يشبه النمل وهذا يحفر قليبا في الرمل ويستتر في أسفله فاذا وقع فيه حيوان من نوع صيده اقتربه واذا وقع فيه مالا يصلح لغذائه دفعه بحركة عجيبه تخرجه الى خارج القليب ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصصه لا يشاركه فيها غيره فانظر الى النحل ومعجائبها وكيف أوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يرشون وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء وجعل الآخر شفاء ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الازهار والانوار واحترازها عن النجاسات والاقذار وطاعتها لواحد من جملتها هو اكبرها شخصا وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والانصاف بينها حتى انه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت منها عجبا آخر العجب ان كنت بصيرا في نفسك وقارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة اخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر الي بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال الشكل المسدس فلا تبني بيتا مسديرا ولا مربعا ولا خمسا بل مسدسا لخاصية في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها وهو

أن أوسع الاشكال وأحواها المستديرة وما يقرب منها فان المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتي لا تضيق الزوايا فتبقي فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فان الاشكال المستديرة اذا جمعت لم تجتمع متراسة ولاشكل في الاشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه لطفابه وعناية لوجوده وما هو محتاج اليه ليتنأ بعبثه فسبحانه ما أعظم شأنه. وأوسع لطفه وامتنانه. فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تحير فيه الالباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضا لا حصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطبائعها غير محصورة واما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة نعم اذا رأي حيوانا غريبا ولو دودا تجدد عجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والانسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر الى الانعام التي ألحقها ونظر الى أشكالها وصورها ثم الى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباسا لخلقها وأكفنا لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لاشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادي والمفازات البعيدة لاكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها الا بعلم محيط بجميع منافعها سابق علي خلقه أيهاة سبحان من الامور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل

مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيدة فما للخلق الا الاذعان  
لقهره والاعتراف بربوبيته. والاقرار بالمعجز عن معرفة جلاله وعظمته. فمن ذا  
الذي يحصى ثناء عليه بل هو كما أثني على نفسه وانما غاية معرفتنا الاعتراف  
بالمعجز عن معرفته. فنسأل الله أن يكرمنا بهدايته بمنه ورافته.

﴿المطلب الثاني في كيفية التفكير في الحيوان على ﴿﴾  
( مقتضى ما تدل عليه الآيات القرآنية )

قال تعالى في سورة النحل ( والأَنْعَامُ خَلْقَهَا ) الانعام عبارة عن الأزواج  
الثمانية وهي الضأن والمعز والابل والبقر قال صاحب الكشاف وأكثر ما يقع  
هذا اللفظ على الابل واعلم أن أشرف الاجسام بعد الافلاك والكواكب  
هو الانسان ثم ان أشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان  
سائر الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفة وهي الحواس الظاهرة والباطنة  
والشهوة والغضب ثم هذه الحيوانات قبان منها ما ينتفع الانسان بها ومنها  
ما لا يكون كذلك والقسم الاول أشرف من الثاني لانه لما كان الانسان  
أشرف الحيوانات وجب في كل حيوان يكون انتفاع الانسان به أكل وأكثر  
أن يكون أكل وأشرف من غيره ثم نقول والحيوان الذي ينتفع الانسان  
به اما أن ينتفع به في ضروريات معيشته مثل الاكل واللبس اولا يكون  
كذلك وانما ينتفع به في أمور غير ضرورية مثل الزينة وغيرها والقسم الاول  
أشرف من الثاني وهذا القسم هو الانعام فاللهذا السبب بدأ الله بذكره في  
هذه الآية فقال والانعام خلقها ( لكم فيها دفاء ) لما ذكر انه خلق الانعام للمكلفين  
أتبعه بتعديد تلك المنافع واعلم أن منافع النعم منها ضرورية ومنها غير ضرورية  
والله تعالى بدأ بذكر المنافع الضرورية فالمنفعة الاولى قوله لكم فيها دفاء  
والدفاء ما يستدفاً به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من صوف النعم

أوبرا الابل أو شعر المعز قال الاصمعي ويكون الدفء السخونه ( ومنافع ) هي  
نسلها ودرها وركوبها والحمل عليها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر تعالى بلفظ  
المنفعة وهو اللفظ الدال على الوصف الاعم لان النسل والدر قد ينتفع به  
في الاكل وقد ينتفع به في البيع بالنقود وقد ينتفع به بأن يبذل بالثياب  
وسائر الضروريات فمبصر عن جملة هذه الاقسام بلفظ المنافع ليتناول الكل  
( ومنها تأكلون ) يعني من لحومها وتقديم الظرف للايدان بأن الاكل منها  
هو الاصل الذي يعتمده الناس في معاشهم وأما الاكل من غيرها كالذجاج  
والبط وصيد البر والبحر فيشبه غير المعتاد وكالجارى مجري التفكه أو للايدان  
بأن غالب أطمعتكم منها لانكم تحرثون بالبقرا الحب والثمار التي تأكلونها  
وأيضاً تكتسبون باكراء الابل وتنتفعون بألبانها ونتاجها وجلودها ولما  
ذكر تعالى المنافع الضرورية الحاصلة من الانعام بدأ بذكر المنافع الحاصلة من  
الانعام التي هي ليست بضرورية فقال ( ولكم فيها جمال ) أي زينة في أعين  
الناس ووجاهة عندهم ( حين تريحون ) تردونها من مراعيها الى مراعيها  
بالعشى ( وحين تسرحون ) تخرجونها بالامداة من حظائرهما الى مسارحها قال  
أهل اللغة هذه الراحة أكثر ما تكون أيام الربيع اذا سقط الغيث وكثر  
الكلاء وخرجت السرب للنجعة وأحسن ما يكون النعم في ذلك الوقت واعلم  
ان وجه التجميل بها في ذينك الوقتين أن الراعي اذا راوحها بالعشى وسرحها  
بالغداه تزيت عند تلك الراحة والتسريح الافنية والاكناف بها وتجاوب  
ثغاؤها ورغاؤها وفرحت أربابها وعظم وقمهم عند الناس بسبب كونهم  
مالكين لها وأما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى أربابها وعند  
كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديماً لراحة على  
السرح لكونها أظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال وأتم في استجلاب

الانس والبهجة اذ فيها حضور بعدغية واقبال بعد ادبار على أحسن ما يكون  
ملاى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع (وتحمل أثقالكم) جمع ثقل  
وهو متاع المسافر وقيل أثقالكم أجرامكم (الى باد) غير بلد كم أردتم السفر  
اليه (لم تكونوا بالنيه) واصلين اليه بأنفسكم مجردين عن الأثقال لولا الابل  
(الآبشق الانفس) أى الآ بكلفة ومشقة والشق أيضا نصف الشيء والمعنى  
على هذا لم تكونوا بالنيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها ويرجع عند  
التحقيق الي المشقة ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الانعام  
مدارا للنم السابقة الي الجملة العملية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بأن هذه  
النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات  
والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النم السالفة فانها بحسب المنشأ خاصة  
بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المنقلبين فيها للتجارة  
وغيرها في أحيائين غير مطردة وأما سائر النم المدودة فوجوده في جميع  
أصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما أو في عامة الاوقات  
(ان ربكم لرؤف رحيم) ولذلك أسبغ عليكم هذه النم الجليلة ويسر  
لكم الامور الشاقة (والخيل) عطف على الانعام أى خلق الخيل  
(والبغال والحمير لتركبوها) تمليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها في  
الحمل أيضا مما لا ريب في تحققه (وزينة) عطف على محل لتركبوها وتجريده  
عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل الممل وهو خلق دون الاول وتأخير  
لكون الركوب أهم منه أو مصدر لفعل محذوف أي وتزينوا بها زينة  
(ويخلق مالا تعلمون) أي يخلق في الدنيا غير ما عدد من أصناف النم لكم  
مالا تعلمون كنهه وكيفية خلقه وتركيبه من الاشياء العجيبة الغريبة مما لم تكن  
تعلمه العرب من المركبات البخارية والكهربائية فانها معدة للزينة والركوب كما أن

الخيل ونحوها في زمان العرب كانت هي المعدة للزينة والركوب وهذا لا ينافي أن الآية شاملة لكل ما لا نعلمه من الحيوانات وغيرها ولذلك قال الامام نجر الدين اعلم أنه تعالى لما ذكر أولاً أحوال الحيوانات التي ينتفع الانسان بها انتفاعاً ضرورياً وثانياً أحوال الحيوانات التي ينتفع الانسان بها انتفاعاً غير ضروري بقي القسم الثالث من الحيوانات وهي الاشياء التي لا ينتفع الانسان بها في الغالب فذكرها على سبيل الاجمال فقال ويخلق ما لا تعلمون وذلك لان أنواعها واصنافها وأقسامها كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء ولو خاض الانسان في شرح عجائب أحوالها لكان المذكور بعد كتبه المجلدات الكثيرة كالقطرة في البحر فكان أحسن الاحوال ذكرها على سبيل الاجمال \* وقال تعالى في سورة النحل أيضاً (وان لكم في الانعام لعلبة) اعتباراً ودلالة يعبر بها من الجهل الى العلم اذا فكرتم فيها عرقتم بها كمال قدرتنا أي عبرة عظيمة وأي عبرة تحار في دركها العقول. وتهيم في فهمها ألباب الفحول. (نسقيكم) استئناف لبيان ما أبهم أولاً من العبرة (مما في بطونه) أي في بطون الانعام والتذكير لمراعاة جانب اللفظ لان لفظ الانعام لفظ مفرد وضع لاقادة جمع كالرھط والقوم فيصح أن يكون ضميره ضمير الواحد وهو التذكير بحسب اللفظ وان يكون ضميره ضمير الجمع والتأنيث بحسب المعنى فلذا قال في سورة المؤمنون نسقيكم مما في بطونها (من بين فرث) وهو فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعى (ودم لبنا خالصاً) أي صافياً عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف (سائناً للشاربين) سهل المرور في حلقهم قيل لم ينص أحد باللبن قط قال الامام نجر الدين ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته ان كان انساناً والي كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول

فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون ذلك الدم مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائة أما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة وأما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي رخو أبيض فيقلب الله تعالى الدم عند انصبابه الى ذلك للحم الغددي الرخو الأبيض من صورة الدم الى صورة اللبن اذا عرفت هذا فنقول المراد من الآية هو ان اللبن انما يتولد من بعض أجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الثمرات وهي الاشياء المأكولة الخاصة في الكرش وهذا اللبن متولد من الاجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الثمرات أولاً ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانياً فصفاه الله تعالى عن تلك الاجزاء الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل واعلم ان حدوث اللبن في الثدي واتصافه بتلك الصفات مشتمل على حكم عجيبة واسرار بديعة يشهد صريح العقل بانها لا تحصل الا بتدبير الفاعل الحكيم والمدبر الرحيم وبيانه من وجوه\* الاول انه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء أو شرية رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كلياً لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب الي أن يكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فينتد ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل وهذا من العجائب التي لا يمكن حصولها الا بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى بقاء الغذاء في المعدة حاصلة انطبق ذلك المنفذ واذا حصلت الحاجة الي خروج ذلك الجسم عن المعدة انفتح



فصول الانطباق تارة والافتتاح أخرى بحسب الحاجة وتقدير المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير الفاعل الحكيم \* الثاني انه تعالى أودع في الكبد خاصية جذب الاجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول أو المشروب ولا تجذب الاجزاء الكثيفة وخلق في الامعاء خاصية جذب تلك الاجزاء الكثيفة التي هي الثقل ولا تجذب الاجزاء اللطيفة البتة ولو كان الامر بالعكس لاختلت مصلحة البدن وتفسد نظام هذا التركيب \* الثالث انه تعالى أودع في الكبد خاصية للهضم والطبخ حتى أن تلك الاجزاء اللطيفة تنطبخ في الكبد وتنقلب دما ثم انه تعالى اودع في المرارة خاصية جذب الصفراء وفي الطحال خاصية جذب السوداء وفي الكلية خاصية جذب زيادة المائة حتى يبقى الدم الصافي الموافق لتغذية البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بخاصية من تلك الخواص لا يمكن الا بتقدير الحكيم العليم \* الرابع أن في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الام ينصب من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنمو أعضاء ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الي جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا الي الرحم ولا الي الثدي بل ينصب علي مجموع بدن المتغذي فانصباب ذلك الدم في كل وقت الي عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة والحكمة لا يتأتى الا بتقدير الفاعل المختار الحكيم \* الخامس أن عند تولد اللبن في الضرع احدث تعالى في حلقة الثدي ثقوبا صغيرة ومسام ضيقة وجعلها بحيث اذا اتصل المص أو الحلب بتلك الحلقة انفصل اللبن عنها في تلك المسام الضيقة ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا فحينئذ لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء واللطافة وأما الاجزاء الكثيفة فانه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل فالحكمة في احداث تلك الثقوب

الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس حامة الثدي أن يكون ذلك كالمصفاة فكل ما كان لطيفاً خرج وكل ما كان كثيفاً احتبس في الداخل ولم يخرج فهذا للطريق يصير ذلك اللبن خالصاً موافقاً لبدن الصبي سائماً للشاربين \* السادس أنه تعالى ألهم ذلك الصبي الي المص فان الام كلما ألقمت حلقة الثدي في فم الصبي فذلك الصبي في الحال يأخذ في المص فلولا أن الفاعل المختار الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص والالم يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي \* السابع أنا بينا انه تعالى انما خلق اللبن من فضلة الدم وانما خلق الدم من الغذاء الذي يتناوله الحيوان فالشاة لما تناولت العشب والماء فالله تعالى خلق الدم من لطيف تلك الاجزاء ثم خلق اللبن من بعض أجزاء ذلك الدم ثم ان اللبن حصلت فيه أجزاء ثلاثة على طبائع متضادة فما فيه من الدهن يكون حاراً رطباً وما فيه من المائبة يكون بارداً رطباً وما فيه من الجبينية يكون بارداً يابساً وهذه الطبائع ما كانت حاصلة في ذلك العشب الذي تناولته الشاة فظهر بهذا أن هذه الاجسام لا تزال تنقلب من صفة الي صفة ومن حالة الي حالة مع انه لا يناسب بعضها بعضاً ولا يشاكل بعضها بعضاً وعند ذلك يظهر أن هذه الاحوال انما تحدث بتدبير فاعل حكيم رحيم يدبر احوال هذا العالم على وفق مصالح العباد فسبحان من تشهد جميع ذرات العالم الأعلى والأسفل بكمال قدرته ونهاية حكمته ورحمته . له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم قال تعالى ( وأوحى ربك الى النحل ) أي ألهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعده الا العليم الخبير ( أن اتخذني ) أي بان اتخذني علي أن أن مصدرية ويجوز أن تكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول ( من الجبال بيوتا ) أي أوكارا تأوين اليها وانما سمي ماتبنيه لتعسل فيه بيتا تشبها له بيت الانسان ( ومن الشجر وما يعرشون ) أي

يعرشه أي يرفعه الناس ويبنونه للنحل وذلك أن النحل منه وحشى وهو الذي يسكن الجبال والشجر ولا يتمهدا أحد من الناس ومنه اهلى وهو الذي يأوي الى البيوت وتربيه الناس عندهم فالاول هو المراد بقوله ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر والثانى هو المراد بقوله ومما يرشون وهو خلايا النحل وايراد من التبعية لما أنها لاتبنى في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان بل في مساكن توافق مصالحها وتليق بها قال الامام نخر الدين قوله وأوحى ربك الى النحل يقال وحى وأوحى وهو الالهام والمراد من الالهام انه تعالى قرر في أنفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وبيانه من وجوه \* الاول انها تبنى البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت الا بالآلات وأدوات مثل المسطر والفرجار \* الثانى انه ثبت في الهندسة أن تلك البيوت لو كانت مشككة باشكال سوي المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة أما اذا كانت تلك البيوت مسدسة فانه لا يبقى فيما بينهما فرج ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب \* الثالث أن النحل يحصل فيما بينها واحد يكون كالرئيس للبقية وذلك الواحد يكون أعظم جثة من الباقى ويكون نافذ الحكم على تلك البقية وهم يخدمونه ويحملونه اذا تعب عند الطيران وذلك أيضا من الاعاجيب \* الرابع انها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا أرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطنبور والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى وكرها وهذا أيضا حالة عجيبة فلما امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والكياسة وكان حصول هذه

الانواع من الكياسة ليس الا على سبيل الالهام وهي حالة شبيهة بالوحي  
 لا جرم قال تعالى في حقها وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى الخ ( ثم كلى  
 من كل الثمرات ) أي من كل ثمرة تشبهها حلوها ومرها ( فاسلكي ) ما أكلت  
 منها ( سبل ربك ) أي مسالكه التي برأها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة  
 النور المر عسلا من أجوافك أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل  
 أو فاسلكي الطرق التي ألهمك الله تعالى أن تسلكها وتدخل فيها لا لجل  
 طلب الثمار وراجعة الى بيوتك ( ذللا ) جمع ذلول حال من السبل أي مسخرة  
 لك فلا تسرع عليك وان توعدت ولا تضل عن العود منها وان بعدت وذلك  
 انها اذا أجدب عليها ما حولها سافرت الى المواضع البعيدة في طلب النجعة  
 ثم ترجع الى بيوتها من غير التباس وانحراف وأشار باسم الرب الى انه لولا  
 عظيم احسانه في تربيتها لما اهتدت الى ذلك وقيل ذللا حال من الضمير في  
 اسلكي أي مذلة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتي انهم ينقلونها من  
 مكان الى مكان آخر حيث شاؤا وارادوا لا تستمعي عليهم وقال بعضهم أي  
 منقادة لما يراد منك ولذا يقسم يعسوبها أعمالها بينها فبعض يعمل الشمع  
 وبعض يعمل العسل وبعض يثني الماء ويصبه في البيت وبعض يبنى البيوت  
 فسبحان من أعطي كل شيء خلقه ثم هدى ( يخرج من بطونها ) استئناف عدل به  
 عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع  
 العبرة بعدما أمرت بما أمرت ( شراب ) أي عسل لانه تارة يشرب وحده وتارة  
 يتخذ منه الاشربة ( مختلف ألوانه ) ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من  
 ألوان العسل والمقصود منه ابطال القول بالطبع لان هذا الجسم مع كونه  
 متساوي الطبيعة لما حدث على ألوان مختلفة دل ذلك على أن حدوث  
 تلك الالوان بتدبير الفاعل المختار لا لاجل ايجاب الطبيعة ( فيه ) أي

الشراب الذي يخرج من بطون النحل (شفاء للناس) أي شفاء الاوجاع التي  
 يعرف شفاؤها منه يعني انه من جملة الاشفية المشهورة النافعة لأمراض  
 الناس وليس المراد انه شفاء لكل مرض كما قال في حياة الحيوان قوله فيه شفاء  
 للناس لا يقتضى العموم لكل علة وفي كل انسان لانه نكرة في سياق الاثبات  
 بل المراد أنه يشفي كما يشفي غيره من الادوية في حال دون حال قال البيضاوي  
 فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر  
 الامراض اذ قلما يكون معجون الاوالمسل جزء منه وأما السكر فمختص  
 في بعض الامراض وهو محدث ولم يكن فيما تقدم من الازمان يجعل في  
 الاشربة والادوية الاالمسل ومنافعه كثيرة جدا (ان في ذلك) الذي ذكر من  
 أعاجيب آثار قدرة الله تعالى (لآية) عظيمة (لقوم يتفكرون) فان من تفكر  
 في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن  
 الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بالآلات رقيقة  
 وأدوات أنيقة وأنظار دقيقة جزم قطعان له خالقا قادرا حكما يلهمها ذلك  
 ويهديها اليه جل جلاله قال المتقدمون من الحكماء انه تعالى دبر هذا العالم على  
 وجه وهو أنه يحدث في الهواء ظل لطيف في الليالي ويقع ذلك الظل على أوراق  
 الاشجار فقد تكون تلك الاجزاء الطلية لطيفة صغيرة متفرقة على الاوراق  
 والازهار وقد تكون كثيرة بحيث يجتمع منها أجزاء محسوسة . أما القسم  
 الثاني فهو مثل الترنجبين فانه ظل ينزل من الهواء ويجتمع على أطراف الطرفاء  
 في بعض البلدان . وأما القسم الاول فهو الذي ألهم الله تعالى هذا النحل حتى انها  
 تلتقط تلك الذرات من الازهار وأوراق الاشجار بأفواهها وتأكلها وتمتدني بها  
 فاذا شبعتم التقت بأفواهها مرة أخرى شيئا من تلك الاجزاء وذهبت بها الى  
 بيوتها ووضعها هناك لانها تحاول أن تدخر لنفسها غذاءها فاذا اجتمع في بيوتها

من تلك الاجزاء الطلية شيء كثير فذلك هو العسل وقد مال الى هذا القول  
بعض العلماء والذي عليه جل العلماء هو أن النحل تأكل من الازهار والاوراق  
العطرة فتستحيل في بطونها عسلاً بقدره الله تعالى ثم تخرجه ادخاراً للشتاء  
فيسيل من أفواها كاللغاب ويدل على ذلك قوله تعالى يخرج من بطونها  
لان لفظ البطن اذا أطلق لم يرد به الا العضو المعروف بطن الانسان وغيره  
من الحيوان ويدل على ذلك أيضاً ما يشاهد من أن العسل يوجد فيه طعم  
تلك الازهار التي يأكلها النحل وكذا يوجد ريحها فيه أيضاً ولو كان العسل  
من الترنجيبين لكانا على لون واحد وطبيعة واحدة ومنفعة واحدة مع انه ليس  
كذلك فان الترنجيبين على لون واحد والعسل له ألوان متعددة ومزاج الترنجيبين  
معتدل الي الحرارة ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية والترنجيبين  
يسهل الصفراء بلطف والعسل يضر بالصفراويين ولا ينافي هذا قوله تعالى فيه  
شفاء للناس لما ذكرناه من انه تعالى لم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء  
وفي كل حال بل لما كان شفاء للبعض ومن بعض الادواء صلح بان يوصف  
بانه فيه شفاء وعلى فرض صحة ما قالوه من ان العسل من الطل فن أين هذا  
الشيء التي تبني منه بيوتها ولئن صح ما ذكرود فوجود النحل والعسل يدل  
على وجود الاله الفاعل المختار الحكيم من وجوه . الاول اختصاص النحل  
بتلك العلوم الدقيقة والمعارف الغامضة مثل بناء البيوت المسدسة وسائر الاحوال  
التي ذكرناها \* والثاني اهتداؤها الى جمع تلك الاجزاء المسلية من اطراف  
الاشجار والاوراق \* والثالث خلق الله تعالى تلك الاجزاء النافعة في جو  
المواء ثم القاؤها على اطراف الاشجار والاوراق ثم الهام النحل الى جمعها بعد  
تفريقها وكل ذلك أمور عجيبة دالة على ان الاله العالم بنحو ترتيبه على رعاية الحكمة  
والمصلحة والله أعلم \* وقال تعالى في سورة النحل، أيضاً ( ألم يروا الي الطير )

تقرير لمن ينظر اليهن وتعجيب من شأنهن والطير جمع طائر أى ألم ينظروا إليها ليستدلوا بها على قدرة الله تعالى (مسخرات) مذللات للطيران وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشئ منقاداً لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير الفلك والبحر للانسان والواقع هنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى ( في جو السماء ) أى فى الهواء بين السماء والارض و اضافته الى السماء لما أنه فى جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ( ما يمسكهن ) فى الجوع عن الوقوع حين قبض اجنحتهن تارة وبسطها تارة ووقوفهن أخرى ( الا الله ) عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها تمسكها قال الامام نحر الدين فى قوله تعالى ألم يروا الى الطير مسخرات فى جو السماء هذا دليل آخر على كمال قدرة الله تعالى وحكمته فانه لولا انه تعالى خلق الطير خلقة معها يمكنه الطيران وخلق الجو خلقة معها يمكن الطيران فيه لما أمكن ذلك فانه تعالى اعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويكسره أخرى مثل ما يعمله السابح فى الماء وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكناً اما قوله ما يمسكهن الا الله فالعنى ان جسد الطير جسم ثقيل والجسم الثقيل يمتنع تقاؤه فى الجو معلقاً من غير دعامة تحته ولا فوقة فوجب ان يكون الممسك له فى ذلك الجو هو الله تعالى ( ان فى ذلك ) الذى ذكر من تسخير الطير للطيران (آيات) أى دلالات ظاهرة (لقوم يؤمنون) أى من شأنهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم (والله غيرهم جعل لكم) أى لصلحتكم ومنفعتكم (من يوتكم) المعهودة التى

تبنونها من الحجر والمدر (سكننا) فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه أى جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمثون به من غير أن ينتقل من مكانه (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) أى بيوتا آخر مغايرة لبيوتكم المعهودة وهى الخيام والقباب والاخبية والفساطيط وذلك فى بعض الناس كالعرب والسودان فانهم يتخذون خيامهم من الجلود كذا قال المفسرون . وأقول ان الآية شاملة لعربات الركوب المستحدثة للمترفين من أهل المدن قالوا ويجوز ان يتناول المتخذة من الصوف والوبر والشعر فانها من حيث انها ثابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) أى وقت ترحلكم وسفركم (ويوم اقامتكم) أى وقت حضركم ونزولكم فى الضرب والبناء (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) عطف على قوله تعالى من جلود والضماير للانعام على وجه التنويع أى وجعل لكم من أصواف الضأن وأوبار الابل وأشعار المعز (أثنا) أى متاع البيت وأصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر أثيث (ومتاعا) أى شياً يتمتع به بفنون التمتع والاقرب ان الاثا ما يكتسى به المرء ويستعمله فى الغطاء والوظاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويزين به (الى حين) الى أن تقضوا منه أوطاركم أو الى أن يبلى ويفنى فانه فى معرض البلاء والفناء وقيل الى أن تموتوا \* وقال تعالى فى سورة المؤمنون (وان لكم فى الانعام لعبرة) بيان للنعمة الفائضة عليهم من جهة الحيوان وقد بين انها مع كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من أن يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل ولطيف حكمته وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه (نسقيكم مما فى بطونها) تفصيل لما فيها من مواقع العبرة والمراد منه جميع وجوه الانتفاع بالبانها ووجه الاعتبار فيه انها تجتمع فى الضروع وتخلص من بين القرث



والدم باذن الله تعالى فتستحيل الى طهارة والي لون وطعم موافق للشهوة وتصير  
غذاء فمن استدل بذلك على قدرة الله وحكمته كان ذلك معدودا في النعم  
الدينية ومن انتفع به فهو في نعمة الدنيا وأيضا فهذه الالبان التي تخرج من  
بطونها الى ضروعها تجدها شرابا طيبا واذا ذبحتها لم تجدها أثرا وذلك يدل على  
عظيم قدرة الله تعالى (ولم فيها منافع كثيرة) غير ما ذكر من أصوافها  
وأشعارها وبيعها والانتفاع بأثمانها وما يجرى مجرى ذلك (ومنها تأكلون) فتنتفعون  
باعيائها كما تنتفعون بما يحصل منها (وعليها) أي على الانعام فان الحمل عليها  
لا يقتضي الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها  
وقيل المراد هي الابل خاصة لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها  
عندهم تسمى سفن البر (وعلى الفلك يحملون) أي في البر والبحر لان وجه  
الانتفاع بالابل في المحمولات على البر بمنزلة الانتفاع بالفلك في البحر ولذلك  
جمع بين الوجهين في انعامه لكي يشكر على ذلك ويستدل به \* وقال تعالى  
في سورة النور (ألم تر) أي تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي  
الصريح والاستدلال الصحيح (ان الله يسبح له) أي ينزهه تعالى على الدوام  
في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص أو خلل (من  
في السموات والارض) من العقلاء وغيرهم تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة  
فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث  
ماهيته ووجوده وأحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات  
الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شأنه الجليل وقد نبه على كمال  
قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح  
الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال  
واكد ذلك بإيثار كلمة من علي ما كأن كل شيء مما عزوهان وكل فرد من

افراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بملو شأنه تعالي وعزة  
سلطانه وقيل المراد بمن في السموات والارض العقلاء خاصة وتخصيصه  
ههنا بالعقلاء لان خلقهم اشد دلالة على وجود الصانع سبحانه لان العجائب  
والغرائب في خلقهم اكثر وهي العقل والنطق والفهم وفيه مزيد تخطيط للكفرة وتعبير  
ببيان انهم يسبحونه تعالي باعتبار اخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية  
ولا يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية ( والطيير صفات ) تخصيص  
الطيير بالذكر مع اندراجها في جملة مافي الارض لعدم استمرار قرارها فيها  
واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسييحها من تلك الجهة لوضوح  
انباؤها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد  
بقوله تعالي صفات أي تسبجه تعالي حال كونها صفات أجنحتها فان اعطاءه  
تعالي للجرم الثقيل القوة التي بها يقوي علي الوقوف في جو السماء صافة  
باسطة أجنحتها وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة  
المكنون. وآية بينة لقوم يعقلون. دالة على كمال قدرة الصانع المجيد. وغاية حكمة  
المبدئ المعيد ( كل قد علم صلاته وتسييحه ) بيان لكمال عراقة كل واحد مما  
ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه  
من الافاعيل فيعملها عن قصدونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج في تضاعيفه  
الاشارة الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة  
ذاتية اليه تعالي واستفادة منه لما يهبه بلسان استعداده وتحقيقه ان كل واحد من  
الموجودات الممكنة في حد ذاته بمنزل عن استحقاق الوجود لكنه مستعد  
لان يفيض عليه منه تعالي ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات  
ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالي علي الاستمرار فيفيض عليه في كل آن  
من فيوض الفنون المتعلقة بذاته وصفاته مالا يحيط به نطاق البيان بحيث لو

انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من الملاقة لانعدام الملمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل ( والله عليم بما يفعلون ) أي ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسنداً الى ضمير العقلاء لما مر. هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلاته وتسيبته لكل أي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والارض وتسيبته فلا اعتراض حينئذ مقرر لمضمونه أيضاً لكن لا على أن تكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسيبته بل عن جميع أحواله العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا أولياً \* وروى عن أبي ثابت قال كنت جالساً عند محمد بن جعفر الباقري رضي الله عنه فقال لي أندري ما تقول هذه المصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال لا قال فانهم يقدسون ربهم ويسألونه قوت يومهم والمراد بذلك ما ذكرناه وأنهم يسألونه تعالى بلسان الحال فان الطير لو كانت عارفة بالله تعالى لكانت كالعقلاء الذين يفهمون كلامنا وأشارتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة أنها أشد نقصانا من الصبي الذي لا يعرف هذه الامور فبأن يمتنع ذلك فيها أولي واذا ثبت أنها لا تعرف الله تعالى استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت أنها لا تسبح الله الا بلسان الحال على ما تقدم تقريره وقال بعض العلماء انا نشاهد ان الله تعالى ألهم الطيور وسائر الحيوانات أعمالاً لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء واذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يلهمها معرفته ودعائه وتسيبته وبيان أنه سبحانه ألهمها الأعمال اللطيفة من وجوه \* أحدها احتيالها في كيفية الاصطياد فتأمل في العنكبوت كيف يأتي بالحيل اللطيفة في اصطياد الذباب ويقال ان الدب يصعد الشجر أخف صعود ويهشم الجوز بين

كفيه تمر أيضا بالواحدة وصدمة بالآخرى ثم ينفخ فيه فيذر قشره ويستف ليه ويحكي عن الفأر في سرقة أمور عجيبة \* وثانيها أمر النحل وما لها من الرياسة وبناء البيوت المسدسة التي لا يتمكن من بنائها أفاضل المهندسين \* وثالثها انتقال الكراكي من طرف من أطراف العالم الى الطرف الآخر طالبا لما يوافقها من الاهوية \* ورابعها القنفاذ تحس بالشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل الى جحرها وكان بالقسطنطينية رجل قد أثرى بسبب أنه كان يندر بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذا في داره يفعل الصنيع المذكور فيستدل به والخطاف صانع جيد في اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب فان أهوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين واذا أفرخ بالغ في تعهد الفراخ ويأخذ ذرقها بمنقاره ويرميها عن العش ثم يعلمها القاء الذرق نحو طرف العش واذا دنا الصائد من مكان فراخ القبيجة ظهرت له القبيجة وقربت منه مطومة له ليتبها ثم تذهب الى جانب آخر سوى جانب فراخها وناقر الخشب قلما يقع على الارض بل على الشجر ينقر الموضع الذي يعلم أن فيه دودا وحال النمل في الذهاب الى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا أمر عجيب واذا كشف عن بيوتها السائر الذي كان يسترها وكان تحته بيض لها فان كل نملة تأخذ بيضة في فمها وتذهب في أسرع وقت \* واعلم أن الاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتب طبائع الحيوان والمقصود أن الاكياس من العقلا يعجزون عن أمثال هذه الحيل فاذا جاز ذلك فلم لا يجوز أن يقال انها ملهمة من عند الله تعالى بمعرفته والثناء عليه وان كانت غير عارفة بسائر الامور التي يعرفها الناس \* وقال تعالى في سورة النور أيضا (والله خلق كل دابة) أي كل حيوان يدب على الارض (من ماء) هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة

الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة ( فمنهم من يمشي على بطنه )  
كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة أو المشاكلة  
( ومنهم من يمشي على رجلين ) كالانس والطير ( ومنهم من يمشي على أربع )  
كالنم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها  
من الحشرات لعدم الاعتداد بها ولانها كالنادر فكانت ملحقة بالمدم ولان  
الفلاسفة يقرون بأن ماله قوائم كثيرة فاعتماده اذا مشى على أربع جهاته لا غير  
فكانه يمشي على أربع ولان قوله تعالي بعد يخلق الله ما يشاء كالتنبيه على  
سائر الاقسام وانما جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب لانه تعالي قدم  
ما هو أعجب وهو الماشي بغير آلة مشى من أرجل أو قوائم ثم الماشي على رجلين  
ثم الماشي على أربع ( يخلق الله ما يشاء ) مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان أو مركبا  
على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوي والافاعيل  
مع اتحاد العنصر واطهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن الخلق  
المذكور والايذان بأنه من أحكام الألوهية ( ان الله على كل شيء قدير )  
في فعل ما يشاء كما يشاء واعلم أن قوله يخلق الله ما يشاء تنبيه على أن الحيوانات  
كما اختلفت بحسب كيفية المشي فكذا هي مختلفة بحسب أسور آخر فلنذكر  
ههنا بعض تلك التقسيمات ( التقسيم الاول ) الحيوانات قد تشترك في أعضاء  
وقد تتباين بأعضاء اما الشركة فمثل اشتراك الانسان والفرس في أن لهما لحمًا  
وعصباً وعظماً وأما التباين فاما أن يكون في نفس العضو أو في صفة \* أما  
التباين في نفس العضو فعلي وجهين \* أحدهما أن لا يكون العضو حاصلًا  
للآخر وان كانت أجزاءه حاصلة للثاني كالفرس والانسان فان الفرس له ذنب  
والانسان ليس له ذنب ولكن أجزاء الذنب ليست الا العظم والعصب واللحم  
والجلد والشعر وكل ذلك حاصل للانسان \* والثاني أن لا يكون ذلك العضو

حاصلا للثاني لا بذاته ولا بأجزائه مثل أن لاسلحفة صدفا يحيط به وليس للانسان ذلك وكذا للسماك فلوس وللقنفذ شوك وليس شيء منها للانسان \* وأما التباين في صفة العضو فاما أن يكون من باب الكمية أو الكيفية أو الوضع أو الفعل أو الانفعال أما الذي في الكم فاما أن يتعلق بالمقدار مثل أن عين البوم كبيرة وعين العقاب صغيرة أو بالعدد مثل أن أرجل ضرب من العناكب ستة وأرجل ضرب آخر ثمانية أو عشرة والذي في الكيف فكاختلافها في الالوان والاشكال والصلابة واللين والذي في الوضع فكل اختلاف وضع ثدي الفيل فانه يكون قريبا من الصدر وثدي الفرس فانه عند السرة وأما الذي في الفعل فمثل كون أذن الفيل صالحا للذب مع كونه آلة للسمع وليس كذلك في الانسان وكون أنفه آلة للقبض دون أنف غيره وأما الذي في الانفعال فمثل كون عين الحفاش سريعة التحير في الضوء وعين الحطاف بخلاف ذلك في التقسيم الثاني في الحيوان اما أن يكون مائيا بمعنى أن مسكنه الاصيلي هو الماء أو أرضيا أو يكون مائيا ثم يصير أرضيا أما الحيوانات المائية فتغير أحوالها من وجوه \* الاول أنه اما أن يكون مكانه وغذاؤه ونفسه مائيا فله بدل التنفس في الهواء التنشق المائي ولا يعيش اذا فارقه والسماك كله كذلك ومنه ما مكانه وغذاؤه مائي ولكنه يتنفس من الهواء مثل السلحفاة المائية ومنه ما مكانه وغذاؤه مائي وليس يتنفس ولا يستنشق مثل أصناف من الصدف لا تظهر للهواء \* الوجه الثاني الحيوانات المائية بعضها مأواها مياه الانهار الجارية وبعضها مياه البطائح مثل الضفادع وبعضها مأواها مياه البحر \* الوجه الثالث منها لجية ومنها شطبية ومنها طينية ومنها صخرية \* الوجه الرابع الحيوان المنتقل في الماء منه ما يعتمد في غوصه على رأسه وفي السباحة على أجنحته كالسماك ومنه ما يعتمد في السباحة على رجليه كالضفدع ومنه ما يمشي في قعر الماء كالسرطان ومنه

ما يزحف مثل ضرب من السمك لاجنح له وكالدود واما الحيوانات البرية  
 فتغير أحوالها أيضا من وجوه \* الاول أن منها ما يتنفس من طريق واحد  
 كالقمل والحيشوم ومنها ما لا يتنفس كذلك بل على نحو آخر من مسامه مثل  
 الزنبور والنحل \* الثاني أن الحيوانات الارضية منها ماله مأوى معلوم ومنها  
 ما مأواه كيف اتفق الا أن يلد فيقيم للحضانة واللواتي لها مأوى فبعضها مأواه  
 شق وبعضها حفر وبعضها مأواه قلة رابية وبعضها مأواه وجه الارض \* الثالث  
 الحيوان البري كل طائر منه ذو جناح فانه يمشى برجليه ومن جملة ذلك  
 ما شبيه صعب عليه كالخطاف الكبير الاسود والحفاش وأما الذي جناحه  
 جلد أو غشاء فقد يكون عديم الرجل كضرب من الحيات الحبشية يطير  
 \* الرابع الطير يختلف فبعضها يتعايش معا كالسراكي وبعضها يؤثر التفرد  
 كالعقاب وجميع الجوارح التي تتنازع على الطعم لاحتياجها الى الاحتيال لتصيد  
 ومنافستها فيه ومنها ما يتعايش زوجا ويكون معا كالقطا ومنه ما يجتمع تارة  
 وينفرد أخرى والحيوانات المنفردة قد تكون مدنية وقد تكون برية صرفة  
 وقد تكون بستانية والانسان من بين الحيوان هو الذي لا يمكنه أن يعيش  
 وحده فان أسباب حياته ومعيشته تلتئم بالمشاركة المدنية والنحل والنمل  
 وبعض الفرائق يشارك الانسان في ذلك لكن النحل والسراكي تطيع رئيسا  
 واحدا والنمل له اجتماع ولارئيس \* الخامس الطير منه آكل لحم ومنه لا قح  
 حب ومنه آكل عشب وقد يكون لبعض الطير طعم معين كالنحل فان غذاءه  
 زهر والعنكبوت فان غذاءه الذباب وقد يكون بعضه متفق الطعم \* أما القسم  
 الثالث وهو الحيوان الذي يكون تارة مائيا وأخرى برية فيقال انه حيوان يكون  
 في البحر ويعيش فيه ثم انه يبرز الى البر ويبقى فيه \* والتقسيم الثالث \* الحيوان  
 منه ما هو انسي بالطبع كالانسان ومنه ما هو انسي بالمولد كالحرة والفرس ومنه

ما هو انسى بالقسر كالقهد ومنه ما لا يأنس كالنمر والمستأنس بالقسر منه ما يسرع استئناسه ويبقى مستأنسا كالفيل ومنه ما يبطن كالاسد ويشبه أن يكون من كل نوع صنف انسى وصنف وحشي حتى من الناس ﴿التقسيم الرابع﴾ من الحيوان ما هو مصوت ومنه ما لا صوت له وكل مصوت فانه يصير عند الاغترام وحركة شهوة الجماع أشد تصويتا الا الانسان وأيضا لبعض الحيوان سبق يشتد كل وقت كالديك ومنه عفيف له وقت معين ﴿التقسيم الخامس﴾ بحسب الاخلاق بعض الحيوانات هادى الطبع قليل الغضب مثل البقرة وبعضه شديد حاد الغضب كالخنزير البري وبعضها حلیم خدوع كالبعير وبعضها رديء الحركات مغتال كالحية وبعضها جريء قوي شهيم كبير النفس كريم الطبع كالاسد ومنها قوي مغتال وحشى كالذئب وبعضها محتال مكارر رديء الحركات كالثعلب وبعضها غضوب شديد الغضب الا أنه ملق متودد كالكلب وبعضها شديد الكيس مستأنس كالفيل والقرود وبعضها حاسود متباه بجماله كالطاووس وبعضها شديد التحفظ كالجمل والحمار ﴿التقسيم السادس﴾ من الحيوان ما تناسله بأن تلد أثناءه حيوانا وبعضها ما تناسله بأن تلد أثناءه دودا كالنحل والعنكبوت فانها تلد دودا ثم ان أعضائه تستكمل بعد وبعضها تناسله بأن تبيض أثناءه بيضا واعلم أن العقول قاصرة عن الاحاطة بأحوال أصغر الحيوانات على سبيل الكمال ووجه الاستدلال بها على الصانع ظاهر لانه لو كان الامر بتركيب الطبائع فذلك بالنسبة الى الكل على السوية فاختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأعضائها وقواها ومقادير أبدانها واعمارها واخلاقها لا بد وان يكون بتدبير مدبر قاهر حكيم سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون وأحسن كلام في هذا الموضوع قوله سبحانه يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لانه هو القادر على الكل والعالم بالكل فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات فاي عقل يقف عليها رأى خاطر يصل الى ذرة من اسرارها



بل هو الذى يخلق ما يشاء كما يشاء ولا يمنعه مانع ولا دافع \* وقال تعالى في سورة العنكبوت ( وكاين من دابة لا تحمل رزقها ) أى وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو لا تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها ( الله يرزقها وإياكم ) ثم انها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى انه لا يرزقها وإياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده وأيضاً فان الله تعالى يرزق الدواب من ثلاثة أوجه نظراً الى الرزق والى المرتزق والى مجموع الرزق والمرتزق أما بالنظر الى الرزق فلأن الله تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن للحيوان رزق وأما بالنظر الى المرتزق فلان الاغتذاء ليس بمجرد الابتلاع بل لا بد من تشبته بالاعضاء حتى يصير الحشيش عظماً ولحماً وشحماً ولا يحصل ذلك الا بجذب ومسك وهضم ودفع وغير ذلك وما ذلك كله الا بحكمة الله تعالى وبمحض قدرته وارادته فهو الذى يرزقها وأما بالنظر الى المرتزق والرزق فلأن الله لو لم يهد الحيوان الى الغذاء ليعرفه من الثم ما كان يحصل له اغتذاء ألا ترى ان من الحيوان ما لا يعرف نوعاً من أنواع الغذاء حتى يوضع فى فمه بالشدة ليدوق فيأكله بعد ذلك فان كثيراً ما يكون البعير لا يعرف الحمير ولا الشعير حتى يلقم مرتين أو ثلاثة فيعرفه فيأكله بعد ذلك ( وهو السميع العليم ) سميع اذا طلبتم الرزق يسمع ويحيب عليم ان سكتكم لا تخفى عليه حاجتكم ومقدار حاجتكم \* وقال تعالى فى سورة فاطر ( ومن الناس والدواب جمع دابة وهى ما يدب على الارض من الحيوان وغلب على ما يركب من الخيل والبغال والحمير ويقع على المذكور ( والانعام ) جمع نعم وقد يسكن عينه الابل والبقر والضأن والمعز والمعنى ومنهم بعض ( مختلف ألوانه ) أو وبعضهم مختلف ألوانه بان يكون أبيض وأحمر وأسود ( كذلك ) أى اختلافاً كائناً كذلك أى كاختلاف الثمار والجبال المذكور فى أول الآية فمنه ذوبون

ومنه ذو لونين أو أكثر والمقصود من ذكر هذا الاختلاف الاستدلال به على قدرة الله تعالى وإرادته \* وقال تعالى في سورة يس (أولم يروا) الهمزة لانكار والتعجب والواو للمعطف على جملة منفية مقدره مستتبعه للمعطوف أي ألم يتفكروا أو ألم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعانية (أنا خلقناهم) أي لاجلهم وانتفاعهم (مما عملت أيدينا) أي من جملة ما عملت أيدينا أي مما تولينا أحداثه بالذات وعملناه من غير معين ولا ظهير بل عملناه بقدرتنا وإرادتنا وذكر الأيدي واسناد العمل إليها استعارة تقييد المبالغة في الاختصاص والتفرد بالأحداث والاعتناء به (أنعاما) مفعول خلقنا أي خلقناها على علم منا بقواها ومقاديرها ومنافعها وطبائعها وغير ذلك من أمورها وإنما خص الأنعام بالذكر وإن كانت الأشياء كلها من خلقه وإيجاده لما فيها من بدائع الفطرة كما في الأبل وكثرة المنافع كما في البقر والغنم أي الضأن والمعز ولأن الأنعام أكثر أموال العرب والنتفع بها أعم (فهم لها مالكون) أي فهم مالكون لها بتمليكنا إياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها أو قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها بأقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا إياها لهم قال الإمام نجر الدين وقوله تعالى فهم لها مالكون إشارة إلى إتمام الأنعام في خلق الأنعام فإنه تعالى لو خلقها ولم يملكها الإنسان ما كان ينتفع بها (وذلكناها لهم) أي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصى عليهم في شيء مما يريدون بها وهذا زيادة إتمام فإن المملوك إذا كان آيا متمردا لا ينتفع فلو كان الإنسان يملك الأنعام وهي نادة صادة لما تم الإتمام الذي في الركوب وإن كان يحصل الأكل كما في الحيوانات الوحشية بل ما كان يكمل نعمة الأكل أيضا إلا بالتعب الذي في الاصطياد ولعل ذلك لا يتهيأ للبعض وفي البعض (فنها ركوبهم) بيان لمنفعة التذليل والفاء فيه لتفريع أحكام

التذليل عليها وتفصيلها أي فبعض منها ركوبهم أي مر كوبهم أي معظم منافعها  
الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب (ومنها يأكلون)  
أي وبعض منها يأكلون لحمه ولولا التذليل لما وجدت إحدى المنفعتين  
وكانت الأخرى قليلة الوجود (ولهم فيها) أي في الأنعام بكلا قسميها (منافع)  
أخر غير الركوب والأكل كالجلود والأصواف والأوبار وغيرها وكالحراثة  
بالثيران (ومشارب) من اللبن جمع مشرب قال الإمام نخر الدين بين تعالى  
غير الركوب والأكل من الفوائد بقوله تعالى ولهم فيها منافع ومشارب وذلك  
لان من الحيوانات مالا يركب كالغنم فقال منافع لتعميمها والمشارب كذلك  
عامة ان قلنا بأن المراد جمع مشرب وهو الآنية فان من الجلود ما يتخذ أواني  
للشرب والأدوات من القرب وان قلنا ان المراد المشروب وهو اللبن والاسمان  
فهي مختصة بالاناث ولكن بسبب الذكور فان ذلك متوقف على الحمل وهو  
بالذكور والاناث (أفلا يشكرون) أي أيشاهدون هذه النعم أو أيتنعمون بها  
فلا يشكرون المنعم بها \* وقال تعالى في سورة غافر (الله الذي جعل لكم  
الأنعام) أي خلقها لأجلكم ومصالحكم (لنركبوا منها ومنها تأكلون) تفصيل  
لما دل عليه اللام اجمالاً (ولم فيها منافع) آخر غير الركوب والأكل كالبنائها  
وأوبارها وجلودها (ولتبلنوا عليها حاجة في صدوركم) بحمل أثقالكم من بلد  
إلى بلد (وعليها وعلى الفلك تحملون) لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها  
بالوذج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما  
بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر (وبريكم آياته) دلائله الدالة  
على كمال قدرته ووفور رحمته (فأي آيات الله) أي فأي آية من تلك الآيات  
الباهرة (تنكرون) فان كلامها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها  
من له عقل في الجملة \* وقال تعالى في سورة الزخرف (وجعل لكم من الفلك

والانعام ما تركيبون ) أى ما تركيبونه ( لتستووا على ظهوره ) أى لتستولوا على ظهور ما تركيبونه من الفلك والانعام ( ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ) أى تذكروها بقلوبكم مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم ( وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا ) متعجبين من ذلك ( وما كنا له مقرنين ) أى مطيقين من أقرن الشيء إذا أطاقه وأصله وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وتحقيق القول فيه أن الدابة التي يركبها الانسان لا بد وان تكون أ كثر قوة من الانسان بكثير وليس لها عقل يهديها الي طاعة الانسان ولكنه سبحانه خلق تلك البهيمة على وجوه مخصوصة فى خلقها الظاهر وفى خلقها الباطن يحصل منها هذا الانتفاع . أما خلقها الظاهر فلأنها تمشى على أربع قوائم فكان ظاهرها كالوضع الذى يحسن استقرار الانسان عليه . وأما خلقها الباطن فلأنها مع قوتها الشديدة قد خلقها الله سبحانه بحيث تصير منقادة للانسان ومسخرة له فاذا تأمل الانسان فى عجائب ما يركبه من نحو الفلك والانعام وغاص بعقله فى بحار هذه الاسرار عظم تعجبه من تلك القدرة القاهرة والحكمة الغير المتناهية فلا بدو أن يقول سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ( وانا الي ربنا لمنقلبون ) أى راجعون وفيه ايدان بان حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هى الانقلاب الي الله تعالى فيبنى أموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شيء مما يأتى ويذر أصرا ينافيها ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع \* وقال تعالى فى سورة الجاثية ( وفى خلقكم ) أى من نطفة ثم من علقه متقلبة فى أطوار مختلفة الي تمام الخلق ( وما يبيت من دابة ) أى وفيما ينشره ويفرقه من دابة مما تعلمون ومما لا تعلمون بما فى ذلك مشاركتكم بالاختيار

والهداية للمنافع ومخالفتكم في الصورة والعقل وغير ذلك من مخالفة الاشكال والطبائع والمنافع وغير ذلك ( آيات ) بالرفع مبتدا خبره الظرف المقدم أي دلالات على قدرة الله تعالى و ارادته ( لقوم يوقنون ) أي من شأنهم أن يوقنوا بالاشياء على ماهي عليه ووجه الدلالة أن الاجسام متساوية فاختصاص كل واحد من الاعضاء بكونه الممين وصفته المينة وشكله الممين لا بد وان يكون بتخصيص القادر المختار ويدخل في هذا الباب انتقاله من سن الى سن آخر ومن حال الى حال آخر والاستتصاء في هذا الباب قد تقدم \* وقال تعالى في سورة تبارك ( أو لم يروا ) أي أغفلوا ولم ينظروا ( الى الطير فوقهم صافات ) باسقاط أجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صفنن قوادمها صفا وقوادم الطير مقاديم ريشه وهي عشر في كل جناح الواحدة قادمة ( ويقبضن ) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حيننا حيننا للاستظهار به على التحرك ( ما يمسكن ) في الجو عند الصنف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الجسماني فانه يقتضى الهبوط الى السفلى ( الا الرحمن ) الواسع رحمته كل شئ بان برأهن على أشكال وخصائص وهياهن للجري في الهواء قال الامام فخر الدين انها مع نقلها وضخامة أجسامها لم يكن بقاءؤها في جو الهواء الا بامساك الله وحفظه ( انه بكل شئ بصير ) يعلم كيفية ابداع المبدعات والغرائب . وتدير المصنوعات والمعجائب \* وقال تعالى في سورة الأعلى ( الذي خلق فسوى ) أي أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من أعضاء وآلات وحواس ( والذي قدر ) أي أعضاء بمقدار مخصوص على حسب ما تقتضيه الحكمة ( فهدي ) أي هداه الى مابه يتسنى معاشه وفتون هدايته تعالى للحيوان مما لا يحصى فمن ذلك أن القطا وهو طائر معروف يضرب به المثل في الهداية ويقال أهدي من قطة وذلك أنه يترك فراخه ثم يطلب الملمن مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فما بعد طلوع النجر الى طلوع الشمس

ثم يرجع فلا يخطيء لاصادرا ولا واردا قال صاحب الفلسفة الحقّة جاء في  
احدى مجلات أوربا ما زبدته لايشك أحد في أن الاعين هي التي تلمس دورا  
مهما في جعلنا في علاقة مستمرة مع الكائنات الخارجية ولكن كثير من  
الحيوانات تري أحسن بكثير مما نرى نحن حتي يمكننا أن نقول ان لها حاسة  
سادسة أو سابعة زيادة عن الحواس الخمس غير معلومة لنا ويمكن أنها تصير  
غير قابلة للظهور . ولا يمكننا أن نفرض هذا الفرض بالنسبة للأعمال النظرية  
الغريبة جدا التي تحصل منها \* والا كيف نعلم مسألة قطع بعض الطيور  
للمسافات الشاسعة جدا على هواء القفار والبحار بدون أن تضل طريقها \*  
فرض البعض أن هذه العجيبة منسوبة الي قوة مغناطيسية في جسمها منفعتها  
لها كمنفعة البوصلة للملاحين \* لكن هذه الخاصة ليست خاصة بالطيور بل  
موجودة أيضا في النحل والزناير وبالجملة فهي خاصية كل حيوان يضع صغاره  
في عش ويذهب أميالا طويلة يبحث لهم عن الاغذية \* وبعد ذلك قالت  
الجريدة \* قد أثبت المسيو فابر العالم الشهير ان هذه الحيوانات لا تهتدي الي  
أوكارها بالقوة المغناطيسية بأن وضع على ظهر نحلة ابرة ممغنطة فصارت تتخبط  
وتقفز مما أظهر مبدئيا أن المغناطيس قد أثر على جسمها ثم طارت وآبت  
خالية من عبئها المغناطيسي \* ولاجل أن يتبي ذلك الدكتور الظن الذي نتج  
من تخبطها في كونه ناشئا من تأثير المغناطيس على جسمها استبدله بقشة صغيرة  
فاضطربت اضطرابها أول مرة فعلم أن تخبطها نشأ من ارادة تخلصها من ورطها  
ولكن ما معنى فرضهم أن لها قوة مغناطيسية كالبوصلة \* فإذا تنفع البوصلة  
للنحلة ان لم يكن معها خريطة تريحها في أي بقعة من الارض توجد خليتها \*  
وماذا تنفع الملاح عدته البحرية ان لم يعلم القطعة التي ألقته إليها يد الزوبعة \*  
وقال تعالى في سورة الفاشية ( أفلا ينظرون الي الابل كيف خلقت ) أي أفلا

ينظرون نظر اعتبار الى الابل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين أنها  
كيف خلقت خلقاً عجيباً دالاً على كمال قدرته تعالى وحسن تدبيره حيث كان  
خلقها بديعاً ممدولاً به عن سنن خلقه من أنواع الحيوانات في عظم جثتها وشدّة  
قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الأفاعيل الساقطة كالنهوض  
من الأرض بالاقطار النقيلة وحمل الأثقال القادحة الى البلاد البعيدة ومع  
عظمتها وقوتها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للأنسان في الحركة والسكون والبروك  
والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها القائد الضعيف  
حتى أن الصبي الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء قال بعضهم الابل  
له خواص منها أنه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى أصنافاً شتى فتارة يقتنى ليؤكل  
لحمه وتارة ليشرب لبنه وتارة ليحمل الأنسان في الاسفار وتارة لينقل أمتعة  
الأنسان من بلد الى بلد وتارة ليكون له به زينة وجمال وهذه المنافع بأسرها  
حاصلة في الابل وان شيئاً من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال  
فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجائب \* وثانيها انه في كل واحد من  
هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه الا تلك الخصلة لأنها ان  
جاءت حاوية سقت فأروت الكثير وان جعلت أكلة أطعمت وأشبع  
الكثير وان جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بها من المسافات المديدة مالا  
يمكن قطعه بحيوان آخر وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على  
السير والصبر على العطش حتى ان ظمأها ليبلغ العشر فصاعداً والاجتزاء من  
العلوفات باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا  
يكاد يراها سائر البهائم وان جعلت حمولة استقلت بحمل الأحمال الثقيلة التي  
لايستقل به سواها. ومنها أن عنقها سلم اليها ومنها أنها تتأثر بالصوت الحسن  
وتصير من كمال التأثر الى حيث تهلك نفسها من سرعة الجري ويجري الدمع

من عينيها ومنها ما حكاه الامام فخر الدين قال كنت مع جماعة في مفازات  
فضلنا الطريق فقدموا جملا وتبعوه فكان ذلك الجمل ينمط من تل الى تل ومن  
جانب الى جانب والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل الى الطريق بعد زمان  
طويل فتهجينا من قوة تخيل ذلك الحيوان انه بالمرّة الواحدة كيف انخفضت  
في خياله صورة تلك المعاطف حتى أن الذي عجز جمع من العقلاء عن الاهتداء اليه  
فان ذلك الحيوان اهتدي اليه فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب  
على العاقل أن ينظر في خلقها وتركيبها ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم  
سبحانه ولنختم هذا المبحث بذكر شيء من عجائب الحيوانات فمن ذلك أن (الابل)  
تستطيب الشجر الذي له شوك وتهضمه أهماؤها مع أنها لا تستطيع في غالب  
الاقوات أن تهضم (والارضفة) تبني لنفسها بيانا حسنا من عيدان تجمعها مثل  
غزل العنكبوت منخرطا من أسفله الى أعلاه وله في احدي جهاته باب مربع  
وبيتها ناووس ومنها تعلم الاوائل بناء النواويس على موناغم ويضرب بها المثل  
فيقال اصنع من أرضة (والاروي) وهي الاثني من الوعول أو غنم الجبل  
عندها الخنوع على أولها فاذا صيد منها شيء تبعته ورضيت أن تكون معه في  
الشرك والبر بابويه وذلك أنه يختلف اليهما بما يأكلانه فاذا عجزا عن الاكل مضغ  
لها واطعمها (والاوز) فرخه يخرج من البيضة فيحسن السباحة في الحال  
(والايل) بتشديد الياء المكسورة ذكر الاوعال اذا خاف من الصياد يرمي  
نفسه من رأس الجبل ولا ينزدر بذلك واذا لسمنه الحية أكل السرطان وهو  
يصادق السمك فهو يمشي الى الساحل ليري السمك والسمك يقرب من  
البر ليراه وهو مولع باكل الحيات يطاها حيث وجدها وياكلها أكلا ذريعا واذا  
أكل الحية بدأ باكل ذنبها الى رأسها وربما لسمته فتسيل دموعه الى نقرتين تحت  
محاجر عينيها يدخل الاصبع فيهما فتجمد نال الدموع وتصير كأنه يفتخذ



درياقا لسم الحيات (والجراد) أصناف مختلفة فيمضه كبير الجثة وبعضه صغيرها  
 وبعضه أحمر وبعضه أصفر وبعضه أبيض وللجرادة ستة أرجل يدان في صدرها  
 وقامتان في وسطها ورجلان في مؤخرها وطرفا رجليها منشاران وهو من  
 الحيوان الذي ينقاد لرئيسه فيجتمع كالعسكر اذا ظعن أوله تتابع جميعه ظاعنا  
 واذا نزل أوله نزل جميعه ولعابه سم نافع للنبات لا يقع على شيء منه الا أهلكه  
 وفي الجراد خلقة عشرة من جبايرة الحيوان مع ضعفه. وجه فرس. وعينا فيل  
 وعنق ثور. وقرنا أيل. وصدرا أسد. وبطن عقرب. وجناح أسر. ونخدا جمل. ورجلا  
 نعامة. وذنب حية (والحجل) اذا باضت أنناه ميز الذكر الذكور منها فحضانها  
 وهي تحضن الالبات وها كذلك في التربية (والحرباء) ذكر القزويني انه لما كان  
 خلقا بطيء النهضة وكان لا بد له من القوت خالقه الله على صورة عجيبه فخلق  
 عينيه تدوران الى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة في يديه  
 ولا قصد اليه ويبقى كأنه جامد أو كأنه ليس من الحيوان ثم أعطي مع السكون  
 خاصية أخرى وهو أنه ينشك بلون الشجرة التي يكون عليها حتى يكاد  
 يختلط لونه بلونها ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه  
 ويخطف ذلك بسرعة كالحوق البرق ثم يعود الى حاله كأنه جزء من الشجرة  
 وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليأحق ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد  
 به على هذه المسافة واذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتكون على هيئة  
 وشكل يفر منه كل من يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون اه والحرباء  
 أكبر من العظاية وهي تتلون ببحر الشمس كما قال الامام الغزالي ألوانا مختلفة  
 فتلون الى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت وهي أبدا تطلب الشمس فحين  
 تبدو تنحو بوجهها اليها حتي اذا استوت الشمس علت رأس شجرة وما يجري  
 مجراها فاذا صار قرص الشمس فوق رأسها بحيث لا تراها أصابها مثل

الجنون فلا تزال طالبة لها ولا تقتر الي جهة المذرب، فترجع بوجهها اليها  
مستقبلة لها ولا تنحرف عنها الي أن تغيب الشمس فاذا غابت الشمس طلب  
هذا الحيوان معاشه ليله كله الي أن يصبح وهذا الحيوان يوصف بالزمزوم لانه  
مع قلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتي يمسك غيره وهو يشبه  
رأس العجل وعلى هيئة السمكة الصفية وله أربعة أرجل كسام أبرص  
(والحمام) يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ ويحمل الاخبار ويأتي بها  
من البلاد البعيدة في المدة القريبة وفيه ما يتقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم  
واحد وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ثم هو على نزوعه  
الي وطنه حتى يجد فرصة فيطير اليه واذا باضت الاثني يجلس الذكر على  
البيض ويسخنه جزاً من النهار والاثني بقية النهار (والخطاف) وهو المعروف  
بمصفور الجنة يبني بيته في أبرد المواضع عن الوصول اليه ولا يفرخ في عش  
عتيق حتي يطينه بطين جديد ويبني عشه بناء عجيباً وذلك انه يهيء الطين مع  
التبن فاذا لم يجد طيناً مهياً التي نفسه في الماء ثم يتمرغ في التراب حتي يمتليء  
جناحه ويصير شبيهاً بالطين فاذا هياً عشه جعله على القدر الذي يحتاج اليه  
هو وأفراخه ولا ياتي في عشه زبازبل ببقية الي خارج فاذا كبرت فراخه  
علمها ذلك (ودودة الحرير) هي من أعجب المخلوقات وهي دودة حقيرة لكن  
أودع فيها الصانع الحكيم من العجائب ما يشهد بدبح حكمته وباهر قدرته.  
جلّ وعلا وذلك أنها تيش من ورق شجرة مخصوصة وهي شجرة التوت  
وبعد أن تمر على أدوار غريبة من شكل وأكل وصوم تنسج نسجاً غالياً  
يتباهى بلبسه نساء المارك وتفصيل أحوالها أنها تكون أولاً بزره أو بيضة  
صغيرة جداً ثم تخرج منه دودة صغيرة أصغر من الذر ولا تزال تكبر وتكبر  
الي ان تصير في قدر الاصبع وتنتقل من السواد الي البياض أولاً فأولاً

ويسلخ جلدها أربع مرات وذلك لان جسها يكبر كثيراً بسرعة فلا يسعها  
 جلدها الاول وتنقطع عن الاكل عند سلخه فتبقى صائمة مدة يوم أو يومين  
 بلياليهما وكلما سلخ جلدها مرة تظهر بجلد جديد أكثر بياضاً مما كان  
 قبله وتقل حركتها في حال الصوم أو تكاد تنقطع وتتمسك بأرجلها الخلفية  
 وتحنى رأسها قليلاً ثم يجف جلدها وينشق أولاً من وراء رأسها ثم يمتد الشق  
 الى كل الجسم فتخرج بجلد جديد يتكون مدة صومها وبعد السلخ الرابع  
 تهتمك على الاكل ليلاً ونهاراً مدة أسبوع تقريباً وبعد ذلك تمتنع عنه دفعة  
 واحدة فتراها حينئذ مهتمة لتجد مكاناً يوافقها فتصعد على أعضاء تهيأ لتلك  
 الغاية وبعد أن تستقر في مكان تراه موافقاً لعملها بتبديء في النسج فتعمل أولاً  
 غشاء مخصوصاً تضمه في محل بعيد عن الطوارئ بمزيد الدقة والاعتناء وتعمل  
 داخله الخز الجيد مكتملة ذلك من الخارج الى الداخل بإمالة رأسها وبدنها الى  
 جميع الجهات وتنسج نسجها بهمة فائقة حتى يسمك فتحتجب داخله عن النظر  
 ثم تلتحم الخيوط التي تنسجها بعضها ببعض بمادة صمغية في الخيوط نفسها  
 وعندما تم نسجها تنقلب زيزاً فيغيب رأسها وأرجلها عن النظر وتكتسى بجلد  
 قشري لا مع ضارب الى الاحمرار وتظهر كأنها فاقدة الحياة ثم ينشق جلدها  
 الجديد من وراء رأسها فتخرج منه فراشة تامة ذات أجنحة لم يكن لها أثر  
 من قبل وتكون أرجلها الامامية متغيرة عن هيئتها الاصلية أما الأرجل الخلفية  
 التي كانت تستعين بها عند صعودها على الاضغان فتفقد بالكلية بحيث لا يبقى  
 لها أثر وكما يكون التغير تاماً في ظاهرها يكون تاماً أيضاً في داخلها فتتغير  
 أحشاؤها كلها كأنها لم تكن بالامس دودة حرير ويتولد في فمها وهي في  
 منسوجها مادة سائلة متى لامسته تحلل نسجه وتهتك خيوطه فيسهل على  
 الفراشة الخروج من حبسها حينما يأتي زمن الخروج وأهم تغير يحصل في

الدودة داخل منسوجها هو تحولها هناك الى ذكور واناث بهيئات ظاهرة لا تقبل الالتباس مع أنه لا يظهر في الدود ذكر ولا أنثى ولا يفترق بعضه عن البعض الآخر بأقل علامة فتخرج الديدان ذكورا واناثا متساوية العدد وتزواج ثم تنفك من نفسها بعد ساعات فيموت الذكر وتبيض الأنثى ثم تموت ولا تذوق الدودة طعاماً من بعد ابتدائها في النسج الى أن تموت أما ألوان المنسوج فكثيرة فمنها الأبيض والأصفر والأخضر الضارب الى الصفرة والأصفر الضارب الى الحمرة وهيئة المنسوج أيضاً مختلفة فنه المستدير والبيضي والبيضي المخنق الوسط فانظر هديت الى هذا الابداع البالغ نهاية الرقة واللطافة لتعرف بذلك كمال حكمة الصانع الحكيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ( والديك ) أعظم ما فيه من المعجائب معرفة الاوقات الليلية فيقسط أصواته عليها تقسيطاً لا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال أو قصر ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك ( والزرافة ) لما علم الله تعالى أن قوتها من الشجر جعل يديها أطول من رجلها لتستعين بذلك على الرعى منها بسهولة ( والسحفاة ) اذا باضت صرفت همتها الى بيضها بالنظر اليه ولا تزال كذلك حتى يخلق الله تعالى الولد منها اذ ليس لها أن تحضنه حتى يكمل بحرارتها لان أسفلها صلب لاجراة فيه ( والسنور ) حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر واذارات ستر روثه حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب أولاً فاذا وجد رائحته شديدة غطاه بحيث يوارى الرائحة والجرم والا اكتفى بأيسر التغطية وذكر الزمخشري أن الله تعالى ألهم الهرة ذلك ليتنبه بذلك قاضي الحاجة من الناس فيغطي ما يخرج منه ( والضفدع ) أول نشئها في الماء أن تظهر مثل حب الدخن اسود ثم تخرج منه وهي كالدعموص ثم بعد ذلك تنبت لها الاعضاء فسبحان القادر على ما يشاء وما يريد سبحانه لا اله الا هو

(وظيفة المسك) ذكر الدميري أن المسك دم يجتمع في سرتها في وقت معلوم من السنة بمنزلة المواد التي تنصب الي الاعضاء وهذه السرة جعلها الله تعالى معدنا للمسك فهي تثر كل سنة كالشجرة التي تؤتي أكلها كل حين باذن ربها (والغرنيق) وهو طائر أبيض طويل العنق من طير الماء ويقال له غرنوق وغرائيق قال القزويني المرنوق من الطيور القواطع وهي اذا أحست بتغير الزمان عزمت على الرجوع الى بلادها فعند ذلك تتخذ قائدا حارسا ثم تهض معا فاذا طارت ترتفع في الهواء حتى لا يعرض لها شيء من السباع فاذا رأت غيا أو غشيها الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصياح كيلا يحس بها العدو واذا أرادت النوم أدخل كل واحد منها رأسه تحت جناحه كأنه يعلم أن الجناح أحمل للصدمة من الرأس لما فيه من العين التي هي أشرف الاعضاء والدماغ الذي هو ملاك البدن وينام كل واحد منها قائما على احدي رجليه حتى لا يكون نومه ثقيلًا وأما قائدها وحارسها فلا ينام ولا يدخل رأسه في جناحه ولا يزال ينظر في جميع الجوانب فاذا أحس بأحد صاح بأعلى صوته فسبحان الذي قدر فهدى

المبحث الرابع في النظر في النبات \* وفيه مطلبان ❦

❦ المطلب الاول في كيفية النظر في النبات ❦

« وما في تكوينه من الآيات الداله »

( على صانعه بالقدرة والاختيار )

اعلم أن النبات منوسط بين المعادن والحيوان بمعنى انه خارج عن نقصان الجمادية الصرفة التي للمعادن وغير واصل الي كامل الحس والحركة اللتين اختص بهما الحيوان لكنه يشارك الحيوان في بعض الامور لان البارئ تعالى يخلق

لكل شيء من الآلات ما يحتاج إليها في بقاء ذاته ونوعه وما زاد على ذلك يكون ثقلاً وكلاً عليه لا يخلقه ولا حاجة للنبات للحس والحركة بخلاف الحيوان واعلم ان الحبة والنواة اذا وضعت في الارض الرطبة ثم مضي على هذه الحالة مدة أظهر الله تعالى في تلك الحبة أو النواة من أعلاها شقا ومن أسفلها شقا أما الشق الاعلى فانه يخرج منه جزء هو الشجرة الصاعدة الى الهواء وأما الشق الاسفل فانه يخرج منه جزء آخر هو الشجرة الهابطة في الارض وهي المسماة بعروق الشجرة وتصير تلك الحبة والنواة سبباً لاتصال الشجرة الصاعدة في الهواء بالشجرة الهابطة في الارض ثم ان ههنا عجائب \* فاحداها ان الحب اذا وقع في الارض الندية واستولي عليه الماء والتراب فالنظر العقلي يقتضى ان يتعفن ويفسد لان احدهما يكفي في حصول العفونة فبهما جميعاً أولى ثم انه لا يفسد بل يبقى محفوظاً \* وثانيها ان الحبة اذا وقعت في الارض الرطبة انتفخت ثم انشقت ولا تنشق من شيء من الجوانب الا من أعلاها وأسفلها مع ان الانتفاخ حاصل من جميع الجوانب . وثالثها ان النوى مع ما فيه من الصلابة العظيمة التي بسببها يعجز عن فلقه اكثر الناس اذا وقع في الارض الندية ينفلق باذن الله ونواة التمر تنفلق من نقرة على ظهرها ويصير مجموع النواة على نصفين يخرج من أحد النصفين الجزء الصاعد ومن الثانى الجزء الهابط أما الصاعد فيصعد وأما الهابط فيغوص في أعماق الارض \* ورابعها ان طبيعة تلك الحبة والنواة واحدة وتأثير الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من تلك الحبة الصغيرة شجرتان احدهما خفيف صاعد والاخرى ثقيل هابط مع اتحاد الطبيعة واتحاد الماء والهواء والتربة ومن المحال ان يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك انما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم والمقدر القديم لا بسبب الطبع والخاصية فان

طبيعة تلك الشجرة ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهواء وان كانت تقتضي الصعود في الهواء فكيف تولدت منها الشجرة الهابطة في الارض فلما تولد منها هاتان الشجرتان مع ان الحس والعقل يشهد بكون طبيعة احدى الشجرتين مضادة لطبيعة الشجرة الاخرى علمنا أن ذلك ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى الابداع والابداع والتكوين والاختراع \* وخامسها ان باطن الارض جرم كثيف صلب لا تنفذ المسلة القوية فيه ولا يعوص السكين الحاد القوي فيه ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق في غاية الدقة واللطافة كأنها مياه منعقدة بحيث لو دلکها الانسان باصبعه بادنى قوة لصارت كالماء ثم انها مع غاية لطافتها تقوي على النفوذ في تلك الارض الصلبة والنوص في بواطن تلك الاجرام الكثيفة فحصل هذه القوى الشديدة لهذه الاجرام الضعيفة التي هي في غاية اللطافة لا بد وان يكون بتقدير العزيز الحكيم \* وسادسها انه يتكون من تلك النواة والجة شجرة ويحصل في تلك الشجرة طبائع مختلفة فان قشر الحشبة له طبيعة مخصوصة وفي داخل ذلك القشر جرم الحشبة وفي وسط تلك الحشبة جرم رخو ضعيف يشبه العهن المنفوش ويحصل أنواع مختلفة فان الجزء الصاعد لمد صعوده يحصل له ساق ثم ينفصل من ذلك الساق أغصان كثيرة ثم يظهر على تلك الاغصان الاوراق أولا ثم الازهار والانوار ثانيا ثم الثمار ثالثا ويحصل لتلك الثمار اجزاء مختلفة بالكثافة واللطافة وهي القشور ثم اللبوب ثم الادهان ثم قد يحصل للثمرة أربعة أنواع من القشر مثل الجوز فان قشره الاعلى هو ذلك الاخضر وتحت ذلك القشر الذي يشبه الحشب وتحت ذلك القشر المحيط باللب وتحت ذلك القشر قشرة اخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز رطباً فحصل هذه الاجسام المختلفة في طبائعهما و صفاتها و ألوانها

وأشكالها وطعومها مع تساوي تأثيرات الطبائع والنجوم والفصول يدل على أنها إنما حدثت بتدبير الحكيم الرحيم المختار القادر. لا بتدبير الطبائع والعناصر وسابغها أنك قد تجد الطبائع الأربعة حاصلة في الفاكهة الواحدة فالأترنج قشره حار يابس ولحمه حار رطب وحماضه بارد يابس وبزره ونوره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس كثيف. وماؤه ولحمه حار رطب لطيف. فخصول هذه الطبائع المتضادة والخواص المتنافرة عن الحبة الواحدة لا بد وأن يكون بإيجاد الفاعل المخار\* وثامها أنك تجد أحوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون اللب في الداخل والقشر في الخارج كما في الجوز واللوز وبعضها يكون القاكهة المطلوبة في الخارج وتكون الحشبة في الداخل كالخوخ والشمش وبعضها يكون النواة لهالب كما في نوى المشمش والخوخ وبعضها لالب له كما في نوى النمر وبعض الفواكه لا يكون له من الداخل والخارج قشر بل يكون كله مطلوباً كالتين فهذه أحوال مختلفة في هذه الفواكه وأيضا هذه الحبوب مختلفة في الأشكال والصور فشكل الحنطة كأنه نصف دائرة وشكل الشعير كأنه مخروطان اتصال بقاعدتيهما وشكل العدس كأنه دائرة وشكل الحمص على وجه آخر فهذه الأشكال المختلفة لا بد وأن تكون لا سرار وحكم علم الخالق أن تركيبها لا يكمل إلا على ذلك الشكل وأيضا فقد أودع الخالق تعالى في كل نوع من أنواع الحبوب خاصية أخرى ومنفعة أخرى وأيضا فقد تكون الثمرة الواحدة غذاء لحيوان وسما لحيوان آخر فاختلاف هذه الصفات والأشكال والأحوال مع اتحاد الطبائع وتأثيرات الكواكب يدل على أن كلها إنما حصلت بتخليق الفاعل المخار الحكيم\* وتاسعها أنك إذا أخذت ورقة واحدة من أوراق الشجرة وجدت خطأ واحدا مستقيما في وسطها كأنه بالنسبة إلى الورقة كأنخاع بالنسبة إلى بدن الإنسان وكما أنه يفصل عن النخاع أعصاب كثيرة بينما يسرقة في بدن الإنسان ثم لا يزال يفصل



عن كل شعبة شعب آخر ولا تزال تستدق حتى تخرج عن الحس والابصار  
 بسبب الصغر فكذلك في تلك الورقة قد ينفصل عن ذلك الخط  
 الكبير الوسطاني خطوط منفصلة وعن كل واحد منها خطوط مختلفة أخرى  
 أدق من الأولى ولا يزال يبقى على هذا المنهج حتى تخرج تلك الخطوط عن  
 الحس والبصر والخالق تعالى إنما فعل ذلك لتجري الأجزاء اللطيفة الأرضية  
 في تلك المجارى الضيقة حتى تغتدى الشجرة بتلك الأجزاء فلما وقفت على  
 عناية الخالق في إيجاد تلك الورقة الواحدة علمت أن عنايته في تخليق جملة  
 تلك الشجرة أكل وعرفت أن عنايته في تكوين جملة النبات أكل ثم إذا  
 عرفت أنه تعالى إنما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوان علمت أن عنايته  
 بتخليق الحيوان أكل ولما علمت أن المقصود من تخليق جملة الحيوانات هو  
 الإنسان علمت أن عنايته في تخليق الإنسان أكل ثم انه تعالى إنما خلق النبات  
 والحيوان في هذا العالم ليكون غذاء ودواء للإنسان بحسب جسده والمقصود  
 من تخليق الإنسان هو المعرفة والمحبة والخدمة كما قال تعالى وما خلقت الجن  
 والانس الا ليعبدون فانظر أيها المسكين بعين رأسك في تلك الورقة الواحدة  
 من تلك الشجرة واعرف كيفية خلق تلك العروق والاوراق فيها ثم انتقل من  
 مرتبة الى ما فوقها حتى تعرف ان المقصود الاخير منها حصول المعرفة والمحبة في  
 الارواح البشرية فينبذ يفتح عليك باب من المكاشفات لا آخر لها ويظهر  
 لك ان أنواع نعم الله في حقك غير متناهية كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها  
 وكل ذلك انما ظهر من كيفية خلق تلك الورقة من الحبة والنواة قال صاحب  
 الفلسفة الحق ان مملكة النباتات هي المملكة الواسعة الاطراف الشاسعة الاكثاف  
 البديعة النظام المعجزة الاحكام ألق البصر الي أديم الارض في ابان الربيع تجدها  
 لابسة جلايب السندس الازهر والاستبرق الاخضر متكلة بتيجان الازهار

من لجين ونضار ينعش النواظر بهاها والقلوب رباها فمن ورد أحرّ اهابه  
وتعندم خضابه وفاح شذاه وعشقه من رآه ومن نرجس باسم عرفه ناسم  
وكل محمول على شجيرة خضراء ذات سوق متناسبة وأوراق متناسقة ويرى  
بجانبا أعشاب حمراء وخضراء وصفراء وبيضاء قصيرة الطول حشيشية السوق  
لا تتصلب بل تموت كل سنة ويخلفها غيرها ثم يري بجانب كل ذلك دوحات  
هائلة ذات أنصان غليظة وسوق ضخماء تعد أقطارها بالمترات أما طول قامتها  
فتبلغ منها العشرات فلا شك ان من تدبر في هذه المناظر البديعة لا بد ان  
تستلفت نظره وتتوق نفسه الى كيفية نموها وطرق تغذيتها كيف لا تتوق  
نفسه الى ذلك وهو الذي يرمي بيده بذرة صغيرة فلم يلبث ان يراها شجيرة  
ذات حياة مركبة من ساق وأغصان وأوراق وأزهار وثمار . فهل يوجد  
داخل الارض العمياء ما كينة كونها أو فابريقة اصطنعتها كيف لا يذهل عقل  
متدبر يلقى الى الارض بذرة من بزور التين وبعد ان يلبث زمنا مناسبا يراها  
دوحة تناطح السحاب بعد ان كانت تحت التراب ذات فواكه عذبة على  
أغصان متحلية بأقراط الازهار ما بين أوراق خضراء ظلالتها وارفة وأفياؤها  
سابتة تلبث هكذا تؤتى أكلها كل حين باذن ربها واليك ما قاله الدكتور نوفيل  
في احدي مجلات أوربا الشهيرة تحت عنوان \* آية التوالد \* ما يأتي ببعض  
تصرف واختصار . كيف نفهم أن خلية بسيطة أمكنها أن تصل الى هيئة  
الأصل التي خرجت منه وتصيره أهلا لان يكابد كل التغيرات المخصصة لسلسلة  
الذرية . فاجاب الفيلسوف وسمن علي هذه المسئلة بقوله قبل ان نبحث عن  
كيفية عمل الخلية البسيطة لهذه الآية الغريبة يلزمنا ان نعلم قبل كل شيء هل  
هي التي تفعلها في الحقيقة ونفس الامر . وقد درس المسيو جران الآن هذه  
المسئلة وخصها في جريدة فور تجتلي رفيو وابتدأ مقاله بقوله أليس ناموس

التمثيل هو الآلية الحقيقية. أليس الحيوان والنبات يستعير من الخارج مواد مبنية لمادته من عضوية وغير عضوية، وماذا يفعل بها. هل يحيلها الى مادته الخاصة أو النوعية أو الجنسية أو الشخصية والذاتية \* يمكن الاثبات بسهولة أن الجسم يتركب ويتعوض ويجدد نفسه مع كل خواصه وذلك من المواد القريبة عن مادته. أليس من الغريب المدهش ان قطعا مخصوصة منفصلة عن كائن مهما كان أزرارا أو خلايا أو بذورا تمتلك عين القدرة التي يمتلكها المجموع التي كانت هي جزء منه فتركبه بكل خواصه ومزاياه. والجزء الحى من النبات هو مخلوق بطريقة بها أنه يحيل المواد غير العضوية (التي يمتصها ويحلها ويركبها ثانيا) الى تركيب مشابه تماما لتركيبه حتى في الخواص الدنيئة جدا. ولايجاد الخلية التي تحتوى على البزرة والخلية التي باجتماعها فيما بعد مع خلية أخرى من جنس مضاد لجنسه تكون جسما جديدا تظهر فيه العلامات المميزة للآباء \* ولكن ماذا نقول في أن خلية بسيطة تحتوى على قوة ابراز كل هذه الاعضاء بكل هذه الخواص \* كيف ذلك . لعمرى ان هذه الاشياء هي آية عجيبة اه ومن عجب صنع البارى خلق الاوراق على الاشجار زينة لها ووقاية لثمارها من نكايه الشمس والهواء ثم انه تعالى خلقها مرتفعة عن الثمار متفرقة بعض التفرق لامتكافة عليها ولا بعيدة عنها لتأخذ الثمار من النسيم تارة ومن الشمس أخرى فلو تكاثفت عليها حتى منعها اصابة النسيم وشعاع الشمس لبقيت على فجاجتها غليظة الجلد قليلة المائية واذا سقط منها بعض الورق أصابتها الشمس وأحرقتها كما ترى في الرمادة التي احترق منها احدي الجوانب ثم اذا فرغت الثمرة تناثرت الاوراق حتى لا تجذب مائة الشجرة فتضعف قوتها كما ترى في الحيوان فان الام تضعف من ارضاع اولادها \* واعلم أن عقول العقلاء متحيرة في أمر الحشائش وعجائبها وأفهام الاذكياء قاصرة عن ضبط خواصها وفوائدها

وكيف لامع ما يشاهد من اختلاف صور قضبانها. واختلاف أشكالها والوانها. وعجيب صور أوراقها وأزهارها وكل لون منها ينقسم الى أقسام كالحمرة مثلا فانها وردى وأرجواني وسوسى وشقائق وأدريونى وغير ذلك مع اشتراك كلهما فى الحمرة ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها بعضا مع اشتراك الكل فى الطيب ثم عجائب أشكال حبوبها فانه لكل واحدة شكل وورق وعرق وزهر ولون وطعم ورائحة وخاصة بل خاصيات لا يعرفها غير الله والتي عرفها الانسان بالنسبة الى ما لم يعرفه كقطرة من بحر فانظر الى الارض وهى ميتة فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبت فنون الاشجار وعجائب النبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الاشكال والالوان والطعوم والصفات والاراييح يفضل بعضها على بعض فى الاكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة فان قلت ان اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فتى كان فى النواة نخلة مطوقة بمناقيد الرطب ومتى كان فى حبة واحدة سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة ثم انظر الى ارض البوادي وقتش ظاهرها وباطنها فتراها ترابا متشابهها فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبت من كل زوج بهيج ألوانا مختلفة ونباتا متشابهها وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر فانظر الى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة فهذا النبات يغذى وهذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا اذا حصل فى المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق وهذا يستحيل الى الصفراء وهذا يجمع البلم والسوداء وهذا يستحيل اليها وهذا يصفى الدم وهذا يستحيل دما وهذا يفرح وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف فلم تنبت من الارض ورقة

ولا تبنة الا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تربيته الى عمل مخصوص وبعض ذلك يستنبت ببث البذر في الارض وبعضه بغرس الاغصان وبعضه يركب في الشجر ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله لانقضت الايام في وصف ذلك لكثرة ما اشتمل عليه من المعجائب والفرائب حتى حير الالباب بما أودع فيه من النظام المحكم والاسرار والحكم قال صاحب الرسالة الحميدية وأغرب شأنه وكل شؤنه غريبة كيفية تمثيله لاجزاء الارض والماء والهواء لبنيته وتطويرها باطواره بينما هذه الاشياء عديمة النمو والحياة اذراها قد دخلت في تركيب النبات فانقلبت جسما ناميا متغذيا ذا حياة نباتية مكتسبا خواص لم تكن له من قبل ثم تنظر الي ذلك الجسم النباتي فتراه من وجه عديم الارادة فاقد الادراك أشبه شيء بالجماد وتنظر اليه من وجه آخر فتراه قد ضرب بعروقه في بطن الارض لتناول الغذاء فهو وان لم يسع على أقدامه كالحوان في طلب رزقه ولكن يبلغ في باطن الارض ما لا يبلغه الحيوان وتري أغصانه تتعالى أو يتعرش بشوكه ولبابه على المرتفعات لينتفع بنور الشمس كالحوان المتسلق على الاشجار لطلب الاثمار وقال صاحب كشف الاسرار النورانية القرآنية واذا تأمل عاقل في الاعضاء النباتية يتعجب من صنع البارئ تعالى وقدرته جل وذلك أنه يشاهد الجذور ذات الالياف الشعرية التي تمتص السوائل السائلة في الارض بقوة عجيبة وتنقل السائل المغذي الى أوعية النبات وكذلك الى السوق والفروع القائمة في وسط الهواء المعدل تغذيته ثم الاوراق التي هي أعضاء تنفس وتحاب وافراز يمتص بها النبات الهواء ويخرج الابخرة والغازات التي ليست نافعة لغذائه وكذلك الاوعية المختلفة الاشكال التي تدور فيها العصارة اللينفاوية والعصارة المنصلحة وكذلك المسام القشرية

والخلايا قال صاحب الفلسفة الحققة ولو حدثنا مطايا البحث والتنقيب في ميدان علم النبات فلا يحتمل أن نجد لبدايته حدا ولو بذلنا عمرنا كذا وجدنا بل كلما توغلنا في أرجائه نرى غرائب تدهش ألبابنا وعجائب تستحق إعجابنا فهي مملكة يتنزه فيها الناظر والناظر وربما زاد تنزه الثاني على الأول وهو في الحقيقة عليه المعول \* من هذه البدائع أن من البذور مالا تتأخر رؤيته إلا إلا بالميكرو سكوب ولو وضعناه في شروط انباته لا نستطيع أن ننظره بالعين العارية إلا بعد جملة سنين أي لا ينمو إلا ببطء زائد الحد. لكننا نرى من جهة أخرى أن بعض النباتات لا يستطيع رؤيتها الرائي إلا بالميكرو سكوب تنمو خلاياها (إذا وضعت في شروط الانبات) بسرعة مدهشة للفكر جدا حتى أنها لتصل في بضع ساعات إلى حجم البطيخة أعني أنه يتكون فيها في الدقيقة الواحدة (٩٥) مليوناً خلية ويوجد من النبات ما يزرع نفسه بنفسه وذلك أنك تجد في بعضها أن الغلاف الثرى أو المبيض متمتع بخاصية المرونة بزوره غير ثقيلة ففي النبات الذي من هذا القبيل ينفثح مصاريع ثمره فجأة فتتقذف البزور من داخلها إلى مسافات بعيدة وقد يكون انفصال المصاريع مصطحبا بفرقة شديدة تسمع من بعد كما يسمع انفجار البارود . ومن النباتات ما يأكل لحوم الحيوانات وهو متمتع بالأعضاء التي تؤهل له هذه العملية على أحسن نظام وترتيب وذلك أن أوراقه منقسمة إلى قسمين قسم مفرطح والقسم الذي يليه منقسم إلى قسمين يمكن أن ينطبقا عند اللزوم وحافات هذين القسمين الأخيرين محلاة بهدبات بحيث أنهما إذا انطبقا تعشقت هذه الهدبات في بعضها وكونت لقفص شبيه بالمصيدة ويوجد داخل هذه المصيدة ثلاثة خيوط متى لامسها حيوان انطبقت عليه المصيدة في الحال فتمنعه من الخروج فإذا تم لها هذا الصيد تفرز الغدد الموجودة في المصيدة سائلا فيه

حوامض بها تذيب جسم الحيوان أى تهضمه وتمتص ما يوافقهما من أجزاء الحيوان وتترك مالا يوافقهما منه ولبعض أنواع هذه النباتات خاصية غريبة وهو أنه يصطاد الحيوانات بطريقة فنية وذلك أنه يفرز لها مادة مخصوصة يحصل بها التأثير على أنوف الحيوانات التي تنفع لغذائه تأثيرا مقبولا فتطلب تلك الرائحة ولما اتصل اليها وتلامس داخل المصيدة تنطبق عليها أجزاؤها فيكون عقاب عدم تبصرها وقوعها في شرك ذلك النبات الذي يذيب جسمها ويمتصه ليقيم أود حياته وقال صاحب الرسالة الحميدية وبينما نقول انه لا يتغذى الا بأجزاء الارض والماء والهواء نرى منه النباتات المفترسة وهي التي تنبت في غيرها من النباتات وتتغذى بعصارتها كما يعيش بعض الحيوان على بعضه ومنها ما احتوت أوراقه على عصاري يغري الذباب أن يسقط عليها فاذا سقط على ورقة منها أحست به وانطبقت عليه ولا تتركه حتى تمتص رطوبته ثم تتركه ميتا لم يبق منه سوي القشر فهذا نبات يتغذى بحيوان أخذ اثمار العالم النباتي الذي يتغذى به العالم الحيواني وبينما نرى أن النبات لا بد أن تفلق جذوره اما في الارض واما في بنية غيره من النباتات التي يفترسها نرى النباتات الهوائية وهي أعشاب لا أصول لها في التربة تتعلق على غيرها وتتناول غذاءها من الهواء ومن عجيب أمرها أن زهرها قد يشاكل الفراش والنحل وغيرها من أنواع الذباب واذا حركها الهواء يظنها الرائي فراشا يحوم على الاشجار أو نحلا يسمى في جنى العسل من الازهار ومن أزهارها ما يشاكل الرتيلاء ومنها ما يشاكل الانسان الي غير ذلك من الصور المختلفة قال ومما نظرتة بعيني وان كان ليس من النباتات الهوائية بل ينبت من بصيالات في الارض نبات يحمل زهرة هي صورة طير أصفر برأس وعينين ومنقار وعنق وصدر وجناحين منتشرين بعض الانتشار منتصب القامة كما ينتصب الديك

وعند أسفل بطنه صورة نحلة بلون سنجابي واضحة فيها بطنه كأنها تمتص منه شيئاً وهي ذات رأس وعينين وظهر منقوش وجناحين ممتدين من أصل فخذ الطير فهما مشتركان بين أن يكونا فخذين له وجناحين لها وكل تلك الاعضاء التي فيها واضحة بينه لأنها تقارب الاعضاء مجرد مقارنة منظر يستوقف الطرف ويشهد بوحدانية خالقه وقدرته واحكامه وتوجد هذه الزهرة في بركة بيروت في محل يقال له ظهور الاشرفية ويسمى بها بعض أهل تلك الجوار زهرة الطير وبعضهم زهرة النحلة قال وفد وجدت بعضهم (يعني بعض الفلاسفة الماديين) يعلل تكون تلك الازهار على صورة الحيوانات بتعاليل واهية فأطلب منهم تعليل تكون هذه الزهرة بما يمنع العقل ولا أراكم تقدرون على ذلك ولا أرى مقنعاً للعقل الا احالة تكوينا على صنع القادر المريد الحكيم العليم لا على حركة أجزاء المادة ولا على ناموس التباينات ولا على أمثال ذلك من الامور العمياء الصماء البكماء وبينما نرى أن بعض النباتات لا يحس بأشد الملامسات ونحکم بأن من جملة الزوارق بينه وبين الحيوان الاحساس في الحيوان دونه اذ نرى النباتات الحساسة ومنها السنط الحساس الذي اذا لمس أو حرك أحس وانضمت وريقاته وتشنج سائر أورافه ومنه النبات المفترس للحيوان الذي تقدم ذكره فانه يحس بوقع الذباب عليه فيمسكه ويمتصه وبينما نرى أن النبات لا يتحرك الا بفاعل خارجي كالهواء والحيوان اذ نرى النبات المتحرك بنفسه لغير قاصر ظاهر فهذا النبات يتحرك بنفسه حركات يرسم بها في الهواء مخاريط هندسية فورفته مؤاة من ثلاث وريقات اكبرها العليا في الوسط والصغريان تحتهما على الجانبين تتحركان مدة حياتهما ليلاً ونهاراً في الحر والبرد والشمس والظل والصدو والمطر لا تنقطع حركتهما ترتفع الواحدة منهما وتنخفض الاخرى على التوالي بحركة



مستديرة ومنه مالا تتحرك ورقته الوسطى الا صباحا ومساءً بخلاف  
الجانبتين فان احدها ترتفع والاخرى تنخفض طول النهار قال وقتتم انهم  
وجدوا على جانب نهر الكنج في الهند نباتاً تتحرك وريقاته كذلك ستين حركة  
في الدقيقة فهو ساعة حية نامية لا تقف ولا تكلف صاحبها شيئاً من النفقة  
ومشركوا الهند يقدسون هذا النبات وينسبون اليه قوة الهية وما هو الا شاهد  
على افراد خالقه بالربوبية ومنه ما يتحرك زهره مع حركة الشمس في قبة الفلك  
وهو كثير في بلادنا ويسمونه بالملك وبعابد الشمس لان زهرته المستديرة  
المؤلفة من دوائر بديعة الاصباغ محكمة الصنع محاطة بأهداب نخيوط الحرير  
وفي وسط نوع منه شيء كعقرب الساعة تستقبل تلك الزهرة الشمس في اول  
شروقها ولا تزال تتحرك لاستقبالها كلما ارتفعت الشمس لقبة الفلك حتي تبلغ  
الهاجرة فتكون تلك الزهرة حينئذ سطحية الوضع ثم كلما مالت الشمس الي  
المغرب مالت معها حتي تقاربها في المغيب فسبحان المبدع الخبير ثم في تباينات  
النبات ما يثير الافكار ويشهد بأن مبدعه فاعل مختار لا يحكم عليه ناموس ولا تدخل  
قدرته تحت تحديد نبي، عن الاضطرار وعدم الاختيار وذلك أنا نري منه ما  
يلعب من الكبر والارتفاع مبلغا يفوق الحد كما في أرز لبنان وأم الاجمة التي  
توجد في أمريكا طولها ثلاثمائة قدم وأربعمائة قدم وقطر بعضها عند الارض  
ثلاثة عشر قدما وسمك قشرها ثمانية عشر قيراطا ومن أشجارها ما جوف  
ساقها وطرحت فكان الفارس يدخل جوفها منتصبا على صهوة حصانه فلا  
يمسها وبعض الاشجار في اسكتلندا بلغ محيطها تسمين قدما وحسب عمرها  
بمقابلتها بأصغر أشجار نوعها فكان خمسة آلاف سنة وفي كاليفورنيا شجرة  
صنوبر طولها ثلاثمائة قدم ومحيطها ثلاثون قدما وعمرها ستة الاف سنة وأغرب  
من ذلك كله شجرة عندهم في احدي جزائر كناريا في الاقياوس الا تلتيك لا

يحيط بساقها عشرة رجال يدون أيديهم حولها يمس كل منهم أنامل مجاوره بأنامله وقد مر على اكتشاف تلك الجزيرة ما يقرب من أربعمئة سنة ولم يتغير منظر تلك الشجرة فان نمو هذا النبات بطيء كما يشاهد من نمو صغاره فكم مر عليها من القرون قال بعضهم اني أقول انها كانت تنمو منذ قرون كثيرة قبل خلق الانسان وزري من النبات عالما على غاية الصغر قد أظهره المكر سكوب وذلك كالطحلب الذي يعلو وجه الماء والعفونة التي تلتصق بالجدران وغيرها فكل ذلك يظهر تحت المكر سكوب كأنه بستان أو مرج أو غابة كثيفة تحمل مع صغرها ودنائها زهرا وبزرا ينتشر مع الهواء من جملة الهباء ويقع على الجدران وغيرها فاذا شاء الله ووافقته الاحوال استفرخ ونما وأزهر وبزر والعين المجردة لا تراه الا كالغبار الاخضر وزري من النبات ما يتقابل فيه الاضداد في اختلاف أشكاله وأشكال أوراقه وازهاره وأثماره وبزوره وروائح طعمومه وألوانه ومنافه ومضاره ما يفوق الاحصاء فنه الشجر والنجم والعشب والصفير والشتوى والريبي والحريفي والسهلى والجبلى والمكتفى بماء المطر والمحتاج الي سواه والمختص باقليم والذي يعيش بكل الاقاليم ومن أوراقه المستدير والمستطيل والمسنن والعريض والرفيع ومع اشتراكها في لون الخضرة فخصرتها مختلفة لا تجد خضرة نوع تشبه خضرة نوع آخر وأزهاره أكثر اختلافاً وأوفر تبايناً في الأشكال والالوان فمنها المستدير والمستطيل والمفرد والمضاعف وأشكال شتى لا تحصى ومنها الابيض والاحمر والاصفر والازرق والاخضر والمنقش بأبداع النقوش والمجتمع فيه الضدان والاضداد من الالوان وروائح من أبداع الخواص فمنها المستطابة التي تنمش القلوب والمستكرهة التي تميمت النفوس ويكفي بالتنبيه على اختلافها ان لا نجد رائحة زهرة من نوع تشبه رائحة زهرة من نوع آخر تمام الشبه واختلاف

أثماره بأشكالها وألوانها وروائحها وطعومها وأقذارها مما يتيه العقل في تيهاته  
فإنها الكبير والصغير والعريض والطويل والمستدير والكروى والمحدب  
والمسنن وغير ذلك ومنها الأحمر والأصفر والأبيض والأسود والأزرق  
والمنتقش وغير ذلك ومنها ذو الرائحة التي لم توجد في زهره ولا ورقة من كل  
رائحة زكية. وأخرى على الأنوف بلية. ومنها الحلو والحامض والمز والمر ونحو  
ذلك من الطعوم التي لا تستقصي ومن غريب أمر الأثمار أنك ترى قشرها  
بطعم ولون ورائحة لا توجد في اللب وفي اللب من ذلك ما لا يوجد في البزور في  
البزر من ذلك ما لا يوجد في كامل أجزاء الشجرة ومن الأثمار ما يحتوي على  
البزور المختلفة الأشكال والروائح والطعوم والألوان ومنها ما يخلو عن البزور  
ومنها ما هو مغلف بغلاف أو أكثر ومنها ما ليس كذلك ومنها صغير وأصله  
شجر كبير كالجوز ومنها ما هو كبير وأصله من الأعشاب كالبطيخ ومن النبات  
ما يعطي ثمرته بشهر أو أقل ومنه ما لا يعطي ثمرته إلا بعد سنين ومنه ما ينتفع  
بعروقه أو أصوله أو ورقه أو زهره أو ثمره أو بزره أو قشره أو عصارته وما ينتفع  
منه بشيئين أو أكثر من ذلك وما ينتفع بجميع ذلك ومنه ما أصله نافع وثمره  
ضار أو ورقه أو زهره ومنه بالعكس فيجتمع في النبات الواحد الداء والدواء  
وبالاختصار نرى الشجرة الواحدة قد تتخالف خواص عروقها وساقها وقشرها  
وورقها وزهرها وثمرها وبزورها فلا تجد خاصة من تلك الخواص تنطبق  
تماماً على خاصة أخرى منه وكل أنواع النبات تسقي بماء واحد وقد تغذي بتربة  
واحدة وتمتص ما يلزمها من هواء واحد وأعضاؤها إنما هي قسمان أعضاء النمو  
وهي الجزور والسوق والورق وأعضاء التناسل وهي الزهر والثمر والبزور ثم  
إنه من هذه الأعضاء البسيطة القليلة العدد تتألف الألوف من النباتات البالغة  
بحسب ما وصل إليه احصاء النباتيين ما ينوف عن ثمانين الف نوع وهي

التي تكسو جبالنا وتلوننا وأوديتنا وحدائقنا خضرة وتزينها بأزهارها وتملأ  
مخازننا فواكه وحبوباً وتلبس أجسادنا وتعمريوتنا وسفنتنا وتعالج أمراضنا  
وتشعل نيراننا وتحفظ أمتعتنا وتفعل وتفعل الي ما يكبو في مضار احصائه  
القلم ويرعى اللسان بالبيكم. أكل تلك الصور وجميع تلك الاطوار وترتب تلك  
المنافع وظهور هاتيك الاسرار مع اتحاد أصل المادة وانفاق جميع الاسباب  
الجوهريّة يكون مصدرها حركة أجزاء المادة مع الضرورة العمياء أو الصدقة  
الصماء أو النواميس التي لا تعلم ولا تشاء أم ذلك كله من ابداع مبدع قادر. وحكيم  
قاهر. وعليم يعلم بما صار وبما هو صائر. نعم ان جميع تلك الغرائب وعموم هاتيك  
العجائب ترفع اعلام الشهادة بأن للعالم الها عليا وصانعا حكيماً يخلق ما يشاء  
ويفعل ما يريد ثم ان النبات وان كان كل نوع منه نعمة أنعم بها الخالق  
سبحانه على خلقه ولكن بعضه تعظم فيه النعمة وتسمو فيه المنة وان يكن  
كل فرد منه غريباً ولكن قد يكون بعضه أعرق في الغرابة فلندكر من  
ذلك طرفاً بالتفصيل فنقول\* من النعم المستغربة في عالم النبات شجرة الخبز في  
جزائر الباسنيك تحمل ثمرات كروية قطر أصغرها أربعة قراريط وقطر  
أكبرها سبعة وثقلها أربعائة وعشرون درهما وهي تجنى مدة ثمانية أشهر  
متوالية من كل سنة وهي خبز لاهل تلك الجزائر يقتاتون به كما يقتات بالخبز  
الصناعي وهو جلّ طعامهم أعده لهم الباري تعالي من دون عناء ما تكابده في  
ندبير خبزنا وفي هذه الشجرة منافع أخرى فوائدهم من أخشابها وثيابهم  
من قشورها وقواريرهم من سوقها ومن ذلك شجرة الحليب وهي شجرة  
يوجد منها في الهند ما يسمى هيا هيا يخرق ساقها فيخرج منه حليب جيد  
أكثر من حليب البقر وفي برازيل شجرة منها تسمى ما سارندوبا تزهر في  
شباط وتثمر ثمراً طعمه كشراب الليمون ويستخرج من ساقها لبن أبيض شهبي

أخر من حليب الماشية يتغذى منه السكان ويتخذونه جل قوام حياتهم ومن ذلك شجرة القشدة وهي شجرة هندية وإفريقية تحمل ثمرًا لونه كالقشدة قوامًا وطعمًا يبقى شهورًا في البلاد الحارة في الآنية ولا يتغير منه لونه ولا طعمه ومن ذلك شجرة النارجيل أي الجوز الهندي فإن منافعها قل أن تحويها شجرة فقد قيل أنه يتخذ من جوزها قبل نضجه شراب وبعد نضجه يالحكي الحليب وتطبخ أوراقها كالخضر ويتخذ من عصارة أزهارها سكر ومن أخشابها وقشر جوزها أوان وصحون وجفان وتشاد من أخشابها أيضا البيوت وتنسج من أوراقها حصر ومظال ويتخذ من خيوط أليافها ثياب ومناخل وقلوع وحبال ومن دهن جوزها زيت ومن نشارة أخشابها حبر للكتابة ومن أوراقها قراطيس للكتابة أبيضًا وشجرة النخل لا تقصر كثيرًا عنها في وفرة المنافع فثمرها يؤكل زهرًا وبسرًا ومذنبًا ورطبًا وثمرًا وهو فاكهة وقوت وذخيرة وينتفع بأخشابها وجريدها وعراجينها وأليافها حتى بنواها فيطحن ويجعل قوتًا للجمال فسبحان المنعم لمنفضل على عباده بغيرائب نعمه وعجائب مننه القادر على تنويع الأنواع وتطوير الأطوار وخاتمة الكلام في عالم النباتات إن أحق الناس بالاستدلال بشؤون النبات علي وجود الصانع النادر العليم الحكيم هم العلماء النباتيون الذين ملؤا المجلدات في شرح أحواله وشؤونهم فتراهم قد خاضوا في البحث عن كيفية استفراخه ونموه والتغيرات التي تطرأ عليه من أول زرعه الي أن يبلغ غايته وعن كيفية تناسله وتلقيحه جنينه بمادة اللقاح التي هي كمنى الحيوان وعن تشرح أبنية جذوره وسوقه وأغصانه وأوراقه وبراعمه وأزهارها وأثماره وبزوره وعن أعضاء كل منها ونظامات قيامها فيه وخواصها ووظائفها ومنافعها وتقلباتها وعن مدد حياته واختلاف أنواعها وعن انتسامه الي صفوف وعيال وأسباط وأجناس وأنواع وتباينات وأفراد

الي غير ذلك مما يحير العقول ويدل على عظمة قدرة خالقه وحكمة مصوره  
جل وعلا فتبارك الله رب العالمين فهو لاء العلماء يكاد العقل لا يصدق بوجود  
طبيعيين منهم منكرين للخالق سبحانه كيف وقد اطلعوا على تفاصيل هذا العالم  
ودقائق صنعه المحتاجة الي صانع قادر ومدبر حكيم عليم

﴿ المطلب الثاني في كيفية التفكير في النبات ﴾

« على مقتضى ما تدل عليه الآيات »

( القرآنية )

قال تعالي في سورة البقرة ( وما أنزل الله من السماء من ماء ) عطف على ما في  
الآية قبله والمعنى ان آيات لقوم يعقلون حاصلة في ما أنزل الله من السماء من  
مطر ( فأحيى به الارض ) بأنواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار  
( بعد موتها ) أي يبسها وذهب زروعها وتناثر أوراقها قال الامام نجر الدين  
اعلم أن هذه الحياة من جهات ( أحدها ) ظهور النبات الذي هو الكلا  
والعشب وما شا كلها مما لولاه لما عاشت دواب الارض ( وثانيها ) انه  
لولاه لما حصلت الاقوات للعباد ( وثالثها ) انه تعالي ينبت كل شىء بقدر  
الحاجة لانه تعالي ضمن أرزاق الحيوانات بقوله وما من دابة في الارض الا  
على الله رزقها ( ورابعها ) انه يوجد فيه من الالوان والطعوم والروائح وما يصلح  
للملابس لان ذلك مما لا يقدر عليه الا الله ( وخامسها ) انه يحصل للارض  
بسبب النبات حسن ونضرة ورواء ورونق فذلك هو الحياة . واعلم أن  
وصفه تعالي ذلك بالاحياء بعد الموت مجاز لان الحياة لا تصح الا على من  
يدرك ويصح أن يعلم وكذلك الموت الا أن الجسم اذا صار حيا حصل فيه  
أنواع من الحسن والنضرة والبهاء والنشو والنماء فأطلق لفظ الحياة على حصول

هذه الاشياء وهذا من فصيح الكلام الذي على اختصاره يجمع المعاني الكثيرة  
 (واعلم) ان احياء الارض بعد موتها يدل على الصانع من وجوه (أحدها)  
 نفس الزرع لان ذلك ليس في مقدور أحد على الحد الذي يخرج عليه (وثانيها)  
 اختلاف ألوانها على وجه لا يكاد يحدو بمحصى (وثالثها) اختلاف طعوم ما يظهر  
 على الزرع والشجر (ورابعها) استمرار العادات بظهور ذلك في أوقاتها  
 المخصوصة \* وقال تعالى في سورة الانعام (ان الله فائق الحب والنوى)  
 شروع في تقرير بعض أفاعيله تعالي الدالة على كمال علمه وقدرته  
 ولطف صنعه وحكمته والقلق الشق بإبانه أى شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر  
 فيشق الحبة اليابسة فيخرج منها ورقاً أخضر ويشق النواة اليابسة فيخرج  
 منها شجرة صاعدة في الهراء وقيل المراد به الشق الذى فى الحبوب والنوى  
 أى خالقهما كذلك وقيل القلق بمعنى الخلق قال الواحدى ذهبوا بفائق مذهب  
 فاطر وقال الامام فخر الدين القطر هو الشق وكذلك القلق فالشئ قبل أن  
 دخل فى الوجود كان معدوماً محضاً ونفياً صرفاً والمقل يتصور من المدم  
 ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انفلاق ولا انشقاق فاذا أخرجه المبدع الموجد  
 من المدم الى الوجود فكأنه بحسب التخيل والتوهم شق ذلك المدم وقلقه  
 وأخرج ذلك المحدث من ذلك الشق فهذا التأويل لا يبعد حمل الفائق على  
 الموجد والمحدث والمبدع (يخرج الحى من الميت) أى يخرج ما ينمو من  
 الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب ( ويخرج الميت ) كالنطفة  
 والحب (من الحى) كالحيوان والنبات قال الزجاج يخرج النبات النض  
 الطري الخضر من الحب اليابس ويخرج اليابس من النبات الحى النامي قال  
 الامام فخر الدين والمقصود منه أن الحى والميت متضادان متنافيان فحصول  
 المثل عن المثل بوجه أن يكون بسبب الطبيعة والخاصية أما حصول الضد

من الضد فيمتنع أن يكون بسبب الطبيعة والخاصية بل لا بد وأن يكون بتقدير المقدر الحكيم والمدبر العليم (ذلكم) القادر العظيم الشأن هو (الله) المدبر الخالق المستحق للعبادة وحده (فاني تؤفكون) فكيف تصرفون عن عبادته تعالى وقال تعالى في سورة الانعام أيضا (وهو الذي أنزل من السماء ماء) تذكير لنعمة من نعمه تعالى منبهة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته أي أنزل من السحاب أو من سميت السماء ماء خالصا هو المطر (فاخرجنا به) النفث الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لاجله أي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته (نبات كل شي) من الاشياء التي من شأنها النمو من أصناف النجم والشجر وأنواعها المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان (فاخرجنا منه خضرا) شروع في تفصيل ما أجمل من الاخراج وقد بدى بتفصيل حال النجم أي فاخرجنا من النبات الذي لاساق له شيا غضا أخضر يقال شي أخضر وخضر كأعور وعور وأكثر ما يستعمل الحضر فيما تكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة المسمى بالسويق (نخرج منه) صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة أي نخرج من ذلك الحضر (حبا متراكبا) هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وذلك لان الاصل هو ذلك العود الاخضر وتكون السنبلة مركبة عليه من فوقه وتكون الحبات متراكبة بعضها فوق بعض ويحصل فوق السنبلة أجسام دقيقة حادة كأنها الابر والمقصود من تخليقها أن تمنع الطيور من التقاط تلك الحبة المتراكبة قال صاحب الفلسفة الحقة لو فحصنا بزره من القمح فحسا علميا نجد أنها مكونة من مواد أزوتية أعني مواد مركبة من أو كسجين وأيدروجين و كربون وأزوت ومواد



أيدروكربونية أي مواد مكونة من أوكسجين وأيدروجنة وكربون بدون وجود الازوت ثم يوجد مع هذه المواد خلية صغيرة تسمى الجنين وهي الخلية التي تستحيل بسبب الحياة التي أودعها الخالق تعالى في النبات الي نبات شبيه بالتي خرجت منه فلو وضعنا هذه البزرة في أرض رطبة متمتعة بالاشياء التي جعلها الله تعالى شروطا عادية للانبات وهي الماء والحرارة الشمسية والهواء نجد بعد مدة يسيرة أنها برزت من الارض على هيئة شجيرة صغيرة ذات ساق وورقتين في قمته فتستمر على النمو الي أن تلحق أعظم شأوها فتنبت لنا سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ولو زرعت تلك الحبات كلها لانتجت لنا ملايين من الحبوب المشابهة لها أيضا حتى أننا لو استمررنا على زرع كلما ينتج لأمكننا أن نملأ مخازن الدنيا كلها حبوبا. ذلك كله من حبة واحدة . لاشك أن من يري هذه الغرابة لابد أن تتوق نفسه الى النظر والتفكر في صنع الباري تعالى لنمو البزرة واستحالتها الي شجرة فنقول يوجد داخل البزرة خميرة مخصوصة يسمونها الديستاز وهذا الديستاز قد جعله الباري تعالى سببا لاحالة المواد الايدروكربونية الي مادة سكرية قابلة للذوبان في الماء تسمى الجليكوز وحكمة هذه الاستحالة عجيبة فان تغذية النباتات لا تحصل الا بتشرب خلاياها للسوائل المغذية بطريقة الاسموز التي تكلمنا عليها عند النظر في الانسان فلو لم تستحل المواد الايدروكربونية الي جليكوز لما أمكن الجنين تشرب الغذاء لان هذه المواد غير قابلة للذوبان فوجد الديستاز ليحصل به فعل كياوي مهم به تستحيل تلك المواد الي جليكوز قابل للذوبان (فتأمل) وفي الوقت الذي يحصل فيه تشرب الخلية الجنينية للسائل المغذي

يكبر حجمه فتنقسم تلك الخلية الى خليتين فتظل الخلايا الجديدة تكبر  
 وتنقسم الي أن تكون السويق أي الساق الصغير الذي يبرز بعد وضع البزرة  
 بمدة يسيرة وفي الوقت ذاته يتكون جذير أي جذر صغير يتجه الي مركز  
 الارض ومن الغريب أن الخلايا لما تنقسم وتتكاثر لا تكون أوراقا ولا تكون  
 خيوطا ولا ولا بل تكون ذلك السويق المهود لكل شجيرة قح وهو لا  
 يتجه الي أسفل ولا الي احدى الجوانب بل يظهر خارج الارض كان في داخل  
 الارض مهندسا ماهرًا فوق العادة يأمر الخلايا أن هذه تبقي في هذا الموضع  
 والاخري في ذلك على حسب الدقة والهندسة التي نري بها ذلك السويق  
 فسبحانك اللهم لا اله الا أنت لك المثل الاعلى في السموات والارض وأنت  
 الصانع المختار الحكيم قال الامام حجة الاسلام اذا وجدت حبة أو حبات من  
 البر فلو أكلتها فنييت وبقيت جائعا فما أحوجك الي أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد  
 وتتضاعف حتى تقي بتمام حاجتك ولا يكون ذلك الا بالغذاء كما تعتدي أنت  
 فان النبات انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لانه يغتذي  
 بالماء بواسطة العروق كما تعتدي أنت ولسنا نطلب في ذكر آلات النبات ولكن  
 نشير الي غذائه فنقول كما أن الحشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج الي طعام  
 مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج الي شيء مخصوص بدليل  
 أنك لو تركتها في البيت لم تزد لانه ليس يحيط بها الا هواء ومجرد الهواء  
 لا يصلح لغذاها ولو تركتها في الماء لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم  
 تزد بل لا بد من ارض فيها ماء يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة  
 بقوله تعالى فلينظر الانسان الي طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا  
 فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا ووزيتونا ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في  
 ارض ندية صلبة مترامكة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الي تركها في ارض رخوة

متخلخلة يتغلغل الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الي ربح تحرك الهواء وتضر به بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة بقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فتحتاج الي حرارة الربيع والصيف فقد بان احتياج غذائه الي هذه الاربعة فانظر الي ماذا يحتاج كل واحد فان لله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصي وذكر ذلك هنا مما يطول قال صاحب الفلسفة الحققة وحيث ان البزرة في أثناء نموها تحتاج الي حرارة شأن كل كائن حي فالبزرة تستمد هذه الحرارة من المواد الايدروكربونية الموجودة فيها بطريقة لطيفة وهي .نحن علمنا ان اتحاد اى عنصر من العناصر بأوكسجين الهواء يحدث احتراقا ومن المعلوم ان اوكسجين الهواء لا بد ان يكون دائرا في خلال الارض المحروثة فيتحد هناك بالمواد الايدروكربونية فينتشر بسبب هذا الاتحاد حرارة تكفي لانعاش الجنين وجعله صالحا للحياة وعند ما تنفذ المواد الازوتية التي تمنى النبات والمواد الايدروكربونية التي يتسبب عنها وجود الحرارة يكون قد نما له عضوان آخران يقومان له بوظيفتي التغذية والحرارة وهما السويق والجذير أما السويق فيكون حاملا لورقتين منبثا في خلاياه وخلاياها مادة خضراء تسمى الكلوروفلا واليها الاشارة بقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا وقد اوجد تعالى تلك المادة لتكون سببا في تحليل حمض الكربون الموجود في الهواء ( بعد أن تمتصه الاوراق من الهواء والجذير من الارض ) الي اوكسجين وكربون فتأخذ الثاني وتترك الاول وقد جعل تعالى ضوء الشمس سببا مساعدا على ذلك وهذا التحليل هو سبب عدم فناء اوكسجين الهواء من سطح الكرة لان النبات ياخذ حمض الكربون الذي أخرجه الإنسان من فمه بالزفير فيأخذ كربونه وينشر الاوكسجين في الهواء

ولما ياخذ النبات الكربون ويدخله الى خلاياه يتحد فيها مع الاوكسجين والايروجين فيكون تعالى من ذلك مواد ايدروكربونية وقد علمت ان هذه سبب وجود الحرارة عند النبات \* أما الجذير فهو عبارة عن قناة ذات ميزاب ضيق تمتص الماء المذيب للمواد المعدنية التي تصلح لتغذية النبات وقد علمت عند النظر في الانسان ما لامتماصاص بواسطة الاسموزفلازوم لاعادته هنا (ومن النخل من طلعه قنوان) شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم وقوله تعالى ومن النخل خبر مقدم وقوله من طلعه بدل منه باعادة العامل والطلع اول شيء يخرج من النخل كانه نملان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدا مؤخر أى وحاصلة من طلع النخل قنوان جمع قنو وهو عنقود النخلة المسمى بالمرجون (دانية) ملئفة متقاربة أوسهلة المجتئى قريبة من القاطف فان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد نأبي بالثمر لا ينتظر الطول واذا طالت فقد أوجد تعالى من الحشونات والتضريسات في جذوعها مايسهل به اجتناء ثمرها ولولا هذه الحشونات والتضريسات لكان اجتناء ثمر النخل في غاية البعد فقوله تعالى دانية للتنبيه على نلك الحكمة وقال الزجاج ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان ذكر احد القسمين يدل على الثانى وقيل أيضا ذكر الدانية القريبة وترك البعيدة لان النعمة في القريبة أكمل وأكثر (وجنات من أعناب) عطف على نبات كل شيء اى وأخرجنا به جنات كائنة من أعناب (والزيتون والرمان) منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم أو على العطف على نبات (مشتبها وغير متشابهه) حال من الزيتون ا كتفى به عن حال ما عطف عليه وتقديره والزيتون مشتبها وغير متشابهه والرمان كذلك وقد جوز أن يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابهها وبعضه غير متشابهه في الهيئة

والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها قال الامام نضر الدين اعلم انه تعالى ذكر ههنا أربعة أنواع من الاشجار النخل والعنب والزيتون والرمان وانما قدم الزرع على الشجر لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفاكهة وانما قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يجري مجرى الغذاء بالنسبة الي العرب ولان الحكماء بينوا أن بينه وبين الحيوان مشابة في خواص كثيرة بحيث لا توجد تلك المشابة في سائر أنواع النبات وفيه من المنافع والخواص ما ليس في غيره من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخل لان العنب من أشرف أنواع الفواكه وذلك لانه من أول ما يظهر يصير منتقما به الي آخر الحال فاول ما يظنر على الشجر يظهر خيوط خضر دقيقة حامضة الطعم لذيدة المطعم وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم بعده يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء والمرضى وقد يتخذ الحصرم اشربة لطيفة المذاق نافعة لاصحاب الصفراء وقد يتخذ الطبيخ منه فكانه الذ الطبائخ الحامضة ثم اذا تم العنب فهو الذ الفواكه وأشهاها ويمكن ادخار العنب المعلق - نة أو أقل أو أكثر وهو في الحقيقة ألد الفواكه المدخرة ثم بقي منه أنواع من المتناولات الزبيب واللبس والخل ومنافع هذه الانواع لا يمكن ذكرها الا في المجلدات فاحس ما في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشنت عظيمة النفع للمعدة الضعيفة الرطبة فثبت أن العنب كانه سلطان الفواكه وأما الزيتون فهو أيضا كثير النفع لانه يمكن تناوله كما هو ويفصل أيضا عنه دهن كثير عظيم النفع في الاكل وفي سائر وجوه الاستعمال وأما الرمان فحاله عجيب جدا وذلك لانه جسم مركب من أربعة أقسام فشره وشحمه وعجمه وماؤه أما الاقسام الثلاثة الاول وهي القشر والشحم والجسم فكما باردة يابسة أرضية كثيفة فابضة عفصة فوية في هذه

الصفات وأما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات فإنه ألد الأشربة والظفها وأقربها إلى الاعتدال وأشدّها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه فاذا تأملت في الرمان وجدت الأقسام الثلاثة موصوفة بالكثافة التامة الأرضية ووجدت القسم الرابع وهو ماء الرمان موصوفاً باللطافة والاعتدال فكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين المتغايرين فكانت دلالة القدرة والرحمة فيه أكمل وأتم واعلم أن أنواع النبات أكثر من أن تفي بشرحها مجلدات فهذا السبب ذكر الله تعالى هذه الأقسام الأربعة التي هي أشرف أنواع النبات واكتفى بذكرها تنبيهاً على البواقى ولما ذكرها قال تعالى مشتبها وغير متشابه وفي تفسير مشتبها وجوه \* الأول أن هذه الفواكه قد تكون متشابهة في اللون والشكل مع أنها تكون مختلفة في الطعم واللذة وقد تكون مختلفة في اللون والشكل مع أنها تكون متشابهة في الطعم واللذة فإن العناب والرمان قد تكون متشابهة في الصورة واللون والشكل ثم إنها تكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس \* الثاني أن أكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهاً في الطعم والخاصية وأما ما فيها من اللحم والرطوبة فإنه يكون مختلفاً في الطعم \* والثالث قال قتادة أوراق الأشجار تكون قريبة من التشابه أما ثمارها فتكون مختلفة ومنهم من يقول الأشجار متشابهة والثمار مختلفة \* والرابع أنك قد تأخذ العنقود من العنب فتري جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الأحبات مخصوصة منها بقيت على أول حالها من الخضرة والحموضة والعفوصة وعلى هذا التقدير فبعض حبات ذلك العنقود متشابهة وبعضها غير متشابهة (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) أي انظروا إليه نظر اعتبار واستبصار إذا أخرج ثمره كيف يخرج ضئيلاً لا يكاد ينتفع به (وينعه) أي وإلى حال نضجه كيف يصير إلى كماله اللائق به ويكون شيئاً لذيذاً جامعاً لمنافع حمة وقال

في الخازن المعنى انظروا نظر استدلال واعتبروا كيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة  
 الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكشيفة اليابسة وقال الامام نخر الدين قوله  
 انظروا الي ثمره اذا أثمر أمر بالنظر في حال الثمر في أول حدوثها وقوله وينعه  
 أمر بالنظر في حالها عند تمامها وكماها وهذا هو موضع الاستدلال والحجة التي  
 هي تمام المقصود من هذه الآية ذلك لان هذه الثمار والازهار تتولد في أول  
 حدوثها على صفات مخصوصة وعند تمامها وكماها لا تبقى على حالاتها الاولي بل  
 تنتقل الي أحوال مضادة للاحوال السابقة مثل أنها كانت موصوفة بلون  
 الخضرة فتصير ملونة بلون السواد أو بلون الحمرة وكانت موصوفة بالحموضة  
 فتصير موصوفة بالحلاوة وربما كانت في أول الامر باردة بحسب الطبع  
 فتصير في آخر الامر حارة بحسب الطبع فحصول هذه التبدلات  
 والتغيرات لا بد له من سبب وذلك السبب ليس هو تأثير الطبائع والفصول  
 والأنجم والافلاك لان نسبة هذه الاحوال بأسرها الى جميع هذه الاجسام  
 المتباينة متساوية متشابهة والنسب المتشابهة لا يمكن أن تكون أسبابا  
 لحدوث الحوادث المختلفة ولما بطل اسناد هذه الحوادث الي الطبائع  
 والأنجم والافلاك وجب اسنادها الي القادر المختار الحكيم الرحيم المدبر  
 لهذا العالم على وفق الرحمة والمصلحة والحكمة ولما نبه الله سبحانه على  
 ما في هذا الوجه اللطيف من الدلالة قال (ان في ذلكم) إشارة الى ما أمر  
 بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايدان بعلو رتبة المشار  
 اليه وبعد منزلته (لآيات لقوم يؤمنون) أي لآيات عظيمة أو كثيرة دالة  
 على وجود القادر الحكيم فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع  
 المتشعبة من أصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في  
 فهمه الابواب لا يمكن أن يكون الا باحداث صانع يه ام تفاصيلها ويرجع

ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه. أو ند يناويه\* وقال تعالى في سورة الانعام أيضا ( وهو الذي أنشأ جنات معروشات ) يعني وهو الذي ابتدع وخلق بساتين ذات اشجار مرفوعات على ما يحملها ( وغير معروشات ) أي غير مرفوعات وفي المراد بالمعروشات وغير المعروشات وجوه . الاول أنهما الكرم فان بعض الاعناب يعرش وبعضها لا يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا . والثاني المعروشات العنب الذي يجعل لها عروش وغير المعروشات كل ما ينبت منبسطا على وجه الارض مثل القرع والبطيخ . والثالث المعروشات ما يحتاج الى أن يتخذ له عريش يحمل عليه فيمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير المعروش هو القائم من الشجر المستغنى باستوائه وذهابه علواً لقوة ساقه عن التعريش . والرابع المعروشات ما يحصل في البساتين والعمارات مما يفرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما أنبت الله تعالى وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش ( والنخل والزرع ) عطف على جنات أي انشأهما ( مختلفا أكله ) أي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والطعم والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه أو للزرع والباقي مقيس عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء ( والزيتون والرمان ) أي انشأهما ( متشابهة وغير متشابهة ) نصب على الحالية أي يتشابه بعض افرادها في اللون والهيئة والطعم ولا يتشابه بعضها مثل الرمانين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة في الجنس والطعم\* وقال تعالى في سورة الرعد ( ومن كل الثمرات جعل فيها ) أي في الارض ( زوجين أنثيين ) أي اثنيان حقيقيان وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكد به الزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك



الشفعان اذ يطلق الزوج علي المجموع ولكن اثنيية ذلك اثنيية اعتبارية  
أى جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين  
اما في اللون كالابيض والاسود أو في الطعم كالحلو والحامض أو في القدر  
كالصغير والكبير أو في الكيفية كالخار والبارد وما أشبه ذلك وذكر صاحب  
صفوة الاعتبار أن المشار اليه في الآية الاعتبار بما في الارض من الثمرات  
وانها كلها مثل الحيوان ذكر وانثي قال وهذا التفسير البين المحمولة فيه الآية  
على حقيقة اللفظ من قوله تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين  
انما اطلعنا عليه من ترقى العلوم الطبيعية والفلاحية فقدتين بالتجربة  
والمشاهدة وقرره جميع فلاسفة المتأخرين في كتبهم أن جميع أنواع الثمرات بل  
حتى الزهور أيضا تشتمل على ذكر وانثي واذا أفرد أحدهما عن الآخر لا تتولد الثمرة  
غير أن بعض الانواع تكون فيه الشجرة الواحدة مشتملة على البذر الذكر وعلى  
البذر الانثي وتتلاقح مع بعضها بالريح وهو المشار اليه بقوله تعالى وأرسلنا الرياح  
لواقح وبمض الانواع تكون فيه شجرة الذكر مفردة عن شجرة الانثي  
وهذا النوع الاخير كان معلوما منه سابقا لبعض أفراد كالنخل والتين لكن  
الآن قد تحقق أن جميع الانواع لا تثمر الا بالتلاقح بين الذكر والانثي حتى  
اذا تتبع قطع أحد الصنفين من شجرة تشتملها وأبقي نور الآخر بحاله ولم  
يكن في ذلك الموضع شجرة أخرى مثلها فان ما بقي فيها من النور لا يثمر  
وقد حرر ذلك وعدت علامات الذكر وعلامات الانثي في كل نوع بحسبه  
فسبحان القادر الحكيم الذي ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم حقا وصدقا  
باوضح المعجزات فقد انبا بهذا مندا اكثر من ثلاث عشرة مائة سنة عند  
مالم يكن هناك حكيم يخلج هذا بفكره فضلا عن الامة الامية وهو أحدها  
لا يقرأ ولا يكتب فلا شك أن هذا انما هو بوحى من الخالق الذي يعلم

ما خلق سبحانه وتعالى ولدقة هذا الامر وغرابته قد اعترف مصنّفو  
اهل هذا العصر بان الحكمة قد فازت بها الامة العربية منذ بعث  
فيها رسولها واستندوا لما اشتمل عليه القرآن من بديع الحكم فان  
معرفة كون الريح تلمح الاشجار لم تعلم عند الحكماء الا في آخر هذا  
القرن والقرآن الكريم ناطق بها ولهذا قال مستر اچنيري الانكليزي ان  
اصحاب الابل قد عرفوا ان الريح تلمح الاشجار والثمار قبل ان يعلمها اهل  
أوربا بثلاثة عشر قرنا أقول وكذلك كون الثمار تشتمل على الزوجين وما ذلك الا  
بتعليم الخالق لابواسطات ولا تعامات ولا تجربات وتحليلات كيمائية اه قال  
صاحب الفلسفة الحقّة لما ينمو النبات تتكون له الازرار التي بعضها يكون الفروع  
وبعضها يكون الازهار التي تختلف في الشكل والطعم والرئحة وفي المادة تتكون  
كل زهرة من غلاف أخضر يسمى الكاس الزهري يوجد داخله أوراق  
أو ورقة مستديرة ذات ألوان بديعة تسمى بالتويج وداخل هذا التويج يوجد  
خيوط تسمى أعضاء التناسل وهذه الاعضاء تنقسم الي أعضاء تذكير وأعضاء  
تأنث أما عضو التذكير فهو خيط يملوه جزء منتفخ يحتوي على حبوب دقيقة  
تسمى حبوب الطلع منها ما يري بالعين وما يحتاج للميكروسكوب وهي ذات  
أشكال متنوعة حيث يري بينها الكروي والبيضاوي والذي على هيئة الاشرطة  
المنوسطها اما أن يكون أملس أو عليه تولدات مخصوصة ذات أشكال غاية  
في الجمال وكل حبة من حبوب الطلع حتي التي لا تري الا بالميكروسكوب مكونة  
من ظرف ومظروف فالظرف عبارة عن طبقتين\* أولهما ملساء اذا كان النبات  
فوق سطح الارض ومزركشة بزيادات ظريفة اذا كان مائيا واذا دقق النظر  
على سطح حبة الطلع يري على سطحها بعض نقط رقيقة جدا ورقتها لحكمة  
بالغة ستري الآن وهذه الطبقة غير مرنة أي غير قابلة للتمدد والطبقة الداخلة

من حبة الطلع ملساء وقابلة للتمدد وفيها مادة تسمى فوفلازجة ساج فيها كرات صغيرة في حالة تحرك مستمر (تأمل هذه الدقائق!) فلو وضعت حبة الطلع هذه في الرطوبة تشربت مادتها اللازجة الماء فيزداد حجمها وحيث ان غلافها الداخلى فيه مرونة فيتمدد ولما كان الغلاف الخارجى غير مرن فيضغط الاول عليه ولما لم يجد منفذا للخروج يثقب الغلاف الظاهر من النقط الرقيقة الموجودة فيه فتخرج المادة اللازجة على هيئة خيوط \* وأما عضو التأنيث فشكاه كشكل عضو الذكر انما له فوهة علوية معدة لاستقبال الطلع من عضو الذكر وهي تفرز على الدوام مادة لزجة ومحمولة على خيط يمر منه الوعاء التناسلى وبلى هذا الخيط شيء يقال له المبيض وهو جزء موضوع في مركز الزهرة ومكون من أوراق ذات أشكال وهذا يكون منقسما من الداخل الى مسكن واحد أو جملة مساكن على حسب عدد الاوراق المكونة له ويوجد داخل هذه المساكن جراثيم صغيرة لما تتلاقى مع الطلع يتكون عنهما بزر الثمر أما المبيض فانه ينمو حتى يكون ثمر او لاجل حصول الاخصاب يلزم بحسب المادة تلاقى حبوب الطلع التي في عضو الذكر مع المادة اللازجة التي في عضو التأنيث \* وكيف ذلك وهذان العضوان منفصلان عن بعضهما بل تارة يكون أحدهما في زهرة والثاني في زهرة أخرى بل قد يكون أحدهما في شجرة والثاني في شجرة أخرى فلو فرضنا أن الزهرة الواحدة حاوية لسكلا هذين العضوين فالمادة أن عضو الذكر يكون أطول من عضو التأنيث وموضوع بطريقة بها يتم التلقيح فلما يأتي الوقت المناسب لذلك يفتح السكيس الحاوى للطلع فينزل الى عضو التأنيث وبامتصاصه للرطوبة الموجودة في هذا العضو ينتفخ فيتمدد كما قلنا غلافه الداخلى ويخرج من الغلاف الخارجى على هيئة أصابع وهذا الذى يسمى بالمعنى التناسلى فيمر من وسط خيط عضو التأنيث فينتهي الى المبيض ويلامس جراثيمها وبسبب ذلك يحصل الخصب

هذا في أبسط الاحوال ولكن ليست هذه كل الحالات الاخصائية فقد تكون عوائق لذلك موجودة وفي وقتها يظهر في الزهرة عمل يقضى بالمعجب العجيب لان بعض النباتات تكون أعضائها التذكير فيها في بعض الاحوال بعيدة عن عضو التأنث ولو سقط طلعه يسقط على غير هذا الاخير فيضيع سدى ولكن في هذه الحالة ترى عضو التذكير يقرب من عضو التأنث بطريقة هندسية بحيث اذا سقط طلعه لا يقع الا على عضو التأنث وبعض النباتات تكون أعضائها تذكيرها مثنية فعند حلول وقت الاخصاب ترى أنها انفردت فجأة لأنها ان بقيت على حالتها يذهب طلعه سدى وقد شاهد علماء الفلاسفة أن عضو التذكير يظل يبحث عن عضو التأنث زمانا حتى يضع نفسه موضعا به يتم الاخصاب فاذا يقول المتدبر الذي يقدر الاشياء قدرها في هذه الاعمال المدهشة فهل يحرى وراء الاوهام الباطلة ويحكم على ذلك العضو الجماد بانه عاقل زكى مع أن الحس والمشاهدة يكذبان ذلك أو يحكم بأن ذلك تقدير العزيز العليم الذي خلق فسوي والذي قدر فهدى والذي أخرج المرعي فجعله غشاء أحوى وأغرب مما ذكر أن في أوربا نباتات تنبت في قاع البرك وشأنها أن تكون أعضائها تذكيرها في زهرة وأعضائها تأنثها في زهرة أخرى ومن المعلوم أن التلقيح لو حصل داخل الماء لا يتم فلذلك يشاهد أن أعضائها التأنث تنتهي بحلزون طويل ملتف على نفسه فلما يحىء وقت الاخصاب ينفرد هذا الحلزون ويرفع الزهرة التي فيها عضو التأنث الى سطح الماء وفي الوقت عينه تقطع الزهرة التي فيها عضو التذكير من الشجرة وتصعد بقوة مخصوصة الى سطح الماء بجانب زهرة عضو التأنث فتنتفح الاجربة التي فيها الطلع فتأتي تيارات هوائية وتحمل الطلع الى أعضائها التأنث ولما يتم اخصابها بهذه الكيفية يلتف الحلزون كما كان وينزل بالزهرة الى مكانها وهكذا يحصل

في سائر زهور ذلك النوع ويوجد نوع أغرب من هذا وهو أنه يوجد نبات  
 في قاع المياه له أجربة تشبه القرب فمتى جاء وقت الاخصاب تنقلب هذه  
 الاجربة الي عوامات تملو على سطح الماء ولكنها لاتملو بمفردها بل تحمل  
 الزهرة على عاتقها الى سطح الماء فيتم الاخصاب ثم تستحيل العوامات الى  
 قرب فتميل للنزول الى قاع الماء فتحمل معها الزهرة التي تلقحت \* من  
 ينظر لهذه العجائب يتعجب جدا ولكن من ينظر اليها بعين البصيرة يضطر الى  
 الاعتراف بالصانع المختار الحكيم لان استحالة القربة الى عوامة ليست بحسب  
 العادة من الهنات الهيئات بل تستلزم تلك الاستحالة جملة نظريات طبيعية  
 وبالتالي تحتاج الي جملة طرق صناعية وزيادة عن كل ذلك تستوجب قريحة  
 وروية \* وقال تعالي في سورة الرعد أيضا ( وفي الارض قطع ) أي بقاع  
 كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى  
 رخوة الى غير ذلك ( متجاورات ) أي متلاصقات ( وجنات من أعناب ) أي  
 بساتين كثيرة منها ( وزرع ) من كل نوع من أنواع الجيوب ( ونخيل صنوان  
 وغير صنوان ) الصنوان جمع صنو مثل قنوان وقتو والصنوان يكون الأصل  
 واحدا وتنت فيه النخلتان والثلاثة فأكثر فكل واحدة صنو ( سقي ) أي ما ذكر  
 من القطع والجنات والزرع والنخيل ( بماء واحد ) لا اختلاف في طبعه سواء  
 كان السقي بماء الامطار أو بماء الانهار ( وفضل ) بمحض قدرتنا واخيارنا  
 ( بعضها على بعض ) آخر منها ( في الأكل ) فيما يحصل منها من الثمر الذي  
 يؤكل أو المهيأ للاكل فثري الثمر متغايرا في الاشكال والطعوم والروائح متفاضلا  
 فيها وقد يكون من أصل واحد وذلك يدل دلالة قاطعة على الصانع الحكيم  
 فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار قال  
 الامام نضر الدين ان القطعة الواحدة من الارض تسقي بماء واحد فيكون تأثير

الشمس فيها متساويًا ثم ان تلك الثمار تجيء مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصية حتى أنك قد تأخذ عنقودا من العنب فيكون جميع حباته حلوة نسيجة الاحبة واحدة فانها بقيت حامضة يابسة ونحن نعلم بالضرورة أن نسبة الطباع والافلاك لكل على السوية بل نقول ههنا ما هو أعجب منه وهو أنه يوجد في بعض انواع الورد ما يكون احد وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثانى في غاية السواد مع ان ذلك الورد يكون في غاية الرقة والنعومة فيستحيل أن يقال وصل تأثير الشمس الى احد طرفيه دون الثانى وهذا يدل دلالة قطعية على أن الكل بتدبير الفاعل المختار لا بسبب الاتصالات الفلكية وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ( ان فى ذلك ) الذى فصل من احوال القطع والجنات ( آيات ) كثيرة عظيمة ظاهرة ( لقوم يعقلون ) يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعم فى الجزم بأن القادر المختار الحكيم سبحانه وتعالى هو الذى أبدع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة فى الاشكال والالوان والطعوم والروائح فى تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حداثق ذات بهجة \* وقال تعالى فى سورة ابراهيم ( الله الذى خلق السموات ) وما فيها من الاجرام العلوية ( والارض ) وما فيها من انواع المخلوقات ( وأنزل من السماء ماء فاخرج به ) أى بسبب ذلك الماء ( من الثمرات ) الفاتئة للحصر ( رزقا لكم ) تعيشون به وهو بمعنى الرزوق شامل للمطعموم والملبوس وخروج الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها المتخلفة على المواد الممتزجة من الماء والتراب مع توسط الاسباب وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما أبدع نفوس الاسباب والمواد كذلك لكن له تعالى فى انشائها مدرجا

من طور الى طور من بدائع حكم باهرة يجدد فيها لاولى الابصار عبرا  
وسكونا الى عظيم قدرته ما ليس في ابداعها دفعة \* وقال تعالى في سورة  
النحل ( هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ) اي ما تشربونه  
( ومنه شجر ) من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به  
ما ينبت من الارض سواء كان له ساق اولا أو تبعية مجازا لانه لما كان سقيه  
من الماء جعل كأنه منه ( فيه تسيمون ) ترعون مواشيكم ( ينبت ) اي الله  
عز وجل ( لكم به ) أي بذلك الماء ( الزرع والزيتون والنخيل والاعناب  
ومن كل الثمرات ) اعلم ان الغذاء النباتي قسمان حبوب وفواكه أما الحبوب  
فاليها الاشارة بلفظ لزرع وأما الفواكه فاشرفها الزيتون والنخيل والاعناب  
أما الزيتون فلانه فاكهة من وجه وادام من وجه آخر لكثرة ما فيه من  
الدهن ومنافع الادمان كثيرة في الاكل والطبي واشتعال السرج وأما امتياز  
النخيل والاعناب من سائر الفواكه فظاهر معلوم ولما ذكر الانواع المتفع بها  
من النبات قال في صفة البقية ومن كل الثمرات تنبها على أن تفصيل القول  
في أجناسها وأنواعها وصف فماتها ومنافعها لا يمكن ذكره في مجلدات فالاولي  
الاقتصار فيه على الكلام المجمل ( ان في ذلك ) أي في انزال الماء وانبات  
ما فصل ( الآية ) عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم  
والقدرة والحكمة ( لقوم يتفكرون ) فان من تفكر في أن الحبة أو النواة تقع  
في الارض وتل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق  
تنبسط في أعماق الأرض وينشق أعلاها وان كانت متكسفة في الوقوع  
ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار  
المشتدة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة  
قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لالاى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة

الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة الي الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال \* وقال تعالى في سورة النحل أيضاً ( ومن ثمرات النخيل والاعناب ) ثمر ( تتخذون منه سكراً ) خمراً يسكر سميت بالمصدر ( ورزقا حسناً ) كالتمر والزبيب والحل والدبس ( واعلم ) أن المقصود من الآية الاستدلال على قدرته تعالى وحكمته حيث انه يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب ما يستحيل بالتغير الى شيء أعجبت به النفوس واستحسنته لما فيه من الطرب وأبانت الشعراء بالتفنن في أوصافه عن آيات الابداع واذا تغير مرة أخرى استحال الى شيء يمد من الرزق الحسن وغيره من الثمرات اذا عصرو وترك استحال بالتغير الى شيء تشبه ثمرته النفوس وتنفر منه ويجوز أن يكون ذكر الخمر هنا في معرض الانذار فان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الحمرة فيه غير محرمة بل انه لا حاجة الى التزام هذا النسخ وذلك لانه تعالى ذكر ما في هذه الاشياء من المنافع وخاطب المشركين بها والخمر من أشربتهم فهي منفعة في حقهم ثم انه تعالى نبه في هذه الآية أيضاً على تحريمها وذلك لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب أن لا يكون السكر رزقا حسنا ولا شك أنه حسن بحسب الشهوة فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا بحسب الشريعة وهذا انما يكون كذلك اذا كانت محرمة وفيل ان السكر هو النبيذ وقيل هو الطعام ( واعلم ) انه تعالى لما ذكر هذه الوجوه التي هي دلائل من وجهه وتعيد للنعم العظيمة من وجه آخر قال ( ان في ذلك لآية ) باهرة ( لقوم يعقلون ) يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والأمل فان من كان عافلا علم بالضرورة أن هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله سبحانه وتعالى فيحتج بحصولها علي وجود الاله



القادر الحكيم \* وقال تعالى في سورة المؤمنون ( وأنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون فأنشأنا لكم به ) أي بسبب ذلك الماء ( جنات من نخيل وأعناب ) صرح بهذين الصنفين لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام ومقام الادم ومقام الفواكه وطباً ويايساً ( لكم فيها ) أي في الجنات ( فواكه كثيرة ) تتفكهون بها ( ومنها ) أي من الجنات ( تأكلون ) تغذوا أو ترزفون وتحصلون معاشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يعود الضميران للنخيل والاعناب أي لكم في ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه ( وشجرة ) عطف على جنات أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون وتخصيصها بالذكر من بين سائر الأشجار لاستقلالها بمنافع معروفة ( تخرج من طور سيناء ) وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضاً لتعظيمها ولأن معظمها هناك لانه المنشأ الاصل لها ومنه تشعبت في البلاد وانتشرت ( تنبت بالدهن ) أي تنبت ملتبسة به والدهن عصارة كل شيء ذي دسم وهو في الاصل مائع لزج خفيف يتقطع ولا يخلط بالماء الذي هو أصله ( وصبغ للآكلين ) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهناً يدهن به ويسرج منه وكونه اداًما يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للأتدام وجملة القول انه سبحانه وتعالى نبه على احسانه بهذه الشجرة لانها تخرج هذه الثمرة التي يكثر بها الانتفاع وهي طرية ومدخرة وبأن تعصر فيظهر الزيت منها وبمظم وجوه الانتفاع به مع أن تولدها في الجبال التي لا يوجد فيها شيء من الدهنية البتة \* وقال تعالى في سورة الشعراء ( أولم يروا الى الأرض ) أي الى عجائبها الدالة على قدرته تعالى

وحكمته ( كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ) استثناف مبين لما في الارض  
 من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان والكريم من كل شيء  
 مرضيه ومحموده أي كثيراً من كل صنف مرضي كثير المنافع أنبتنا فيها  
 وتخصيص انباته بالذكر دون ماعداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على  
 القدرة والنعمة مماً ويحتمل أن يراد به جميع أصناف النبات نافعا وضارها  
 ويكون وصف الكل بالكرم للتنبية على أنه تعالى ما أنبت شيئاً الا وفيه فائدة  
 كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً فان الحكيم  
 لا يكاد يفعل فعلاً الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل  
 الى معرفة كتبها الماقلون ( ان في ذلك ) أي في الانبات المذكور أو في كل  
 واحد من تلك الأزواج ( لآية ) عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها  
 وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن  
 الكفر لمن يتفكر ويتدبر ( وما كان أكثرهم مؤمنين ) أي مع كل ذلك  
 يستمر أكثرهم على كفرهم ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام ( وان ربك  
 لهو العزيز ) الغالب على كل ما يريد من الامور التي من جملتها الانتقام من  
 هؤلاء ( الرحيم ) المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلم ولا يؤاخذهم بنقطة بما اجترأوا  
 عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات \* وقال تعالى في سورة النمل  
 ( أم من خلق السموات والارض ) التي هي أصول الكائنات ومبادئ المنافع  
 ( وأنزل لكم ) أي لاجلكم ومنفتكم ( من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ) أي  
 بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ( ذات بهجة ) أي ذات حسن ورونق يتبرج  
 به النظار ( ما كان لكم ) أي ماصح وما أمكن لكم ( أن تنبتوا شجرها )  
 فضلاً عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة والالتفات الى التكلم في قوله تعالى  
 فأنبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايدان بأن انبات تلك الحدائق

المختلفة الاصناف والاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع  
مالها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماه واحدمما لا يقدر عليه الا هو وحده  
حسبا ينبيء عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم أن تذبوا شجرها (إله  
مع الله) أي إله آخر كائن مع الله الذي ذكر بعض أفعاله التي لا يقدر عليها  
غيره حتى يتوهم جملة شريكاً له تعالى في العبادة وهذا تكبير لم ينق اللوهية  
عما يشركون به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية فان أحداً  
ممن له تمييز في الجملة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء اللوهية عن غيره تعالى  
رأساً لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى (بل هم قوم يعدلون)  
اضراب وانتقال من تكبيرهم بطريق الخطاب الي بيان سوء حالهم وحكايتهم  
لغيرهم أي بل هم قوم عادتهم المدول عن طريق الحق بالكيفية والانحراف  
عن الاستقامة في كل أمر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من المدول  
عن الحق الواضح الذي هو التصديق بوجود الله تعالى وتوحيده والكوف  
على الباطل البين الذي هو الاشرار \* وقال تعالى في سورة السجدة (أولم  
يروا أنا نسوق الماء الي الارض الجرذ) اليابسة التي قطع عنها الماء والنبات  
(فنخرج به) من تلك الارض (زرعاً تأكل منه) أي من ذلك الزرع  
(أنعامهم) كالتبن والقصل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها (وأنفسهم)  
كالحبوب التي يقتات بها الانسان والثمار (أفلا يبصرون) أي ألا ينظرون  
فلا يبصرون ذلك ليستدوا به على كمال قدرته تعالى وفضله \* وقال تعالى في  
سورة فاطر (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخر جنابه) أي بذلك الماء  
والالنتفات من الغيبة الي التكلم لاطهار كمال الاعتناء بفعل الاخراج لما فيه  
من الصنع البديع المنبيء عن كمال القدرة والحكمة (ثمرات مختلفاً ألوانها)  
أي اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها أو اصنافها على ان

كلا منها ذو أصناف مختلفة كالعنب فان أصنافه تزيد على خمسين وكالتمر فان  
 أصنافه تزيد على مائة أو هيئاتها وأشكالها أو الوانها من الصفرة والحمرة والخضرة  
 وغيرها قال الامام نجر الدين وهذا يدل على انه لا يجوز ان يكون حدوث  
 النبات لاجل تأثير الطبائع والافلاك والانجم وذلك لان تأثير الطبائع  
 والافلاك والانجم والشمس والقمر بالنسبة الي الكل واحد ثم انا نري انه اذا  
 تولد العنب كان قشره على طبع وعجمه على طبع ولحمه على طبع ثالث وماؤه  
 على طبع رابع بل نقول انا نري في الورد ما يكون أحد وجهي الورقة الواحدة  
 منه في غاية الصفرة والوجه الثاني من تلك الورقة في غاية الحمرة وتلك  
 الورقة تكون في غاية الرقة واللطافة ونعلم بالضرورة ان نسبة الانجم والافلاك  
 الى وجهي تلك الورقة نسبة واحدة والطبيعة الواحدة في المادة الواحدة  
 لا تفعل الا فعلا واحدا الا تري انهم قالوا شكل البسيط هو الكرة لان  
 تأثير الطبيعة الواحدة في المادة الواحدة يجب ان يكون متشابهها والشكل  
 الذي يتشابه جميع جوانبه هو الكرة وأيضا اذا وضعنا الشمع فاذا استضاء  
 خمسة أذرع من ذلك الشمع من أحد الجوانب وجب أن يحصل مثل هذا الاثر  
 في جميع الجوانب لان الطبيعة المؤثرة يجب أن تتشابه نسبتها الي كل الجوانب  
 اذا ثبت هذا فنقول ظهر ان نسبة الشمس والقمر والانجم والافلاك والطبائع  
 الي وجهي تلك الورقة اللطيفة الرقيقة نسبة واحدة وثبت ان الطبيعة المؤثرة  
 متي كانت نسبتها واحدة كان الاثر متشابهها وثبت ان الاثر غير متشابه لان  
 أحد جانبي تلك الورقة في غاية الصفرة والجانب الثاني في غاية الحمرة فهذا  
 يفيد القطع بان المؤثر في حصول هذه الصفات والالوان والاحوال ليس هو  
 الطبيعة بل المؤثر فيها هو الفاعل المختار الحكيم وهو الله سبحانه وتعالى وهذا  
 هو المراد من قوله تعالى فاخر جنابه ثمرات مختلفا الوانها واعلم ان مدار هذه

الحجة على ان المؤثر الموجب بالذات وبالطبيعة يجب ان يكون نسبه الي الكل  
 نسبة واحدة فلما دل الحس في هذه الاجسام النباتية على اختلاف صفاتها  
 وتنافر أحوالها ظهر ان المؤثر فيها ليس موجبا بالذات بل فاعلا مختارا \* وقال  
 تعالي في سورة يس ( وآية لهم الارض الميتة ) اليابسة الجامدة ( أحييناها )  
 استئناف مبين لكيفية كون الارض الميتة آية كأن قائلها قال كيف تكون  
 آية فقال أحييناها أي باختراع النبات فيها أو باعادته بسبب المطر كما كان بعد  
 اضمحلاله ( وأخرجنا منها حبا ) أي جنس الحب كالحنطة والشعير والارز  
 ( فنه يأكلون ) تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويماش  
 به ( وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ) ذكر هذين النوعين لكثرة نفعهما  
 وقدم النخيل لانه نفع كله خشبه وسعفه وليفه وخوصه وعراجينه وثمره طلعا  
 وبسرا ورطبا وثمرا وفيه زينة دائما لكونه لا يسقط ورقه والنخلة تشبه  
 الانسان من حيث استقامة قدها وطولها ورائحة طلوعها كرائحة المني ولطلعها  
 غلاف كالمشيمة التي يكون الولد فيها ولو قطع رأسها ماتت كما قالوا أقرب  
 الجماد الى النبات المرجان وأقرب النبات الى الحيوان النخل وأقرب الحيوان  
 الى الانسان الفرس ولو أصاب جمار النخلة آفة هلكت والجمار من النخلة كالمنخ  
 من الانسان واذا تقارب ذكورها واناثها حملت حملا كثيرا وربما قطع الصبا  
 من الذكور فلا تحمل لفراقه ويعرض لها العشق وهو ان تميل الى نخلة أخرى  
 ويخف حملها وتزل وتلاجه ان يشد بينها وبين معشوقها الذي مالت اليه  
 بحبل أو يعلق عليها سعفة منه أو يجعل فيها من طلعه ( وفجرنا فيها ) الفجر  
 والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى ( من العيون ) أي بعضها من العيون  
 فخذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأي  
 الاخفش واعلم ان اختصاص بعض الجبال بالعيون دليل ظاهر على الاختيار

فإنه تعالى جعل الماء في المواضع المرتفعة وساقها في الانهار والمجاري أو صعد  
الماء من المواضع المنخفضة الى الاماكن المرتفعة باصر الله وجري في الاودية  
الى البقاع التي أنعم الله على أهلها (ليأكلوا من ثمره) متعلق بجعلنا وتأخير  
عن تفجير العيون لانه من مبادئ الاثمار أى وجعلنا فيها جنات من نخيل  
وربتنا مبادئ أثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء  
الضمير مجرى اسم الاشارة والمشهور ان الضمير عائد الى الله أي ليأكلوا  
من ثمر الله . وفيه لطيفة وهي ان الثمار بعد وجود الاشجار وجريان الانهار  
لم توجد الا بالله تعالى ولولا خلق الله ذلك لم توجد فالثمر بعد جميع ما يظن  
الظان انه سبب وجوده ليس الا بالله تعالى وارادته فهي ثمره (وما عملته  
أيديهم) مانافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب  
على الحالية أو عطف على ثمره ويكون المراد بما عملته أيديهم ما يتخذ منه من العصير  
والدبس ونحوهما (أفلا يشكرون) انكار واستقباح لعدم شكرهم لانعم المعدودة  
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيرون هذه النعم أو أيتنعمون بها  
فلا يشكرونها واعلم ان نفس الارض وان كان دايلا ظاهرا وبرهانا باهرا  
على وجود الاله ووحدته الا ان الفائدة في قوله الارض الميتة أحييناها وقوله  
وأخرجنا منها حبا الخ ان فيه تمديد النعم كانه يقول آية لهم الارض فانها  
مكانهم ومهدم الذي فيه تحريكهم واسكانهم والامر الضروري الذي عنده  
وجودهم وامكانهم وسواء كانت ميتة أو لم تكن فهي مكان لهم لا بدلهم منها  
فهي نعمة ثم احيائها بحيث تنضج نعمة ثانية فانها تصير أحسن وأنزه ثم  
اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم يصير في مكانهم وكان يمكن ان يجعل  
الله رزقهم في السماء أو في الهواء فلا يحصل لهم الوثوق ثم جعل الجنات فيها  
نعمة رابعة لان الارض تنبت الحب في كل سنة وأما الاشجار بحيث تؤخذ

منها الثمار فتكون بعد الحب وجوداً ثم فخرنا فيها العيون ليحصل لهم الاعتماد  
 بالحصول ولو كان ماؤها من السماء لحصل ولكن لم يعلم انها أين تفرس وأين  
 يقع المطر وينزل القطر \* وقال تعالى في سورة يس أيضاً (الذي جعل لكم)  
 أي خلق لاجلكم ومنفعتكم (من الشجر الأخضر) كالمرخ والعفار (ناراً)  
 فاذا أنتم منه توقدن) فان الرجل يقطع من المرخ والعفار المذكورين عصيتين  
 مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على  
 العفار وهو أنثى فتندح النار باذن الله تعالى وهذه عيدان الكبريت المستعملة  
 الآن فان مادتها من بعض النباتات السريعة الالتهاب ويضاف اليها بعض  
 المواد الكيماوية قال صاحب كشف الاسرار النورانية القرآنية ان في الآية  
 اشارة الى تكون الاحجار الفحمية ذات النار الشديدة التي تستعمل الآن في  
 المطابخ والنانير والآلات البخارية ونحو ذلك ويستحضر منها غاز الاستصباح  
 حيث ان تلك الاحجار ليست الا مادة النباتات التي تتكون منها الغابات وكانت  
 تنبت في المستنقعات في قديم الزمان ثم قال لا شك ان الرسوبات الفحمية التي  
 توجد في باطن الارض تكونت من نباتات تراكت على بعضها ودليل ذلك  
 البقايا التي تكشف فيها بالمنظار المعظم وكذا السوق والاوراق العديدة التي  
 توجد في المواد الطينية التي تصاحبه وقد اتفقت آراء الجيولوجيين على هذه المسئلة  
 وأجمعوا على هذا الرأي فكثير اما يشاهد في معادن الفحم الحجري بقايا هذه النباتات  
 التي بجذوعها وأوراقها تتميز الارض الفحمية وقد وجدوا مراراً جذوع اشجار كبيرة  
 في طبقات الفحم الحجري \* وقال تعالى في سورة ق (وأنبثنا فيها) أي الارض  
 (من كل زوج بهيج) حسن في غاية الرونق والاعجاب يتهيج به أي يسر به  
 (تبصرة وذكري) أي تبصيرا وتذكيرا (لكل عبد منيب) أي راجع الى  
 ربه متفكر في بدائع صنائعه (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي كثير المنافع

شروع في بيان كيفية إنبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على أنبتنا وما بينها اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعد (فأنبتنا به) أي بذلك الماء (جنات) كثيرة أي أشجاراً ذوات ثمار (وحب الحصيد) أي حب الزرع الذي شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص إنبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الأشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة القواصل (باسقات) أي طوالا في السماء عجيبه الخلق أو حوامل من أسقت الشاة اذا حملت قال الامام نجر الدين في تفسيره لهذه الآية فأنبتنا به جنات أي أنشأنا جنات يقطع ثمارها وأصولها باقية وحب الحصيد أي زرعاً يحصد كل سنة ويزرع في كل عام أو عامين وقوله تعالى والنخل باسقات اشارة الى المختلط من جنسين لان الجنات تقطف ثمارها وثمر من غير زراعة في كل سنة لكن النخل يؤبر ولولا التأبير لم يثمر فهو جنس مختلط من الزرع والشجر فكانه تعالى خلق ما يقطف كل سنة ويزرع وخلق ما لا يزرع كل سنة ويقطف مع بقاء أصلها وخلق المركب من جنسين في الاثمار لان بعض الثمار فاكهة ولا قوت فيه وأكثر الزرع قوت والتمر فاكهة وقوت وقوله تعالى باسقات يؤ كد كمال القدرة والاختيار وذلك من حيث ان الزرع ان قيل فيه انه يمكن أن يقطف منه ثمرة لضعفه وضعف حجمه فكذلك يحتاج الى اعادته كل سنة والجنات لكبرها وقوتها تبقى وثمر سنة بعد سنة فيقال اليس النخل الباسقات أكبر وأقوي من الكرم الضعيف والنخل محتاجة كل سنة الى عمل عامل والكرم غير محتاج فالله تعالى هو الذي قدر ذلك لذلك لا للكبر والصغر والطول والقصر (لها طلع) أي ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلما قبل أن ينشق ويخرج من أكامه (نضيد) أي منضود



ومتراكب بعضه فوق بعض في أكامه كما في سنبله الزرع وهو عجيب فان الاشجار الطوال أثمارها بارزة متميز بعضها من بعض لكل واحد منها أصل يخرج منه كالجوز واللوز وغيرهما والطلع كالسنبله الواحدة يكون على أصل واحد ( رزقا للعباد ) أى لترزقهم علة لقوله تعالى فأنبتنا وفي تعليقه بذلك بعد تعليل أنبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق ولم يقيد هنا العبادة بالانابة وقيده في قوله تعالى تبصرة وذكري لكل عبد منيب لان التذكرة لا تكون الا للمنيب والرزق يعم كل أحد غير أن المنيب يا كل ذا كرا وشاكر الانعام وغيره يا كل كما تاكل الانعام فلم يخص بقيد \* وقال تعالى في سورة الرحمن ( والارض وضعها للانعام فيها فاكهة ) أي ضروب كثيرة مما يتفكه به ويتلذذ ( والنخل ذات الاكام ) جمع كم بضم الكاف كل ما يكم أى يغطي من ليف وسعف وكفري فانه مما ينتفع به كالمسكوم من ثمرة وجارده وجدوعه أو جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الطلع فانه يكون أولا في وعاء فينشق ويخرج منه الطلع وعلى الوجه الاول فذات الاكام في ذكرها فائدة لانها اشارة الى أنواع النعم والفائدة في ذكرها على الوجه الثاني الاشارة الى سهولة جمعها والانتفاع بها فان النخلة شجرة عظيمة لا يمكن هزها لتسقط منها الثمرة فلا بد من قطف الشجرة فلو كان مثل الجميز الذي يخرج من الشجرة منفردا لصعب قطفها فقال ذات الاكام أي يكون في كم شيء كثير اذا أخذ عنقود واحد منه كفي رجلا واثنين كعناقيد العنب فانظر اليها فلو كان العنب حباتها في الاشجار متفرقة كالجميز والزعزور لم يمكن جمعه بالهزم متى أريد جمعه نخلقه الله تعالى عناقيد مجتمعة كذلك الرطب فكونها ذات الاكام من جملة اتمام الانعام ( والحب ) هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ( ذو العصف ) هو أوراق

النبات الذي له ساق الخارجة من جوانب الساق كاوراق السنبلية من أعلاها الى أسفلها وقيل هو الثبن الذي ينتفع به دوابنا التي خلقت لنا (والريحان) قيل ما يشم وقيل هو الرزق أريد به اللب أي فيها ما يئلذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وتقديم الفاكهة على القوت من باب الابتداء بالادني والارتقاء الى الاعلى والفاكهة في النفع دون النخل الذي منه القوت والتفكه وهو دون الحب الذي عليه المدار في سائر المواضع وبه يتغذى الانام في جميع البلاد فبدأ بالفاكهة ثم ذكر النخل ثم ذكر الحب الذي هو أتم نعمة لموافقته مزاج الانسان ولهذا خلقه الله في سائر البلاد وخصص النخل بالبلاد الحارة ونكر الفاكهة لانها على ما بينا ما يتفكه به وتطيب به النفس وذلك عند كل أحد بحسب كل وقت شيء منه فمن غلب عليه حرارة وعطش يريد التفكه بالخامض وأمثاله ومن الناس من يريد التفكه بالحلو وأمثاله فالفاكهة غير متعينة فنكرها والنخل والحب معتادان معلومان فعرفهما (قبأى آلاء) أي نعم (ربكما) أيها الانس والجن والذكر والانثى (نكديان) ابتلك النعم أم بغيرها \* وقال تعالى في سورة الواقعة (أفأنتم ماتحرون) أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه (أأنتم تزرعونه) تبتونه وتردونه نباتا يربو وينمو حتى يشتد ويقوم على سوقه فيكون فيد السنبيل والحب (أم نحن الزارعون) أي المبتون لأنتم قال الامام نجر الدين الفرق بين الحرث والزرع هو أن الحرث أوائل الزرع ومقدماته من كراب الارض والقاء البذر وسقي المبدور والزرع هو آخر الحرث من خروج النبات واستغلاظه واستوائه على الساق فقوله أفأنتم ماتحرون أي ما تبتدون منه من الاعمال أنتم تبتنونها المقصود أم الله ولا يشك أحد في أن إيجاد الحب في السنبلية ليس بفعل

التاس وليس بفعلهم ان كان سوى القاء البذر والسقي ( لو نشاء لجعلناه حطاما )  
 أى نباتا يابس لا حب فيه أو هشيا متكسرا متفتتا بمد ما أنبتناه وصار بحيث  
 طمعتم فى حيازة أغلاله وقيل هو جواب لمعاندى يقول نحن نحرثه وهو بنفسه  
 يصير زرا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاندى بقوله لو نشاء  
 لجعلناه حطاما فهل تقدررون أنتم على حفظه أو هو يدفع عن نفسه بنفسه  
 تلك الآفات التى تصيبه ولا يشك أحد فى أن دفع الآفات ليس الا بأذن  
 الله وحفظه ( فظلمت تفكهن ) أى تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه  
 على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما فعلتم فيه من الاجتهاد  
 وأنفقتم عليه أو تندمون على ما أصبتم لاجله من المعاصي فتتحدثون فيه  
 وتقولون ( إنالغرمون ) أى للزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا  
 من الغرام وهو الهلاك ( بل نحن محرومون ) أى ممنوعون رزقنا \* وقال  
 تعالى فى سورة الواقعة أيضا ( أفرايتم النار التى تورون ) أى تقدحونها  
 وتستخرجونها ( أنتم أنشأتم شجرتها ) السريعة الالتهاب كالمرخ والعفارالمار  
 ذكرها وهما شجرتان موجوتان فى أغلب المواضع من بوادي العرب وقيل  
 أراد جميع الشجر التى توقد به النار ( أم نحن المنشؤون ) لها بقدرتنا والتعبير عن  
 خلقها بالانشاء المنبىء عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدة والحكمة لما فيه  
 من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الاشجار كذا قال بعض المفسرين وهو  
 مرجح لان المراد بها شجرة مخصوصة كشجرة المرخ والعفار والنباتات  
 الفصفورية التى يتخذ منها عيدان الكبريت وأشجار الفحم الحجرى قالوا  
 وأغربها المرخ والعفار المذكوران حتى قيل فى كل شجر نار واستمجد المرخ  
 والعفار ( نحن جعلناها تذكرة ) أى جعلناها تذكرة النار جهنم حيث علقنا بها  
 أسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما أوعدوا به من نار جهنم ( ومتاعا ) أى

منفعة ( للمقوين ) للذين ينزلون القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم  
أحوج اليها قال بعضهم المعنى أنه يتنفع بها أهل البوادي والاسفار فان منفعتهم  
بها أكثر من المقيم فانهم يوقدون بها بالليل لتهرب السباع ويهتدى الضال الي  
غير ذلك من المنافع ويتذكر بها ما رآه من جهنم فيستجار بالله تعالى منها وقال ابن  
زيد للجائعين في اصلاح طعامهم وقال قطرب المقوي من الاضداد يقال  
للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقولقوته على ما يريد والمعنى فيها متاعا  
ومنفعة للفقراء والاغنياء لاغنى لأحد عنها وقال المهدوي الآية تصلح للجميع  
لأن النار يحتاج اليها المسافر والمقيم والغنى والفقير ( فسبح باسم ربك العظيم )  
انفاء لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة  
لتسبيحه تعالى اما تزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون  
بنعمته مع عظمتها وكثرتها أو تعجبا من أسرم في غمط تلك النعم الباهرة مع  
جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكرا على تلك النعم السابقة أي فأحدث  
التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكر له والمعظم  
صفة للاسم أو الرب \* وقال تعالى في سورة النبا ( وأنزلنا من المعصرات ) هي  
السحاب اذا أعصرت أي حان لها أن تعصرها الرياح فتمطر ( ماء ثجاجا )  
أي منصبا بكثرة ( لنخرج به حبا ) يقات كالخنطة والشعير ونحوها ( ونباتا )  
يعتلف كالتبن والحشيش ( وجنات ) الجنة في الاصل هي المرة من مصدر  
جنه اذا ستره تطلق على النخيل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه وعلى  
الارض ذات الشجر والاول هو المراد ( ألقافا ) أي ملتفة تداخل بعضها في  
بعض \* وقال تعالى في سورة عبس ( فلينظر الانسان الي طعامه ) الذي هو  
قوام حياته وعليه يدور أمر معاشه أي الى تكونه وكيفية حدوثه والى قدرة  
ربه فيه أي كيف قدره ربه ويسره ودبره له ( أنا صببنا الماء صبا ) بدل اشتمال

من طعامه لان الماء سبب في اخراج الطعام فهو مشتمل عليه والتقدير فلينظر الانسان الى أنا كيف صبينا الخ أي صبيناها صبا عجيبا ( ثم شققنا الارض ) أي بالنبات ( شقا ) بديعا لا تقا بما يشقها من النبات صفرا وكبرا وشكلا وهيئة ولا يزال يتزايد ويتسع الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب ( فأثبتنا فيها حبا ونبيا ) عطف على حبا ( وقضبا ) أي رطبة سميت بمصدر قضبه أي قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع ومن الرطبة البرسيم المعروف ( وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا ) أي عظاما وصف به الحدائق لتكاثرها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب ( وفاكهة وأبا ) أي مرعي من أبه إذا أمه أي قصده لانه يؤم وينتجع أو من أب لكذا إذا تهيأ له لانه متهيء للرعى أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء ( متاعا لكم ولانعامكم ) أي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم \* وقال تعالى في سورة الاعلى ( والذي أخرج المرعي ) أي أنبت العشب وما يرعاه الدواب غضا طريا من بين أخضر وأحمر وأصفر وأبيض وغير ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما المرعي الكلاب الاخضر ( فجعله ) بعد ذلك ( غشاء أحوي ) أي درينا أسود وقيل أحوي حال من المرعي أي أخرجه أحوي من شدة الخضرة والري فجعله غشاء بعد ذلك

المبحث الخامس في النظر في الافلاك

والكواكب وما يتبع ذلك \* وفيه أربعة مطالب

( المطلب الاول في كيفية ترتيب الافلاك )

« والكواكب وصورها وحركاتها »

الفلك الجسم المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة لان أهل اللغة اتفقوا

على أن فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة  
المستديرة التي توضع على رأس العمود لكلا يمزق العمود الخيمة وهي صفحة  
مستديرة وقد ذهب المتقدمون من الفلاسفة الي أن الفلك جسم بسيط  
كروي مشتمل على الوسط متحرك عليه ليس بخفيف ولا ثقيل ولا بارد ولا حار  
ولا رطب ولا يابس ولا قابل للخرق ولا للالتصام فحقيقته مجهولة لا يعلمها الا  
الله وأما امتناع الشق والالتصام فلا دليل لهم عليه فالله تعالي قادر على أن يجعل  
الكواكب بحيث تشق السماء فتجمل دائرة متوهمة كما لو فرضت سمكة  
في الماء على وجهه تنزل من جانب وتصعد الي موضع من الجانب الآخر على  
استدارة وهذا هو المفهوم من قوله تعالي وكل في فلك يسبحون وبه قال  
الاكثرون والافلاك كرات يحيط بعضها ببعض قاوا وأقربها الينا كرة القمر  
وفوقها كرة عطارد ثم كرة الزهرة ثم كرة الشمس ثم كرة المريخ ثم كرة المشترى  
ثم كرة زحل ثم كرة النوابت ثم الفلك الاعظم \* واعلم أن عدد الكواكب  
الثابتة مما يقصر ذهن الانسان عن ضبطه لكن الاولين قد ضبطوا منها اثنا  
واثنين وعشرين كوكبا تنتظم منها ثمانية وأربعون صورة كل صورة منها  
تشتمل على كواكبها وهي الصور التي أثبتها بطليموس في كتاب المجسطي  
بعضها في النصف الشمالي من الكرة وبعضها على منطقة فلك البروج التي هي  
طريقة السيارات وبعضها في النصف الجنوبي فسمي كل صورة باسم الشيء  
المشبه بها فوجد بعضها على صورة الانسان كالجوزاء وبعضها على صورة  
الحيوانات البحرية كالسرطان وبعضها على صورة الحيوانات البرية كالحمل  
وبعضها على صورة الطير كالعقاب وبعضها خارجا عن شبه الحيوانات كالميزان  
والسنبله ووجدوا من هذه الصور ما لم يكن تام الحلقة مثل قطعة الفرس  
ومنها ما بعضه من صورة حيوان وبعضه الآخر من صورة حيوان آخر كالأرأى

ومنها ما لم تتم صورته حتى جعل من صوة أخري ككوكب مشترك منها  
مثل ممسك الاعنة فان صورته لم تتم حتى جعل الكوكب النير الذي على  
طرف القرن الشمالي من الثور مشتركا بينهما فصار على قرن الثور وعلى رجل  
ممسك الاعنة \* وأما الكواكب الأخر وهي مائة وثمانية عشر كوكبا فانها لم  
ينتظم منها شيء من الصور فاضافوا كل ما وجدوه منها قريبا من صورة الي  
تلك الصورة وسموها خارج الصورة مثل النير الذي فوق رأس الحمل الذي  
تسميه العرب الناطح \* وأما عدد الصور ومواقعها من الفلك فهي ثمان وأربعون  
صورة منها في النصف الشمالي من الكرة احدي وعشرون صورة ومنها على  
البروج اثنتا عشرة صورة ومنها في النصف الجنوبي من الكرة خمس عشرة  
صورة فانذ كر الآن كوكبة كل صورة على الانفراد وعدد كواكبها على سبيل  
الاختصار ليتوصل بتلك الصور والاشكال الى الاستدلال على مبدعها  
وصانعها بالقدره والاختيار جل وعلا (أما الصور الشمالية) فهي احدي  
وعشرون صورة كما ذكرنا \* احداها كوكبة الدب الاصغر وهي أقرب كوكبة  
الي القطب الشمالي وكواكبها من نفس الصورة سبعة والخارج عن الصورة  
خمسه وجميع الكواكب الداخلة في الصورة والخارجة عنها تشبه بحلقة سمكة  
وتسمى اذآن اشبهها بنأس الرحا الذي يكون القطب في وسطه وذكر  
بعضهم أن اة اب الشمال ظالم حوله بنات نعش الصغري وهي الكواكب  
السبية المذكورة وكواكب خنية اذ جمعتها صارت في صورة سمكة والقطب  
في وسط هذه السمكة والسمكة تدور حول القطب \* وثانيها كوكبة  
الدب الاكبر وكواكبها تسعة وعشرون كوكبا من الصورة وثمانية حوالى  
الصورة \* وثالثها كوكبة النين وهو الحية العظيمة وكواكبها أحد وثلاثون  
كوكبا في الصورة وليس حوالىها شيء من الكواكب المرصودة \* ورابعها

كوكبة فيقاوس وكواكبه احد عشر كوكبا في الصورة وعشرة خارجها وهي من كوكبة ذات الكرسي \* وخامستها كوكبة العواء وكواكبها اثنان وعشرون كوكبا في الصورة وواحد خارجها وهي صورة رجل بيده اليمنى عصا وسادستها كوكبة الفكّة وكواكبها ثمانية وهي على استدارة وفي استدارتها ثلثة \* وسابقتها كوكبة الجاثي وهي صورة رجل قد مديده وجثا على ركبتيه وكواكبه ثمانية وعشرون كوكبا في الصورة وواحد خارج الصورة \* ونامتها كوكبة السلياق وكواكبه عشرة \* وتاسعتها كوكبة الدجاجة وكواكبها سبعة عشر كوكبا في الصورة واثنان خارجها \* وعاشرتها ذات الكرسي وهي صورة امرأة قاعدة على كرسي له قائمتان كقائمة المنبر وعليه مسند وقد أدلت رجلها \* الحادية عشرة كوكبة سياوس وهو صورة رجل قائم على رجله اليسري وقد رفع رجله اليمنى ويده اليمنى فوق رأسه ويده اليسري رأس غول وكواكبها ستة وعشرون كوكبا في الصورة وثلاثة خارجها \* الثانية عشرة كوكبة تمسك الأعنة وهي صورة رجل قائم خلف رأس الغول بين كوكبة الثور وبين كوكبة اللب الا كبر وكواكبه اربعة عشر كوكبا \* الثالثة عشرة كوكبة الحور والحية أما الحور فصورة رجل قائم قد قبض بيديه على حية وكواكبه اربعة وعشرون في الصورة وخمسة خارجها وأما الحية فكواكبها ثمانية عشر \* الرابعة عشرة كوكبة السهم وهو خمسة كواكب ونصله الي ناحية المشرق والفوق الي ناحية المغرب وطوله في رأي العين اذا كان في كبد السماء نحو ذراعين \* الخامسة عشرة كوكبة العقاب وكواكبه تسعة في الصورة وستة خارجها \* السادسة عشرة كوكبة الدلفين وكواكبه عشرة مجتمعة \* السابعة عشرة كوكبة قطعة الفرس وكواكبها اربعة \* الثامنة عشرة كوكبة الفرس الاعظم وكواكبه عشرون وهي على صورة فرس له رأس ويدان وبدن الي آخر الظهر وليس له كفل ولا رجلان



\* التاسعة عشرة كوكبة المرأة المسلسلة وكواكبها ثلاثة وعشرون من الصورة  
وسميت المسلسلة لامتداد احدى يديها وهي اليمنى نحو الشمال والاخرى نحو  
الجنوب ولا اجتماع الكواكب بين رجليها شبهوها بمن سلسل \* العشرون كوكبة  
الفرس التام وهو واحد وثلاثون كوكبا وهو فرس احسن شهبها بالفرس من الاول  
وبعض الفرس الاول داخل فيه \* الحادية والعشرون كوكبة المثلث وكواكبها اربعة  
وهو على شكل مثلث فيه طول أحد كواكبها على رأس المثلث وثلاثة على قاعدتها  
(وأما صور البروج الاثني عشر) فاحداها كوكبة صورة الحمل وكواكبها ثلاثة  
عشر في الصورة وخمسة خارجها مقدمه الي جهة المغرب ومؤخره الي المشرق  
ووجهه على ظهره \* وثانيها كوكبة الثور صورة ثور مؤخره الي المغرب ومقدمه  
الي المشرق وليس له كفل ولا رجلان تلتفت رأسه الي جنبه وقرناه الي  
ناحية المشرق وكواكبها اثنان وثلاثون والخارج عن الصورة احد عشر كوكبا  
\* وثالثها كوكبة التوأمن وهي الجوزاء وكواكبها ثمانية عشر في الصورة وسبعة  
خارجها وهي صورة انسانين رأسهما في الشمال والشرق وأرجلها الي الجنوب  
والمغرب وقد اختلطت كواكب أحدهما بكواكب الآخر \* ورابعها كوكبة  
السرطان وكواكبها تسعة من الصورة وأربعة خارجها \* وخامسها كوكبة  
الاسد وكواكبها سبعة وعشرون في الصورة وثمانية خارجها \* وسادسها  
كوكبة العذراء وهي ستة وعشرون في الصورة وستة خارجها ومن كواكبها  
السنبله \* وسابعها كوكبة الميزان ثمانية كواكب في الصورة بين كوكبة العذراء  
وكوكبة العقرب وتسعة خارجها \* وثمانيتها كوكبة العقرب أحد وعشرون كوكبا  
من الصورة وثلاثة خارجها \* وتاسعها كوكبة الرامي وهو القوس أحد  
وثلاثون كوكبا في الصورة وليس حواليه شيء من الكواكب المرصودة  
\* وعاشرتها كوكبة الجدي وكواكبها ثمانية وعشرون كوكبا في الصورة

وليس حوالى الصورة شيء من الكواكب المرصودة \* الحادية عشرة  
كوكبة ساكب الماء وهو الدلو كواكبه اثنان وأربعون كوكبا فى الصورة وثلاثة  
خارجها \* الثانية عشرة كوكبة السمكة وهى الحوت وكواكبها أربعة وثلاثون  
فى الصورة وأربعة خارجها وهى سمكتان أحدهما السمكة المتقدمة وهى التى  
على ظهر القوس الأعظم فى الجنوب والآخرى على جنوب كوكبة المرأة المسلسلة  
وبينهما خيط من كواكب يصل بينهما على تريح ( وأ الصور الجنوبية )  
وهى الكواكب التى فى النصف البنى من الكرة : فإدنا كوكبة قيطس  
وهى صورة حيران بحرى مقامه فى ناحية المشرق على جنوب كوكبة الحمل  
ومؤخره فى ناحية المغرب خلف الثلاثة الخارجة عن صورة ساكب الماء وكواكبه  
اثنان وعشرون \* وثانيها كوكبة إبار وكواكبه ثمانية وثلاثون كوكبا فى الصورة  
وهى صورة رجل قائم فى ناحية الجنوب لى طريقة الشمس بيده عصا وعلى  
وسطه سيف \* وثالثها كوكبة النهر وكواكبه أربعة وثلاثون فى الصورة وليس  
حواليه شيء من الكواكب المرصودة وبيت ساء من عند النير الذى على قدم  
الجوزاء فيمر فى المغرب على تريح الى قرب الأربعة التى على صدر قيطس ثم يمر  
فى الجنوب على ثلاثة كواكب ثم ينطف الى المشرق فيمر على ثلاثة كواكب  
أيضا ثم ينطف الى الجنوب فيمر على ثلاثة كواكب مجتمعة ثم ينقطع فيمر  
فى الجنوب على كوكبين متقاربين ثم ينطف الى المغرب فيمر على كوكبين  
متقاربين أيضا ثم على ثلاثة كواكب متقاربة ثم ينتهى الى كوكب نير على  
آخر النهر \* ورابعها كوكبة الأرنب وهى اثنا عشر كوكبا فى الصورة وليس  
حواليه شيء من الكواكب المرصودة وهى تحت رجل الجبار ووجهه الى  
المغرب ومؤخره الى المشرق \* وخامستها كوكبة الكلب الأحمر وكواكبه  
ثمانية عشر فى الصورة واحد عشر خارجها وهى صورة كلب خلف كوكبة

الجوزاء ذكر القزويني أن النير الاعظم الذي على موضع الفم المسمى بالشعري  
العبور والشعري اليمانية يقطع السماء عرضاً دون غيره من الكواكب \* وسادستها  
كوكبة الكلب المتقدم وهما كوكبان بين النيرين اللذين على رأس التوأمن  
وبين النير الذي على فم الكلب الاحمر يتأخر عنهما الى المشرق أحدهما أنور  
وتسميه العرب الشعري الشامية . وسابقتها كوكبة السفينة وكواكبها خمسة  
وأربعون كوكبا من الصورة وليس حوالها شيء من الكواكب  
المرصودة \* وثامنتها كوكبة الشجاع كواكبه خمسة وعشرون كوكبا في الصورة  
واثنان خارجا رأسه على زباني الجنوبي من صورة السرطان \* وتاسعها  
كوكبة البلطية وهي سبع كواكب على شكل كوكبة الشجاع \* وعاشرتها كوكبة  
الغراب وهي سبع كواكب خلف البلطية \* الحادية عشرة كوكبة قيطورث وهي  
سبعة وثلاثون كوكبا وصورته صورة حيوان مقدمه مقدم انسان من رأسه الى  
آخر ظهره ومؤخره مؤخر فرس من منشأ ظهره الى ذنبه وجهه الى المشرق  
ومؤخر ذنبه الى المغرب ويده شراخان وقد قبض بيده الاخري على يد  
السبع \* الثانية عشرة كوكبة السبع وهي تسعة عشر كوكبا من الصورة خلف  
كوكبة قيطورث على يده وليس حولها شيء من الكواكب المرصودة  
\* الثالثة عشرة كوكبة الحجر كواكبها سبعة في الصورة \* الرابعة عشرة كوكبة  
الاكامل الجنوبي وهي ثلاثة عشر كوكبا في الصورة قدام الاثنين اللذين على  
عرقوب الراعي ومن العرب من يسمي هذه الكواكب القبة لاستدارتها  
\* الخامسة عشرة كوكبة الحوت الجنوبي وهي أحد عشر كوكبا في الصورة  
رأسه الى المشرق وذنبه الى المغرب \* هذا ما ذكره المتقدمون من الكواكب  
الثابتة والسيارة قال السيد عبد الله الادريسي الملقب بالنديم رحمه الله تعالى وقد  
نقضت الطبقة الاخيرة ( من الفلاسفة ) كل ما أسسته الطبقة الاولى وأثبتت من

السيارة وسيارة السيارة ما لم يكن في حساب المتقدمين فأخترت قواعدهم  
وانهدمت أصول عقائدهم وبقي العلم أخذاً في التقدم والترقي غير واقف عند  
حد فكلما تعددت المراصد وكبرت المعطيات البلورية وتعدد الراصدون  
في أقطار متباينة تقدم الفلك تقدماً عظيماً وظهرت خفايا العالم العلوي بالنظارات  
العظيمة وانكشف للفلكيين من الكواكب وغرائبها ما لو ظهر للمتقدمين  
لبهرهم وزادهم حيرة ولو أنصف المتقدمون والمتأخرون أنفسهم لقطعوا بأن وجود  
هذه الاجرام العظيمة بالدوالم العديدة والاسرار البديعة والافعال الغريبة مع  
اختلاف الاجناس وتنوع الصور والاشكال لا يكون الا أثراً لمؤثر وليس  
المؤثر مجموعها بحد ثبوت احتياجها الى بعضها ولا جواهرها الفردة فان كل  
جوهر محتاج لمخصص يخصصه مع احتياجه الى المكان والزمان وجواهر  
المكان كذلك محتاجة الى مبدع مخصص وليس ذلك الا الله تعالى والقول  
بوجود الكون صدفة بعيد عن التصور العقلي فان اختلاف العنصریات وتنوع  
الاجناس والصور مبطل له مثبت للفاعل المختار والقول بالطبع كذلك منقوض  
بالحوارق المسماة في عرف أهله بفلتات الطبيعة لعدم سريان الطبيعة على نسق  
يقضي بيزور الاشياء محفوظة الصور ولا يخلصنا من هذا قولهم ان الطبيعة  
بلهاء تصدر عنها فلتات لاحتياج النكوتين الى فاعل مختار عليم. قادر حكيم  
لا يصدر عنه العبث ولا تتشوش عليه المطالب ولا تغالبه الطبيعيات ومالمهم  
اذا رجعوا بالموجودات عند انتهاء سلسلة الممكنات الى واجب الوجود سموه  
طبيعة ولم يسموه الها والمقول لا تأبى ذلك ولا تراه بعيداً عن التصور بعد  
اقامة البرهان عليه انتهى\* ومن الحوارق التي أشار اليها ما ذكره المقتطف في  
الجزء السابع من المجلد السادس عشر من ظهور أشكال جديدة في الفلك لم  
يشر اليها أحد من الاقدمين ولم تر الا منذ عهد قريب فمنها ما ظهر على شكل

ممسك الأجنة في الحجره ومنها ما هو على شكل ذات الكرسي ومنها ما هو  
 على شكل الدجاجة ومنها ما هو على شكل الاكليل الشمالي وقد توالي ظهور  
 هذه الاشكال بعتة بحيث انه لم يحصل مثل ذلك في غابر الازمان وقد تحيرت  
 عقولهم في هذه الاشكال وأشكات عليهم كل الاشكال حتى قال بعضهم ليس  
 في علم الهيئة ما هو أغمض حقيقة من ظهور هذه النجوم بعتة في جهات مختلفة من  
 السماء\* ومن أشهرها نجم رآه تيخوبراهي الفلكي سنة (١٥٧٢) ظهر في صورة  
 ذات الكرسي وكان يختلف عن غيره من النجوم في شدة لمعانه ودهرته  
 فكان أول رؤيته ألمع من الشعري الشامية ومن المشتري وكاد لمعانه يفوق  
 لمعان الزهرة وهي في أشد لمعانها وكان يري في النهار مثلها وفي أوائل دسمبر  
 (ك ٢) أخذ نوره يضعف وزاد ضعفه رويداً رويداً الى أن اختفى في شهر  
 مارس آذار سنة (١٥٧٤) ولما قل اشراقه تميز لونه فكان أولاً أبيض  
 كالزهرة والمشتري ثم صار أصفر ضارباً الى الحجره كالمرنج ورجل الجبار بل  
 أشبه الدبران ثم صار لونه رصاصياً وما زال إشراقه يضعف رويداً رويداً الى  
 أن اختفى عن الابصار\* ومنها النجم الجديد الذي رآه كيلر الفلكي سنة (١٦٠٤)  
 وقد رآه أولاً برونوسكي تلميذ كيلر في العاشر من اكتوبر وكان حينئذ لا معا  
 مثل المشتري ثم اختفى سنة (١٦٠٦) وقد ظهرت نجوم أخرى جديدة ولكنها  
 لم تبلغ هذين النجمين في شدة لمعانهما. وسنة (١٦٦٩) ظهر نجم جديد في صورة  
 الدجاجة وكان بين القدر الثالث والخامس ورأى هـدجنس ومارنجما جديدا  
 في صورة الاكليل الشمالي سنة (١٨٦٦) وظهر نجم جديد في صورة الدجاجة  
 سنة (١٨٧٦) الي سنة (١٨٧٧) وقد اختلفوا كثيراً في تعليل حدوث هذه  
 النجوم بالعلل الفرضية ولم يقرروا على تعليل صحيح لها وعلى كل حال فحال أن  
 يكون اختلافها في الأشكال والصور منسوبا الي علة أو طبيعة فهي من الآيات

الباهرة والدلائل القاهرة على وجود الصانع المختار تقدس وتعالى (واعلم) أن مذهب المتقدمين من الفلاسفة أن فلك الثوابت يتحرك حركة بطيئة في كل ست وستين سنة درجة واحدة على قطبين يسميان فلك البروج وتم دور فلك الثوابت في ستة وثلاثين ألف سنة وأما الكواكب السيارة فتتحرك كلها مع أفلاكها بحركة الفلك الأعظم حركة تشملها بأسرها آخذة من المشرق إلى المغرب وهي حركة الشمس اليومية ثم قال جمهور الفلاسفة وأصحاب الهيئات وههنا حركة أخرى من المغرب إلى المشرق قالوا وهي ظاهرة في السبعة السيارات خفية في الثابتة واستدلوا عليه بأننا وجدنا الكواكب السيارة كل ما كان منه أسرع حركة إذا قارب ما هو أبطأ حركة فإنه بعد ذلك ينقدمه نحو المشرق وهذا في القمر ظاهر يجتمع بالشمس في آخر كل شهر ويظهر بعد الاجتماع بيوم أو يومين من ناحية المغرب على بعد من الشمس ثم يزداد كل ليلة بعدا منها إلى أن يقابلها على قريب من نصف الشهر وكل كوكب كان شرقا منه على طريقته في ممر البروج يزداد كل ليلة قربا منه ثم إذا أدركه ستره بطرفه الشرقي وتشكسف تلك الكواكب عنه بطرفه الغربي فعلمنا أن لهذه الكواكب السيارة حركة من المغرب إلى المشرق وكذلك وجدنا للكواكب الثابتة حركة بطيئة على توالي البروج فعرفنا أن لها حركة من المغرب إلى المشرق قال الامام نجرالدين ان الشمس مثلا لو كانت متحركة بذاتها من المغرب إلى المشرق حركة بطيئة ولا شك أنها متحركة بسبب حركة الفلك الأعظم اليومية من المشرق إلى المغرب لزم كون الجرم الواحد متحركا حركتين إلى جهتين مختلفتين دفعة واحدة وذلك محال لان الحركة إلى الجهة تقتضى حصول المتحرك في الجهة المنتقل إليها فلو تحرك الجسم الواحد دفعة واحدة إلى جهتين لزم حصوله دفعة واحدة في مكانين وهو محال هذا كلام الامام وهو مبني على أصلهم من أن الكواكب

مغروزة في الافلاك وانه يمتنع على الافلاك الحرق والالتصام قال فان قيل لم لا  
يجوز أن يقال الشمس حال حركتها الى الجانب الشرقي تنقطع حركتها الى الجانب  
الغربي وبالعكس فلنا هذا لا يستقيم على أصولكم لان حركات الافلاك مصنونة  
عن الانقطاع عنكم أما الذي احتجوا به على أن للكواكب حركة من المغرب  
الى المشرق فهو ضعيف فانه يقال لم لا يجوز أن يقال جميع الكواكب متحركة  
من المشرق الى المغرب الا أن بعضها أبطأ من البعض فيختلف بعضها عن بعض  
بسبب ذلك التخلف فيظن أنها تتحرك الى خلاف تلك الجهة مثلاً الفلك الاعظم  
استدارته من أول اليوم الأول الى أول اليوم الثاني دورة تامة الا مقدار ثانية  
فيظن أن فلك الثوابت تتحرك من الجهة المخالفة لجهة حركة الفلك الاعظم  
مقدار ثانية ولا يكون كذلك بل ذلك لانه تخلف بمقدار ثانية وعلى هذا التقدير  
فجميع الجهات شرقية وأسرعها الحركة اليومية ثم يليها في السرعة فلك الثوابت  
ثم يليها زحل وهكذا الى أن ينتهي الى فلك القمر فهو أبطأ الافلاك حركة قال  
وهذا الذي قلناه مع ما يشهد له البرهان فهو أقرب الى العقول والى ترتيب  
الوجود فان على هذا التقدير تكون نهاية الحركة حاصلة للفلك المحيط وهو  
الفلك الاسفل ونهاية السكون حاصلة للجرم الذي هو في غاية البعد وهو الارض  
ثم ان كل ما كان أقرب الى الفلك الاعظم كان أسرع حركة وكل ما كان منه  
أبعد كان أبطأ حركة ففلك الثوابت أقرب الافلاك اليه فلا جرم لا تفاوت  
بين الحركتين الا بقدر قليل وهو الذي يحصل من اجتماع مقادير التفاوت  
في كل مائة سنة درجة واحدة ويليه فلك زحل فانه أبطأ من فلك الثوابت  
فلا جرم كان تخلفه عن الفلك الاعظم اكثر حتى أن مقادير التفاوت اذا اجتمعت  
بلغت في كل ثلاثين سنة الى تمام الدورة وعلى هذا انقول كل ما كان أبعد عن  
الفلك الاعظم كان أبطأ حركة فكان تفاوتها اكثر حتى يبلغ الى فلك القمر الذي







بلغ العدد معنأ أكثر من خمسمائة كوكب ولم يعرف بالحساب الا دورة كوكبين منها أحدها هو الذي ظهر سنة (١٣٨٢) عيسوية ودورته تم تقريبا في خمس وسبعين سنة ونصف والثاني تم دورته في ألف يوم ومائتي يوم وبعض أيام قال صاحب صفة الاعتبار واعلم أن مسألة حركة الارض أي هل هي التي تدور أو أن الشمس هي التي تدور هي من المسائل الظنية أعني أن أداتها ظنية وكثير من مسائل علم الهيئة هو على هذا النحو الي الآن كمسائل الابعاد بين الكواكب ومقادير أجرامها وطبائعها وما شتمل عليه وعلماء هذا الفن مقرون بذلك كما يأتي ويشهد له أنهم كانوا مطبقين على أن بعد الزهراء من الشمس مقادير معلومة ففي سنة (١٢٩٣) كان اقتران الشمس بالزهراء يعني أن الزهراء تمر حائلة بين الارض والشمس فاعتنوا لذلك من قبل وأرسلوا العارفين الى الجهات التي يمكن منها رؤية ذلك لتحرير الرصد بالآلات فخرروا ذلك ووجدوا أن جميع حسابات السابقين خطأ فان البعد الذي حرره هو أقل مما كانوا يحسبون وكذلك مقدار جرم الزهراء ومن الجائر أيضا ظهور الغلط في هذا التحرير في وقت آخر اه ومن هذا القبيل ما ذكره الامام نخر الدين من أن الراصدين للميل الاعظم وجدوه مختلف المقدار وكل من كان رصده أقدم وجد مقدار الميل الاعظم أعظم فان بطليموس وجدته (كجنا) ثم وجد في زمن المأمون (كج له) ثم وجد بعد المأمون قد تناقص بدقيقة ثم قال ان بطليموس رصد الثوابت فوجدتها تقطع في كل مائة سنة درجة واحدة والمناخرون رصدها فوجدوها تقطع في كل مائة سنة درجة ونصفا وهذا تفاوت عظيم يبعد حمله على التفاوت في الآلات التي تتخذها المهرة في الصناعة على سبيل الاستقصاء كذا قال الامام وبعد أن ذكر اختلافهم فيما ياتمسونه من العلل لما ذكر قال واعلم أن هذا الحبط مما ينبتك على أنه لاسبيل للعقول البشرية الي

ادراك هذه الاشياء وأنه لا يحيط بها الا علم فاطرها وخالقها فوجب الاقتصار فيه على الدلائل السمعية اه قال صاحب صفوة الاعتبار وحيث كانت المسائل في هذا الفن ظنية اختلف علماءه في أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد فقدماء الفلاسفة ذهبوا الى أن الارض هي التي تدور والذين بعدهم ذهبوا الى أن الارض مركز للفلك وبدوران الفلك يحدث الليل والنهار وأن الشمس هي التي تدور معه ولها سير خاص بها يحدث منه الصيف والشتاء وشهر هذا المذهب وزاد انتشارا عند ما انتشر هذا العلم وتهدب في الامة الاسلامية لما استفحل فيها العلم وكان ذلك المذهب هو المشتهر فيمن أخذوا عنه العلوم الرياضية ثم أحيى المذهب الاول وتأكد الآن عند علماء المعصر بهذا الفن وقد ظن بعض المنتسبين للعلم أن المذهب الآخر هو من عقائد الاسلام والحق أن ليس شيء من هذا ولا من ذلك هو مما يجب اعتقاده عندنا وانما المدار عندنا على الاعتبار بالآثار المشاهدة من الليل والنهار وأشباه ذلك واثبات جريان الشمس وهو ثابت على كلا المذهبين لان المتأخرين يثبتون لها حركة رحوية على نفسها وحركة ثانية على منطقة لها أيضا ثم حركة ثالثة لها مع جميع ما يتبها من الكواكب حول شيء مجهول كما أن هاته الدورة مجهولة المستقر أيضا وعلماء هذا الفن الآن من غير المسلمين مقررون بذلك فهو حيثئذ اجماعى بيننا وبينهم كذا قال صاحب صفوة الاعتبار \* واذا علمت أن ما يذكرونه في هذا الباب هو ظني وليس لهم عليه دليل يقيني فالواجب علينا اعتقاده هو ما يدل عليه ظاهر النصوص الشرعية كما تقدم في مقدمة المقصد الثالث. والذي يدل عليه ظاهر النصوص الشرعية هو أن الارض ساكنة والشمس متحركة من المشرق الى المغرب كما يثبتته الحس والمشاهدة وحمل ذلك على الوهم منفض الى السفسطة والشك في المحسوسات وهو باطل

فمن تلك النصوص قوله تعالى قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فانه على حد قوله تعالى قال يا أيها الملأ أئيم يأتي بي بعرشها قبل أن يأتي مسلمين قال عفریت من الجن أنا آتیک به فلا يتوهم أحد قط أن المراد أنه يحرك قصر سليمان حتى يأتي به الي عرشها بل المراد قطعا أنه يحرك عرشها حتى يأتي به الي سليمان ولذا قال فلما رآه مستقراً عنده فكذاهنا يكون المراد قطعا ان الله تعالى يحرك الشمس من المشرق الي المغرب لا ان الارض هي التي تتحرك من المغرب الي المشرق كما زعموا \* ومنها قوله تعالى وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا فلو كانت الارض هي المتحركة لامتن علينا تعالى بحركتها اذ على ما زعموا هي التي يعلم بها حساب الاوقات لا حركة الشمس المجهولة لنا فكيف يمتن علينا بها لو كان ما ذكره صحيحاً وقوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين فلو كانت الارض هي المتحركة لامتن علينا تعالى بحركتها اذ هي التي يعود نفعها علينا لا حركة الشمس حول شيء آخر مجهول وقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تمتد بكم فانه يدل على عدم حركة الارض مطلقا لا تقييده بحركة الاضطراب فانها مشاهدة عند حدوث الزلازل الي غير ذلك من الآيات والاطخبار. أما ما استدلوا به على حركة الارض من قوله تعالى وكل في فلك يسبحون فسيأتي الكلام عليه في المطلب الثاني من هذا المبحث وأما قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مر السحاب فلا يمكن الاستدلال به على حركة الارض اذ هو لم يدل الا على حركة الجبال فقط ولذلك أجمع المفسرون على أن هذه الحركة هي التي تكون عند قيام القيامة كما هو مقتضى نظم الآية فانه تعالى قال ويوم ينفخ في الصور فتنزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة الي أن قال من جاء بالحسنة فله خير منها

الح فهدى الآية هي كقوله تعالى ويوم نسير الجبال وتري الارض بارزة وحشرناهم أما قوله تعالى صنع الله الذي أتقن كل شيء بعد قوله وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فقال العلامة أبو السعود فيه انه مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل أمرها والايذان بأنها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن يدعو اليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على أساس الحكمة المستتعبة للغايات الجميلة التي لاجلها رتب مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى الذي أتقن كل شيء أي أحكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة اه وذكر صاحب التذكرة أن القول بحركة الارض ممنوع لوقوع السهم في موضعه على استقامة ولو صح ما قالوه من تحرك الارض لوقع في غربي مسقطه اه ومما يبطل القول بحركة الارض ان الارض اذا كانت متحركة الي جهة المشرق وهناك طير يتحرك الي جهة المغرب لغاب عن أعيننا في أسرع من لمح البصر اذا الارض تسبقه في الثانية الواحدة بثلاثة أميال وهو يسبقها بحركته الذاتية واذا كان يتحرك الي جهة حركة الارض فلا يمكنه أن يصل الي أي موضع قصده من الارض اذ لا يمكنه أن يتحرك حركة تفوق حركة الارض حتى يصل الي مقصده فان قالوا ان قوة الجاذبية التي في الارض توجب له حركة موازية لحركة الارض ثم هو يتحرك بحركته الذاتية فلم يلزم ما ذكرتم قلنا اذا أوجبت له قوة الجاذبية مثل تلك الحركة التي تفوق قوته أضعافا مضاعفة فكيف لا توجب له السقوط على الارض وكيف لا تعوقه عن حركته الذاتية وأيضا انهم يقولون كما يفهم من

كلام صاحب النخبة الازهرية في الجغرافية العمومية ان الارض لا تزال  
تتحرك حول الشمس حتى تحتجب عنا بجرم الارض وحيثئذ تكون قد انتهت  
الي جانب آخر فيه الكواكب الثابتة فلا تزال تتحرك حولها حتى تصل الي  
الجانب الذي فيه الشمس وهكذا ولو كان الامر كذلك لكانت الكواكب  
الثابتة تبدو لنا دفعة واحدة وتغيب عنا دفعة واحدة مع انه ليس كذلك فان اول  
ما يبدو لنا بعض الكواكب ثم تبدو الكواكب حواليه شيئاً فشيئاً ومثل ذلك  
يحصل عند مغيبها فالحق أن عقول البشر عاجزة عن ادراك حقيقة نظام  
الموجودات فيجب التسليم الي مبدعها على وفق حكمته مع اتباع ماوردت  
به الادلة السمعية ومن يسلم وجهه الي الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة  
الوثقى \* واذا علمت ما ذكرنا تعلم أنه لا يجوز تأويل ما يدل من الآيات على  
طلوع الشمس وغروبها وغير ذلك بأنه باعتبار الابصار والعرف الجاري في اللسان  
نعم ان ثبت بالدليل القطعي ان الحقيقة هي بخلاف ما يدل عليه ظاهر الآيات  
رجعنا الي التأويل وأين هو الدليل القاطع وكل واحد من المتقدمين والمتأخرين  
يظن ظناً قد يحتمل الوقوع مع الجهل بحقيقة الواقع والمتيقن انما هو ما نطق  
به النصوص الشرعية قال صاحب صفوة الاعتبار \* اعلم أنه لا يلزم من دوران  
الارض نفي السماء على ما يتوهمه غير العارف لان السموات لا شك في وجودها  
للنصوص القطعية عليها غير أن جرمها غير معلوم لنا وانما نعتقد أنها اجرام  
شداد هي بالنسبة لكل من على الارض فوجه كما هو المفهوم اللغوي للفظ  
سما وأما ماهية اجرامها فالله أعلم بها ونعتقد انها سبع طبقات شداد ثم طبقة  
أخرى تسمى بالكروسي ثم طبقة أخرى تسمى بالعرش ولا يلزم من كونها  
شداد أن لا تحترقها الكواكب بسيرها فان ذلك مشاهد لنا كما انه لا يلزم  
من سير الكواكب انعدامها حتى يقولون ان الكواكب ملقاة في الفضاء لان

ذلك متوقف على معرفة كنهها ولا تدركه عقولنا لان العقول انما تتوصل الي  
 المهورات للحواس وما لا تمهده الحواس يعسر ادراكه على حقيقته ولهذا كان  
 علينا أن نصدق الصادق ونكل معرفة ذلك الي خالقها بل الاغرب أن مثل  
 هاته المسائل أقربها الحكماء الذين لا يعتقدون الشرع فقد قال أحد حكماء  
 القرنساو بين المناخرين ما ترجمته ان للعقل حداً محدوداً لا يتجاوزه كما أن للبصر  
 حداً محدوداً لا يتجاوزه فاتعاب العقل في التوصل الي معرفة كنه الاجرام  
 العلوية وماهيتها كاتعاب البصر في أن يري ما فوق السقف من أسفله فهب  
 انك أعنته بأعظم المرايا المكبرة فانه لا يمكن أن يخترق السقف حتي يري  
 ما فوقه اه ويمكن لنا أن نقرب لاولئك المنكرين للسماء فهم وجودها على  
 مقتضى علم الهيئة الذي هم عليه الآن بأنهم يسلمون وجود كرة الهواء محيطة  
 بالارض وانها عظيمة شديدة حتي قرروا أن ذات الانسان المتوسط مضغوطة  
 وحالة لا كثر من ثلاثة وثلاثين ألف رطل من الهواء ومع ذلك فان هاته  
 الكرة العظيمة الشديدة تخترق كيفما أراد المخترق لها فلم لا يجوز أن تخترق  
 الكواكب السيارة السموات على هذا النحو ثم ان هاته الكرة الهوائية نهاية  
 ارتفاع سطحها الأعلى عن سطح الارض نحو ستة عشر فرسخاً وهي في ذاتها  
 تختلف طبقاتها وما فوقها ليس بخلو لانه لا يوجد في الكون خلو مطلق كما  
 هو رأى قدماء الفلاسفة ومتأخريهم كما قرره الحكيم لامروس في كتابه  
 الآتي ذكره فلم لا يجوز أن يسمى الشيء المعمر لحد محدود من الفضاء بالسماء  
 وما فوقه من حد آخر بسماء آخر وهكذا وان كنا نجعل حقائقها لكنا نقول  
 انها لا تتمتع من سير الكواكب في مناطقها اه وقال صاحب الرسالة الحميدية  
 وأما ان الله تعالى خلق سبع سموات فوقنا وخلق جسماً كبيراً يسمى كرسيا فوق  
 تلك السموات وجسماً أكبر منه فوقه يسمى عرشاً وأن بيننا وبين تلك الاجسام

مسافات عظيمة وانه خلق جسما كبيرا يسمي لوحا وجسما آخر يسمي قلما لاثبات ما يكون وتسطيره لا عن حاجة الى ذلك وانه يجري نعيم الانسان في دار خلقها تسمي الجنة وعذابه في دار تسمى جهنم يدخلها البشر بعد خراب عالم الارض والسموات وبعثهم بعد الموت فأقول أتم وأتباع محمد عليه السلام تقولون بالخلاء الممتد وهو البعد الشاسع الذي تتيه الافكار في سمته ثم أتم تقولون ان الشمس والكواكب قائمة في الفراغ الشاسع بناموس الجاذبية وفي أقوال بعض أتباع محمد عليه السلام ما يوافق قولكم هذا في أن الشمس والكواكب ليست مركزوزة في السماء بل هي قائمة في الفراغ وملكها هو مدارها فيه فما المانع من أن يكون وراء تلك الكواكب في ذلك البعد الشاسع قد خلق الله تعالى تلك الاجسام المذكورة وهي السموات السبع والعرش والكرسى واللوح والقلم والجنة و جهنم وأقامها هناك بقدرته سبحانه سواء أقامها بناموس من النواميس التي يضعها في نظام مخلوقاته أم بغير ناموس اذ هو قادر على ذلك والنواميس هي أسباب عادية كما أقام الشمس والكواكب في الفراغ التي هي فيه ثم الجميع بعيد عنا بمسافات شاسعة كما بينها مسافات كذلك وما أدركناه من عظمة ذلك الاله وعظمة قدرته في مصنوعاته التي نشاهدها لا يبعد عنده شيء من ذلك عليه فكل ذلك جائز ممكن لا يحيله العقل وقدرة الاله صالحة لتعلقها بإيجاده وعدم وصولكم الي ادراكه بحواسكم أو بوسائط أخرى لا يقتضى عدمه هذا كلام صاحب الرسالة الحميدية أقول ولا مانع من أن السموات أجسام نورانية أى شفافة كالزجاج فلذلك لا ترى مع البعد ولذلك قال تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا فنسبه الى الكل مع أنه في السماء الدنيا وما ذاك الا لان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك



أن يكون مافى واحدة كأنه في الكل كما قاله العلامة أبو السمود وقد اتفق  
 المتقدمون من الفلاسفة على أن الكواكب الثابتة مركوزة في الفلك  
 الثامن الذي هو فوق أكر السيارات مع أن هذه الكواكب ترى كأنها  
 مركوزة في سماء الدنيا وهذا لا يصح إلا إذا كانت السموات شفافة  
 فلذلك تظهر تلك الكواكب في سماء الدنيا وتلوح منها ولاجل كون السموات  
 شفافة قد التبس الامر على بعضهم فقال الفلك موج مكفوف تجري الشمس  
 والقمر والنجوم فيه وقال بعضهم ماء مجموع تجري فيه الكواكب وهذا كما التبس  
 الامر على بلقيس حين قيل لها ادخلى الصرح فلما رآته حسبتة لجة وكشفت عن  
 ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع  
 سليمان لله رب العالمين وأما ما ورد من أن بعض السموات من فضة وبعضها  
 من ذهب وهكذا كل واحدة على شكل بعض المعادن فهذا ان صح فالامر  
 على حد قوله تعالى كانت قوارير قوارير من فضة وترجع الى كلام صاحب  
 الرسالة الحميدية قال ومن تقرير هذا المقام يظهر أنه لا مانع أيضا من وجود سبع  
 أرضين كما ورد في بعض نصوص الشريعة الحميدية وتكون الارضون الستة  
 قائمة في الفراغ الذى فيه أرضنا وسائر الكواكب ولا مانع من اشتغالها على  
 عوالم كما تظنون أتم في اشتمال الكواكب على ذلك وان قلم انالمرها  
 بالنظارات المكبرة قلت يحتمل أنها ليست منيرة تصلح للرؤية بها ويحتمل  
 أنكم رأيتموها وحسبتموها في عدد الكواكب القائمة في الفراغ وان قلم سلمنا  
 أن جميع ذلك جائز الحصول ولكن ما الدليل على أن ذلك حاصل بالفعل وما الذى  
 حمل أتباع محمد عليه السلام على القول به فات الذى حملهم على ذلك وهو  
 دليلهم عليه نصوص شريعتهم الصريحة في وجود تلك الاجسام وهى نصوص  
 واردة ورودا قطعيا عن رسولهم عليه السلام وهو الصادق في جميع ما يخبر

به لأنه معصوم عن الكذب لثبوت رسالته بالبراهين القاطعة

﴿المطلب الثاني في كيفية النظر في الافلاك﴾

(والكواكب للاستدلال على)

«مبدعها بالقدرة والاختيار»

(اعلم) أن وجه دلالة العالم على وجود الصانع تعالى اما الامكان واما الحدوث واما مجموعهما واما الامكان بشرط الحدوث وكلها طرق موصلة الى العلم بالصانع وهي اما أن تعتبر في الذوات أو الصفات فتكون الطرق الموصلة ثمانية من ضرب أربعة في اثنين وقد أسقط بعضهم منها طريق الامكان بشرط الحدوث لأنه يرجع في الصورة الى طريق الاستدلال بمجموع الامكان والحدوث فسقط بسببه من الثمانية طريقان فتبقي ستة طرق وكذا عدها الامام نجرالدين في الاربعين وعدها في المعالم أربعة لأنه أسقط منها الطريقين الاخيرين لتركبها من الاولين وهذه الطرق معتبرة في العالم العلوي وهو عالم السموات والكواكب وتارة في العالم السفلي والمقصود هنا بيان الاستدلال من العالم العلوي وبيان الفرق بين الاستدلال بطريق الامكان المجرد وبين غيره من الطرق أن العلم بحدوث العالم يتأخر في طريق الامكان المجرد عن العلم بالصانع وفي غيره يتقدم وبيانه كما أفاده العلامة السنوسي انا اذا حققنا أن العالم ممكن وجوده وعدمه لأرجحية لاحدهما على الآخر بذاته ويدل على ذلك افتقاره وأن كل ممكن بذاته من حيث هو هو قابل للوجود والعدم فالوجود له ليس من ذاته وكل ما ليس له الوجود من ذاته فالوجود له من غيره ثم ذلك الغير لا بد وان يكون واجب الوجود لذاته والا لافتقر الى ما افتقر اليه العالم ودار أو تسلسل على ما تقدم بيانه في مبحث قدم

الصانع من الالهيات والدور والتسلسل محالان على ما تقدم هناك أيضا فثبت العلم بوجود مؤثر واجب لذاته فقد خرج لك من هذا العلم بالصانع لكن مع احتمال أن يكون صانعا بالازوم الذاتي فلا يكون العالم حادثا بل قديما واحتمال أن يكون صانعا بالاختيار فيكون العالم حادثا فيحتاج الى دليل آخر لإثبات هذا المطلب أعني مطلب حدوث العالم بعدما فرغت من مطلب وجود الصانع الذي نظرك فيه ونظر الفيلسوف واحد وانما تفرد عنه بهذا المطلب الثاني فانه لم يهتد هو اليه فتقول صانع العالم اما أن يكون أوجبه لذاته أو اقتضاه بطبعه أو أوجده باختياره وجهات التأثير منحصرة في هذه الالوجه الثلاثة كما تقدم بيانه في المبحث الاول من المقصد الثالث ثم تقول لاجازة أن يكون المؤثر في هذه الممكنات موجبا لها بذاته كالعلة ولا مقتضيا لها بطبعه لان ما يؤثر كذلك لا يجوز أن يخصص مثلا عن مثل لاستحالة الاختلاف في معلول العلة الواحدة ومطبوع الطبيعة الواحدة وفاعل العالم قد خصص مثلا عن مثل فتعين أن يكون موجدا بالاختيار فتقول حيثئذ العالم موقع بالاختيار وكل موقع بالاختيار حادث اذا اختيار وجوده يستلزم سبق عدمه والا كان تحصيل الحاصل في الوجود وثبوت ممكن ممالا يصح معه كونه في العدم فينتج العالم حادث فانت ترى كيف تأخر العلم بحدوث العالم في هذه الطريقة عن العلم بوجود الصانع فقد ظهر الفرق بين هذه الطريقة وغيرها من الطرق ﴿واعلم﴾ أن الاعتبارات المأخوذة من العالم العلوي، للدلالة على وجود الاله القادر المختار من وجوه كثيرة جمعناها ولخصناها من كلام الامام نجر الدين في مواضع متفرقة (الوجه الاول) أن الاجرام الفلكية لاشك أنها مركبة من الاجزاء التي لا تتجزأ ومتي كان الامر كذلك كانت لامحالة محتاجة الى الخالق والمقدر \* أما بيان المقام الاول فهو أن الاجرام

التلصكية لاشك أنها قابلة للقسمة الوهمية وكل ما كان قابلاً للقسمة الوهمية فانه يكون في نفسه مركباً من الاجزاء والابماض فثبت أن الاجرام الفلكية مركبة من الاجزاء التي لا تجزأ واذا ثبت هذا وجب افتقارها الى خالق ومقدر وذلك لانها لما تركبت فقد وقع بعض تلك الاجزاء في داخل ذلك الجرم وبعضها حصت على سطحها وتلك الاجزاء متساوية في الطبع والماهية والحقيقة والفلاسفة اقرروا لنا بصحة هذه المقدمة حيث قالوا انها بسائط ويمتنع كونها مركبة من اجزاء مختلفة الطبائع واذا ثبت هذا فنقول حصول بعضها في الداخل وحصول بعضها في الخارج أمر ممكن الحصول جائز الثبوت يجوز أن ينقلب الظاهر باطنا والباطن ظاهراً واذا كان الامر كذلك وجب افتقار هذه الاجزاء حال تركيبها الى مدبر قاهر يخصص بعضها بالداخل وبعضها بالخارج فدل هذا على أن الاجرام الفلكية منتقرة في تركيبها وأشكالها وصفاتها الى مدبر قدير عليم حكيم وحاصل هذا الوجه أن اجرام الافلاك والكواكب والعناصر مركبة من اجزاء صغيرة ولا بد وأن يقال ان بعض تلك الاجزاء حصت في داخل تلك الاجرام وبعضها حصلت على سطوحها فاختصاص حصول كل واحد من تلك الاجزاء بجزءه المعين ووضع المعين لا بد وأن يكون لخصيص المخصص القادر المختار (الناني) أن نقول ان الافلاك والعناصر مركبة من الاجزاء وكل مركب فانه مفتقر الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فكل مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن لاته وكل ممكن لاته فهو محتاج الى المؤثر والحاجة الى المؤثر لا تكون في حال البقاء الا لزم نكوت الكائن فتلك الحاجة لا تحصل الا في زمان الحدوث أو في زمان العدم وعلى التقديرين فيلزم كون هذه الاجزاء محدثة ومتى كانت محدثة كان حدوثها مختصاً بوقت معين وذلك

خلق وتقدير ويدل على الحاجة الى الصانع القادر المختار ( الثالث ) أن أجزاء  
 الفلك حاصلة فيه لذات الفلك الآخر وأجزاء الفلك الآخر حاصلة فيه لافى  
 الفلك الاول فاختصاص كل واحد منها بتلك الاجزاء أمر ممكن ولا بد له  
 من مرجح ويعود التقرير الاول ( الرابع ) النظر الى مقادير هذه الاجرام  
 الفلكية فانها مع اشتراكها فى الحقيقة الفلكية اختص كل واحد منها بمقدار  
 خاص مع أنه لا يمتنع فى العقل وقوعها على أزيد من ذلك المقدار أو أنقص  
 منه بذرة فلما فضى صريح العقل بأن المقادير بأسرها على السوية قضى بافتقارها  
 فى مقاديرها الى مخصص مدير ( الخامس ) النظر الى أحيائها فان بعض الاجرام  
 الفلكية أعلى من بعض فكل واحد منها فانه يوجد جسم آخر اما أعلى منه  
 واما أسفل منه وقد كان وقوعه على خلاف ذلك الترتيب أمرا ممكنا بدليل أن  
 الاجسام لما كانت متساوية فى الطبيعة الجسمية فكل ما صح على بعضها صح على  
 كلها ومتى كان كذلك صح أن العالى يمكن وقوته سافلا والسافل يمكن  
 وقوعه عاليا فكان اختصاصه بذلك الحيز والترتيب أمرا ممكنا ثم ان بعض  
 الكواكب حصل فى المنطقة وبعضها فى القطبين فاختصاص كل واحد منها  
 بموضعه المعين لا بد وأن يكون اختصاص مخصص قادر مختار ( السادس )  
 أن الاجرام الفلكية مع تشابهها فى الطبيعة الفلكية كل واحد منها مختص  
 بنوع معين من الحركة فى البطء والسرعة فلكل واحد منها حركة مختصة بمقدار  
 معين مخصوص من البطء والسرعة فاختصاص بعضها بالسرعة وبعضها بالبطء  
 عن الآخر ليس الا لمخصص والعقل يقضى بان كل واحد منها انما اختص  
 بما هو عليه بتقدير العزيز العليم ( السابع ) أنها مختلفة فى جهات الحركات  
 فبعضها من المشرق الى المغرب وبعضها من المغرب الى المشرق وبعضها شمالية  
 وبعضها جنوبية مع ان جميع الجهات بالنسبة اليها على السوية فكل حركة وقعت

متوجهة الي جهة فانه يمكن وقوعها متوجهة الي سائر الجهات فاخصاصها بالوقوع على ذلك الوجه الخاص اختصاص باصر ممكن ولا بد له من مخصص مدبر قادر مختار ( الثامن ) أن كل حركة فانه يمكن وقوعها أسرع مما وقع وابطأ مما وقع فاخصاص تلك الحركة المعينة بذلك المقدار المعين من السرعة والبطء اختصاص باصر ممكن ولا بد له من مخصص مختار ( التاسع ) أن يقال ان حركاتها اما أن تكون من لوازم جسمانياتها المعينة لكننا نري جسمانياتها المعينة منفكة عن كل واحد من اجزاء تلك الحركة فاذن كل واحد من اجزاء حركته ليس من لوازمه فافتقرت الافلاك في حركاتها الي محرك من خارج وذلك هو محرك المتحركات ومدبر الثوابت والسيارات وهو الحق سبحانه ( العاشر ) أن هذه الاجسام لا تخلو عن الحركة والسكون المحدثين وما لا يخلو عن المحدث فهو محدث فهذه الاجسام محدثة وكل محدث فقد حصل حدوثه في وقت معين وذلك خلق وتقدير ولا بد له من الصانع القادر المختار وقد استقصينا في شرح هذا الوجه في مبحث الوجود من الالهيات ( الحادي عشر ) أن الحركة والسكون جائزان على كل الاجسام بدليل أن الطبيعة الجسمية واحدة ولوازم الامور الواحدة واحدة فاذا صح السكون والحركة على بعض الاجسام وجب ان يصحها على كلها فاخصاص الجسم الفلكي بالحركة دون السكون اختصاص باصر ممكن ولا بد له من مخصص مختار ( الثاني عشر ) أن هذا الترتيب العجيب في تركيب هذه الافلاك واتلاف حركاتها أتري أنها مبنية على حكمة أم هي واقعة بالجزاف والعبث أما القسم الثاني فباطل وبعيد عن العقل فان من جوز في بناء رفيع وقصر مشيد أن التراب والماء انتم احدهما الي الآخر ثم تولد منهما لبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها قصر مشيد وبناء عال فانه يقضى عليه بالجنوب ونحن نعلم أن تركيب هذه الافلاك والكواكب

وما لها من الحركات ليس أقل من ذلك البناء فثبت أنه لا بد فيها من رعاية  
لأنه يبعد في العقول أن يكون مدار هذه الاجسام المستعظمة والحركات الدائمة  
على العبث والسفه فلم يبق في العقول قسم هو الاليق بالذهاب اليه الا أن  
مدبر اقاها غالباً على الدهر والزمان يحركها لاسرار مخفية ولحكم لطيفة هو  
المستأثر بها والمطلع عليها وليس عندنا الا الايمان بها على الاجمال على ما قال  
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه  
(الثالث عشر) أنا تراها مختلفة في الالوان مثل صفرة عطارد واشراق الزهرة  
وبياضها وضياء الشمس وحمرة المريخ ودرية المشتري وكودة زحل وزهور  
القمر واختلاف كل واحد من الكواكب الثابتة بعظم خاص ولون خاص  
وتركيب خاص ونراها أيضاً مختلفة في الوجوه والحدود واللثات والذكورة  
والانوثة وكون بعضها نهاريًا وليليًا وسايرا وراجعا ومستقيما وصاعدا وهابطا  
مع اشتراكها بأسرها في الشفافية والصفاء والنقاء في الجوهر فيقضي العقل بأن  
اختصاص كل واحد منها بما اختص به لا بد وأن يكون بتخصيص مخصص  
الرابع عشر أن الاجسام متساوية في الجسمية لأنه يصح تقسيم الجسم الي الفلكي  
والمنصري والكثيف واللطيف والحار والبارد والرطب واليابس ومورد  
التقسيم مشترك بين كل الاقسام فالجسمية قدر مشترك بين هذه الصفات  
والامور المتساوية في الماهية يجب أن تكون متساوية في قابلية الصفات فاذن  
كل ما صح على جسم صح على غيره فاذن اختصاص كل جسم بما اختص به  
من المقدار والوضع والشكل والطبع والصفة لا بد وأن يكون من الجائزات  
وذلك يقضي بالافتقار الي الصانع القديم جل جلاله وتقدس اسمائه ولا إله  
غيره فهذا هو الاشارة الي معاهد الدلائل المستنبطة من الافلاك والكواكب  
على اثبات الصانع ولا يخفي الاستدلال بها من اجسام السموات والارض

قال صاحب الرسالة الحميدية للنظر الى عالم الكواكب على ما نصت عليه كتب  
الهيئة عندكم ( عند المتأخرين من الفلاسفة ) ان كلا منها اختص بخامسة لم  
توجد في سواه والبعض منها صغير جدا والبعض منها كبير جدا حتي ان  
أرضنا بالنسبة اليه كحبة رمل بالنسبة الى كرة قطرها ذراع أو أكثر فان كان  
قطر أرضنا سبعة آلاف وتسعمائة وانني عشر ميلا ومحيطها الاستوائي أربعة  
وعشرين الفا وثمانمائة وتسعة وتسعين ميلا فقطر الشمس ثمانمائة واثمان  
وخمسون الفا وخمسمائة وثمانون ميلا ومحيطها مليونان وستمائة وثمانية وسبعون  
الفا وخمسمائة ميل وجرمها مثل جرم أرضنا بليون ومائتين وتسعة وخمسين  
الفا وسبعمائة مرة ومنها القريب اليها والبعيد عنها بلايين من الاميال ومنها  
ما يومه وسنته دون يومنا و ثنتا ومنها ما هو أكثر من ذلك بكثير حتي  
ان سنة زحل تسع وعشرون سنة من سديننا وسنة أورانوس أربعة وثمانون  
وسنة ببتون مائة وأربعة وستون وكسور ومنها ما هو بطيء السير في فلكه  
ومنها ما هو سريع السير حتي ان المشتري يجري ثلاثين الف ميل في الساعة  
فيجري تسعة أميال كلما نفس الانسان مرة وسرعة اجزائه الاستوائية في  
دورانه على محوره أربعمائة وسبعة وستون ميلا ومنها ما نوره أحمر ومنها  
ما نوره أصفر ومنها ما نوره أبيض ومنها غير ذلك ومنها ما نوره أصلي  
كالشمس والنوابت ومنها ما نوره مكتسب من نور غيره كالقمر وبقية  
السيارات ومنها ما يخلو عن الحرارة ومنها ما فيه حرارة تبلغ قدراً عظيماً  
فشمسنا على قول بعضهم لو جمعت حرارتها لكانت كافية لان تذيب في يوم  
واحد مقداراً من الجليد يغطي كل وجه الارض وسماكها احد عشر ميلا  
والذي يصل من حرها الى الارض هو جزء من الف ملبون وثلاثمائة وواحد  
وثمانين مليوناً ومنها النوابت وهي شمس أضواؤها ذاتية كشمسنا



ومنها ما هو ناء عن الشمس يبعد عنها على توالي الايام ومنها ما هو دان اليها كذلك ومنها المتغير يزيد ضوءه تارة وينقص أخرى ومنها الوقتي أي الذي يظهر زمانا قد يكون ممددا ثم يختفي ولا يعود أصلا ومنها ما نوره لا يصل اليها الا بعد سنين أو مئات من السنين مع ان نور شمسنا يصل اليها بمدة ثمانى دقائق وبعض ثوان مع ان الشمس تبعد عنا ما ينوف عن تسعين مليون ميل ومنها الشمالى ومنها الجنوبى ومنها المتوسط ومنها الليلي ومنها النهارى ومنها ما يتسع وجهه المنير تارة ويضيق أخرى ومنها ما ليس كذلك ومنها الكاسف ومنها المكسوف ومنها ومنها وهي قائمة في الفضاء سائرة في ابراجها ومنازلها على غاية الضبط والاحكام بحركات مختلفة ودورات متنوعة تضبط بها الاوقات ويعلم منها السنون والاشهر والايام والساعات وتمتاز الفصول بترتيب تحار فيه العقول معما فيه من منافع المخلوقات من نبات وحيوان ومعادن الى غير ذلك مما يعجز عن احصائه اللسان وتكل لديه الفكر ويخسأ البصر فاذا كانت متساوية في أصل المادة وليست مادتها تقتضى تخصيص كل منها بما اختص به عن سواه فيقال بعد ذلك ان الذى خص كل واحد منها بما اختص به ورتبها على نظامها العجيب مشتتة على المنافع حسب مصلحة المخلوقات مع ذلك الاتقان هو حركة أجزائها الفردة أم يقال ان الذى أبدعها كذلك هو العليم المريد القادر الحكيم وقال صاحب الفلسفة الحقة لو قسنا حجم أرضنا نجده لا يذكر بجانب أحجام نملك النجوم الزهر التي تظهر لما كانها فصوص الماس الزاهية في قبة زرقاء وقد حسبوا حجم الأرض فوجدوه أقل من حجم الشمس بمليون وخمسمائة الف مرة أما الذى يرينا صغر الشمس هو بعدها عنا بمسافة سبعة وبلايين مليوناً من الفراسخ \* فالعيب للعين لا للنجم في الصغر \* ولكن حجم الشمس الهائل لا يذكر أيضا بجانب حجم نجمة من النجوم

الاخرى الا كما يذكر ذرة من ذرات الهباء بجانب كرة الارض فان الضوء  
 يقطع في الثانية الواحدة خمسة وسبعين الف فرسخ وضوء الشمس التي نعلم  
 حجمها يصل اليها في مدة ثمانى دقائق تقريبا ولكن ضوء أقرب نجمة اليها  
 يصل اليها في مدة ثلاث سنين ونصف تقريبا فقل لي بميشك ما يكون حجم  
 هذه الكرة التي تظهر لنا كأنها نقطة لعمري يفني الامداد والاعداد دون  
 الوصول الى ذلك . ثم اننا لو نظرنا الى هذه الكرة الارضية وسائر الاجرام  
 السماوية التي لا يمكن تصور احجامها فضلا عن قياسها نجدها كلها معالقة في  
 الفراغ أليس ذلك أمراً عجيباً لم نر له من مثال ولم ينسج أحد له على منوال  
 نعم صناعة أكبر من أن يقال انها عجيبة فانا لو لم نرها باعيننا بل نقلها اليها  
 الناقلون لرميناهم بالجنون والهذيان واتهمناهم بكونهم يريدون أن يهزوا بفضيلتنا  
 لان عقلنا الضعيف لم يسمح لنا بادراك ذلك الصنع الغريب ومن أعجب  
 العجب ان هذه الاجرام (أى غير الثابتة) تؤدي دوراتها بمزيد الدقة والانظام  
 ولا يمكن أن تقارن بساعة أبدا على رقة أجزاء هذه وضخامة أجزاء تلك فان  
 الساعة مهما اتقنت فلا تسلم من التقديم أو التأخير أما هذه الاجرام فانها لو  
 كانت تؤخر دورتها كل سنة جزءاً من الثانية لكننا رأينا الآن في الحركات  
 الجوية اختلافا واختلالا لا يذكر أليست هذه دقة قليل فيها لفظ دقة  
 ولكن عفوا فاني لو كنت أعلم لفظه تمر دقة انتظام الاجرام السماوية لأتيت بها  
 ولكن ضرورة الحال أجبأتني الى استعمال الصفة التي توصف بها ساعة . . . . لتلك  
 الاجرام . ولكن أى جاذبية تجذبها الي بعضها وتجعلها واقفة في الفراغ وهل  
 سمعنا بشي . واقف في الفراغ بدون مانع يمنعه من السقوط كلا ولا ذرة  
 من الهباء فكيف ان هذه الاجرام التي لا يتصور العقل لها حدا ولا جرما  
 لا تتناثر على بعضها لو قيل حصل ذلك بجاذبية تؤثر من كل منها على الآخر

وهي تشبه جذب المغناطيس فبميشك أى هندسة وضعت هذه الجاذبية متناسبة هذا التناسب المحكم الذي لا يتصوره العقل لغرابته لان في الاجرام مالا يقدر بالنسبة لغيره الا كما تمد الحصاة الصغيرة بجانب كرة الارض فيلزم بالطبع لكل منها جاذب متناسب بالنسبة للكوكب الذي فوقه وهو كبير مثلا مع عدم اختلال هذا التناسب مع الكوكب الذي تحته وهو صغير مثلا مع حفظ ذلك التناسب أيضاً مع الذي على يمينه والذي على يساره وربما كانا مختلفين في الاحجام . لعمرى لو كان ذلك بجاذبية كجاذبية المغناطيس فهي صناعة لا تحوم حول ادراكها العقول ولا تطمع في استكناها الفحول . ولكن كيف تشبه هذه الجاذبية بجاذبية المغناطيس فان كان كذلك فلم نرى بعض النجوم سيارة لانه كان يلزم على التجاذب المتكافئ وقوف سائر هذه الاجرام لانا نعلم ان اقتراب وابتعاد جسمين ممغطين من بعضهما يحدث تغيرا في درجة الجذب ومن المعلوم انه بتسيار ودوران بعض هذه الاجرام لا بد أن تبعد عن بعض النجوم وتقرب من البعض الآخر وينبئ على ذلك اختلال في الجاذبية العامة اذن ليس هذا التجاذب يشبه تجاذب الاجسام المنمغطة بل هي صناعة تحير الافهام ويعلم دقتها العلماء الاعلام . وقال صاحب صفوة الاعتبار ان حكماء المتأخرين الذين وصلوا بالمعارف والتحليل والآلات الي ما لم تبلغه فلاسفة الاقدمين حتى زيفوا لهم كثيرا من خرافاتهم وبينوا خطأهم فهؤلاء حذاقهم قد أقرؤا بانهم لا بد من خالق لما هو موجود اذ ما يعملون به كثيرا من الاشياء من قولهم الجاذبية والنواميس الطبيعية وغير ذلك قد صرحوا بانها عبارات اصطلاحية والا فحقائقها أمور مجهولة يلتزم متبعتها بالاعتراف بالصانع فمن هؤلاء الحكيم المتبحر فيلكس لامروس وهو من مشاهير فحول علمائهم في القرن التاسع عشر المسيحي حتى أن كتابه في الجغرافية الطبيعية الموسوم

بالدراسة الاولى عليه مدار تعاليمهم في المدارس واختر للتعريب ليعلم ويعمل  
 به في المدارس المصرية وقد صرح هذا في كتابه المذكور في مبحث الجو وكرة  
 الهواء بقوله واذا نرض زوال الثاقل العمومي من الهواء فانه يتشتت في الفضاء  
 الي ان قال لكن الحكمة الالهية اقتضت الآن حفظ الاشياء وضبطها في  
 مواضعها الشاغلة هي لها بموجب قوة مجهولة ذاتها لافعلها تسمى بالجذب وهي  
 كلمة يعلم منها الفعل لا السبب اذ هذا الاخير مع كثرة بحث الطبيعيين عنه  
 وتفتيشهم عليه لم يزل مجهولا الي الآن وعلى المتولع بدراسة العلوم أن لا يأخذ  
 بظواهر مثل هاته الكلمات العلمية ( المصطلح عليها بين علماء الطبيعة ) التي يوضح  
 بها سبب أو أسباب طبيعية مجهولة لحادث من الحوادث فاذا قيل هنا مثلا  
 ان الاجرام تزن أو تثقل لانها مجذوبة لغيرها أو أنها جارية على مقتضى  
 نواميس الجذب كان ذلك الدور المعيب الي كلامه آخر. وقال الامام حجة الاسلام  
 اعلم أن ملكوت السموات وما فيها من الكواكب هو الامر كله ومن أدرك  
 الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقا فالارض والبحار والهواء  
 وكل جسم سوي السموات بالاضافة الي السموات كقطرة في بحر وأصغر  
 ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه فما من سورة الا  
 وتشتمل على تفخيخها في مواضع وكم من قسم في القرآن بها كقوله تعالى  
 والسماء ذات البروج والسماء والطارق والسماء ذات الحبك والسماء وما بناها  
 وكقوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها وكقوله تعالى فلا أقسم  
 بالخنس الجوار الكنس وقوله تعالى والنجم اذا هوى فلا أقسم بمواقع النجوم  
 وانه لقسم لو تعلمون عظيم فقد علمت أن عجائب النطفة القدرة عجز عن معرفتها  
 الاولون والآخرون وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال  
 الارزاق عليه وأضافها اليه فقال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأني

على المتفكرين فيه فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض وقال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيليه أي تجاوزها  
 من غير فكر وذم المعرضين عنها فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن  
 آياتها معرضون فأني نسبة لجميع البحار والارض الى السماء وهي متغيرات على  
 القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير الي أن يبلغ الكتاب  
 أجله ولذلك سماه الله تعالي محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال  
 سبحانه وبنينا فوقكم سبعا شادا وقال أتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع  
 سمكها فسواها فانظر الي الملكوت لتري عجائب العزة والجبروت ولا تظن  
 أن معني النظر الي الملكوت بأن تمد البصر اليه فتري زرقة السماء وضوء  
 الكواكب وتفرقا فان البهائم تشاركك في هذا النظر فان كان هذا هو المراد  
 فلم مدح الله تعالي ابراهيم بقوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات  
 والارض لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة  
 وما غاب عن الابصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالي عالم الغيب والشهادة  
 وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه الا بما شاء وهو  
 عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فأجل أيها العاقل  
 فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها  
 الي أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فعند ذلك ربما يرجي لك أن  
 تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال رأى قلبي ربي وهذا لان  
 بلوغ الاقصى لا يكون الا بعد مجاوزة الاذن وأدنى شيء اليك نفسك ثم  
 الارض التي هي مقرك ثم الهواء المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما على  
 وجه الارض ثم عجائب الجو وهو ما بين السماء والارض ثم السموات السبع  
 بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان

السّموات ثمّ منه تجاوز النظر الى ربّ العرش والكرسي والسّموات والارض وما بينهما فينبك وبين هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه فقيا ذا أتفكر والي ماذا أتطلع قارفع الآن رأسك الي السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودوّبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعها في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص الي أن يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل الي الحمرة وبعضها الي البياض وبعضها الي اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والاسد والانسان وما من صورة في الارض الا ولها مثال في السماء ثم انظر الي مسير الشمس في فللكها في مدة سنة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر الي ايلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر الي امالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف ومعجائب السموات لا مطمع في احصاء عشر عشر جزء من اجزائها وانما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب الا والله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم

في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه  
 من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك  
 اذا ما من جزء الا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لانسبة  
 لعالم الارض الي عالم السماء لافي كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت  
 الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الارض فانت تعرف  
 من كبر الارض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها ويدور  
 بجوانبها وقد اتفق الناظرون ( من المتقدمين ) على أن الشمس مثل الارض  
 مائة ونيفا وستين مرة وفي الاخبار ما يدل على عظمها ثم الكواكب التي  
 تراها أصغرها ( عند المتقدمين ) مثل الارض ثمان مرات وأكبرها ( عندهم )  
 يتهى الى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الارض وبهذا تعرف ارتفاعها  
 وبعدها اذ للبعد صارت ترى صفارا ولذلك أشار الله تعالى الي بعدها فقال  
 رفع سمكها فسواها وفي الاخبار ان ما بين كل سماء الى الاخرى مسيرة  
 خمسمائة عام فاذا كان مقدار كوكب واحد مثل الارض أضمافا فانظر الي كثرة  
 الكواكب ثم انظر الي السماء التي الكواكب مركوزة فيها والي عظمها  
 ثم انظر الي سرعة حركتها وأنت لاتحس بحركتها فضلا عن أن تدرك سرعتها  
 لكن لاتشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لان الزمان من  
 طلوع أول جزء من كوكب الي تمامه يسير وكذلك الكوكب هو مثل  
 الأرض مائة مرة وزيادة فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة  
 مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه  
 السلام عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلي الله عليه وسلم هل زالت  
 الشمس فقال لا نعم فقال كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان  
 قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام فانظر الي عظم شخصها ثم الى خفة حركتها

ثم انظر الى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع اكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الارض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر اليها بل انظر الى بارئها كيف خلقها ثم امسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غني فتراه مزوقاً بالصبيغ مموها بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبداً تنظر الى هذا البيت العظيم والى أرضه والى سقفه والى هوائه والى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك اليه فما هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضاً جزء من الارض التي هي من اجزاء هذا البيت ومع هذا فلا تنظر اليه ليس له سبب الا انه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم الا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ولا تقدر على أن تأكل عشر مائتا كلة بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناقفون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك وان صدقوك في مودتهم اياك فلا يملكون لك ولا لانفسهم نفعا ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشتغلت بهذا التروور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والارض ثم غفلت عن التمتع بالنظر الى جلال مالك الملك والملكوت وماملتك ومثل عقلك الا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الاركان مزين بالجواري والغلمان



وأنواع الذخائر والنفائس فانها اذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبها  
 لم تتحدث لو قدرت على النطق الا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها فأما حال  
 القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكير فيه بل لا قدرة  
 لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها الي غيره وكما غفلت النملة عن  
 القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بديانه وغفلت أيضا عن سكانه فأنت  
 أيضا غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف  
 من السماء الا ما تعرفه النملة من سقف بيتك ولا تعرف من ملائكة السموات  
 الا ما تعرفه النملة منك ومن سكان بيتك نعم ليس للنملة طريق الى أن  
 تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك  
 قدرة على أن تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه  
 وكما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته  
 أتم وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة  
 غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيرا  
 وتعظيما واحتراما حتى أن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره  
 يزيد محلا من قلبك يستدعي التعظيم له في نفسك فهكذا تأمل في خلق الله  
 تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خالق الله وتصنيفه والنظر  
 والفكر فيه لا يتناهى أبدا وانما لكل عبد منها بقدر ما رزق وكل ما نظرنا فيه  
 فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته والموفق ينظر فيه  
 فيكون سبب هدايته وسعادته وما من ذرة في السماء والارض الا والله سبحانه  
 وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء فمن نظر في هذه الامور من  
 حيث انها فعل الله تعالى وصنعه استفاد منها المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته  
 واهتدي بها ومن نظر فيها قاصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض

لامن حيث ارتباطها بمسبب الاسباب فقد شقي وارتدي فنعوذ بالله من الضلال ونسأله أن يجنبنا مزلة أقدام الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته

﴿ المطلب الثالث في كيفية التفكير في خلق السموات ﴾

﴿ والكواكب على مقتضى ما تدل عليه ﴾

( الآيات القرآنية )

قال الله تعالى في سورة البقرة (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) أي جعلها قبة مضروبة عليكم قال الجاحظ اذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كاللبساط والنجوم منورة كالمصابيح والإنسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهياة لمنافعه وضروب الحيوان مصروفة في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غيره متناهية\* وقال تعالى في سورة الانعام (وكذلك نرى ابراهيم) هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة أي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى الاراءة التي تضمنها قوله نرى لا الى اراءة أخرى يشبه بها هذه الاراءة وما فيه من معنى البعد للايدان بملو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الاشارة من الفخامة والمعني كذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ( ملكوت السموات والأرض ) أي ربوبيته تعالى ومالكيته لها وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما ربوبيا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر أدنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت

والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر والظاهر انه مختص بملك الله عز  
سلطانه وقيل ملكوتها عجائبها وبدائعها وقيل آياتها وقيل ملكوت السموات  
الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه  
الاقوال لا تقتضى ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد براءة ما ذكر  
من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في نفسها  
بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤنه  
عز وجل ولا ريب في أن ذلك ليس مما يدرك حساً كما ينبي عنه اسم الاشارة  
المفصح عن كون المشار اليه أمراً بديماً فان الاراءة البصرية المعتادة بمزل  
من تلك المثابة قال الامام نجر الدين انه ليس المقصود من ارءاة الله ابراهيم  
ملكوت السموات والارض هو مجرد ان يري ابراهيم هذا الملكوت بل  
المقصود ان يراها فيتوسل بها الى معرفة جلال الله تعالى وقده وعلوه وعظمته  
ومعلوم ان مخلوقات الله وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا أن  
جهات دلالتها على الذات والصفات غير متناهية وذلك لان الجوهر الفرد  
يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية  
لها على البدل وكل تلك الاحوال التقديرية دالة على حكمة الله تعالى وقدرته  
واذا كان الجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزأ كذلك فكيف القول في ملكوت  
الله تعالى فثبت ان دلالة ملك الله تعالى وملكوته على نعمت جلاله وسمات  
عظمته وعزته غير متناهية وحصول المعلومات التي لا نهاية لها دفعة واحدة  
في عقول الخلق محال فاذن لا طريق الى تحصيل تلك المعارف الا بان يحصل  
بعضها عقيب البعض لا الي نهاية ولا الي آخر في المستقبل فلهذا السبب والله  
أعلم لم يقل وكذلك أريناه ملكوت السموات والارض بل قال وكذلك نرى  
ابراهيم ملكوت السموات والارض فان قيل رؤية البصيرة حاصلة لجميع

الموحدين كروية البصر ومقام الامتتان بأبي ذلك قلنا جميع الموحدين وان كانوا يعرفون أصل دليل الربوبية الا أن الاطلاع على آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب أجناسها وأنواعها وأصنافها وأشخاصها وأحوالها مما لا يحصل الا للاكابر من الانبياء عليهم السلام ولهذا كان رسولنا عليه الصلاة والسلام يقول في دعائه اللهم أرنا الاشياء كما هي ( وليكون من الموقنين ) أي وليكون من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لأمر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين من فوائده بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته قال الامام نجر الدين واعلم ان الانسان في أول ما يستدل فانه لا ينفك قلبه عن شك وشبهة من بعض الوجوه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت صارت سببا لحصول اليقين وذلك لوجوه .

الاول انه يحصل من كل واحد من تلك الدلائل نوع قوة فلا تزال القوة تزايد حتى تنتهي الي الجزم . الثاني ان كثرة الافعال سبب لحصول الملكة فكثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جار مجري تكرار الدرس الواحد فكما ان كثرة التكرار تفيد الحفظ المتأكد الذي لا يزول عن القلب فكذا ههنا . الثالث ان القلب عند الاستدلال كان مظلمًا جدا فاذا حصل فيه الاعتقاد المستفاد من الدليل الاول امتزج نور ذلك الاستدلال بظلمة سائر الصفات الحاصلة في القلب فحصل فيه حالة شبيهة بالحالة الممتزجة من النور والظلمة فاذا حصل الاستدلال الثاني امتزج نوره بالحالة الاولى فيصير الاشراق واللمعان أتم وكما ان الشمس اذا ظهرت من المشرق ظهر

نورها في أول الامر متغيراً ثم لا يزال يتزايد بسبب تزايد قرب الشمس من سمت الرأس فإذا وصلت الي سمت الرأس حصل النور التام فكذلك العبد كلما كان تدبره في مراتب مخلوقات الله أكثر كان شروق نور المعرفة والتوحيد أجلي الا أن الفرق بين شمس العلم وبين شمس العالم ان شمس العالم الجسماني لها في الارتقاء والتصاعد حد معين لا يمكن ان يزداد عليه في الصعود وأما شمس المعرفة والعقل والتوحيد فلا نهاية لتصاعدها ولا غاية لازديادها فقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض اشارة الي مراتب الدلائل والبيانات وقوله وليكون من الموقنين اشارة الي درجات أنوار التجلي وشروق شمس المعرفة والتوحيد ( فلما جنّ عليه الليل ) أي ستره بظلامه ( رأي كوكباً ) قيل هو الزهرة وقيل هو المشتري ( قال هذا ربي ) وهذا القول ليس الغرض منه اثبات ربوبية الكوكب لان الانبياء معصومون وانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزّه ومن كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض أفبرؤية الكوكب يمتقد ربوبيته حاشا ابراهيم صلي الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلي الله عليه وسلم بل قوله هذا ربي يحتمل وجوها سبعة كما ذكره الامام فخر الدين الاول أن يقال ان ابراهيم عليه السلام لم يقل هذا ربي على سبيل الاخبار بل الغرض منه انه كان يناظر عبدة الكوكب وكان مذهبهم ان الكوكب ربهم والههم فذكر ابراهيم عليه السلام ذلك القول الذي قالوه بلفظهم وعبارتهم حتي يرجع اليه فيبطله ومثاله ان الواحد منا اذا ناظر من يقول بقدم الجسم فيقول الجسم قديم فاذا كان كذلك فلم نراه ونشاهده مركباً متغيراً فهو انما قال الجسم قديم

اعادة لكلام الخصم حتى يلزم المحال عليه فكذا همنا قال هذا ربي والمقصود  
 منه حكاية قول الخصم ثم ذكر عقبيه ما يدل على فسادوه وهو قوله لا أحب الآفلين  
 والدليل على هذا الوجه انه تعالى دل على هذه المناظرة بقوله تعالي وتلك  
 حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه \* والوجه الثاني في التأويل ان نقول قوله  
 هذا ربي معناه هذا ربي في زعمكم واعتقادكم ونظيره ان يقول الموحد للمجسم  
 على سبيل الاستهزاء ان الهه جسم محدود أي في زعمه واعتقاده قال تعالي  
 وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عا كفا وقال تعالي ويوم يناديهم فيقول أين  
 شركائي وكان صلوات الله عليه يقول يا اله الالهة والمراد انه تعالي اله الالهة  
 في زعمهم وقال تعالي ذق انك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك \* والوجه  
 الثالث في الجواب ان المراد منه الاستهزاء على سبيل الانكار والتوبيخ لقومه  
 وتقديره أهذا ربي الذي تزعمون واسقاط حرف الاستهزاء كثير في كلام  
 العرب ومنه قوله تعالي أفاءن مت فهم الخالدون والمعني أي يكون هذا ربا ودلائل  
 النقص فيه ظاهرة \* والوجه الرابع ان يكون القول مضمرا فيه والتقدير  
 قال يقولون هذا ربي واضمار القول كثير كقوله تعالي واذا يرفع ابراهيم  
 القواعد من البيت واسماعيل ربا تقبل منا أي يقولان ربا وقوله والذين  
 اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى أي يقولون ما نعبدكم  
 فكذا همنا التتمير ان ابراهيم عليه السلام قال لقومه يقولون هذا ربي أي  
 هذا الذي يدبرني ويربني \* والوجه الخامس ان يكون ابراهيم ذكر هذا  
 الكلام على سبيل الاستهزاء كما يقال لدليل ساد قوما هذا سيدكم على سبيل  
 الاستهزاء \* الوجه السادس انه صلى الله عليه وسلم أراد ان يبطل قولهم  
 ربوبية الكواكب الا انه عليه السلام كان قد عرف من تقليدهم لاسلافهم  
 وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة الى الله تعالي لم يقبلوه

ولم يلتفتوا اليه فقال الى طريق به يستدرجهم الي استماع الحجة وذلك بان ذكر  
 كلا ما يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع ان قلبه  
 صلوات الله عليه كان مطمئناً بالايان ومقصوده من ذلك ان يتمكن من ذكر الدليل  
 على ابطاله وافساده وأن يقبلوا قوله وتعام التقرير انه لما لم يجد الي  
 الدعوة طريقاً سوى هذا الطريق وكان عليه السلام مأموراً بالدعوة الي الله  
 كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر ومعلوم أن عند الاكراه يجوز اجراء  
 كلمة الكفر على اللسان قال تعالى الا من اكرهه وقلبه مطمئن بالايمان فاذا جاز  
 ذكر كلمة الكفر لمصلحة بقاء شخص واحد فبأن يجوز اظهار كلمة الكفر  
 لتخليص عالم من العقلاء عن الكفر والعقاب المؤبد كان ذلك أولي وأيضاً  
 المكره على ترك الصلاة لو صلى حتى قتل استحق الاجر العظيم ثم اذا جاء وقت  
 القتال مع الكفار ودام أنه لو اشتغل بالصلاة انهزم عسكر الاسلام فههنا  
 يجب عليه ترك الصلاة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال أثم ولو  
 ترك الصلاة وقاتل استحق الثواب بل نقول ان من كان في الصلاة فرأى طفلاً  
 أو أعمى أشرف على غرق أو حرق وجب عليه قطع الصلاة لا تقاذ ذلك  
 الطفل أو ذلك الأعمى عن ذلك البلاء فكذا ههنا ان ابراهيم عليه السلام تكلم  
 بهذه الكلمة ايظهر من نفسه موافقة القوم حتى اذا أورد عليهم الدليل المبطل  
 لقولهم كان قبولهم لذلك الدليل أثم وانتفاعهم باستماعه أكل ومثل هذا كمثل  
 الخواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنماً فظهر تعظيمه فاكرموه لذلك  
 حتى صاروا يصدرون عن رأيه في كثير من أمورهم الي أن دهمهم عدو لا قبل  
 لهم به فشاوروه في أمر هذا العدو فقال الرأي عندي أن تدعوا هذا الصنم  
 حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغير  
 شيئاً فلما تبين لهم أنه لا يضر ولا ينفع ولا يدفع دعاهم الخواري وأمرهم أن

يدعوا الله عز وجل ويسألوه ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين  
فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا جميعا ومما يقوي هذا الوجه أنه تعالى  
حكي عنه مثل هذا الطريق في موضع آخر وهو قوله فنظر نظرة في النجوم  
فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين وذلك لانهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على  
حصول الحوادث المستقبلية فوافقهم ابراهيم على هذا الطريق في الظاهر مع أنه  
كان بريثا عنه في الباطن ومقصوده أن يتوسل بهذا الطريق الى كسر الاصنام فاذا  
جازت الموافقة في الظاهر ههنا مع أنه كان بريثا عنه في الباطن فلم لا يجوز  
ان يكون في مسئلتنا كذلك وأيضا المتكلمون قالوا انه يصح من الله تعالى  
اظهار خوارق العادات على يد من يدعى الالهية لان صورة هذا المدعى وشكاه  
يدل على كذبه فلا يحصل فيه التلبس فكذا ههنا وقوله هذا ربي لا يوجب  
الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفي اظهاره هذه الكلمة منعمة عظيمة  
وهي استدراجهم لقبول الدليل فكان جائزا والله أعلم \* الوجه السابع أن  
القوم لما دعوه الى عبادة النجوم فكانوا في تلك المناظرة الى ان طلع النجم  
الدرى فقال ابراهيم عليه السلام هذا ربي اى هذا هو الرب الذي تدعوتني اليه ثم  
سكت زمانا حتى أفل ( فلما أفل ) أي غاب ( قال لأحب الآفلين ) أى الارباب  
المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار  
فانهم بمعزل عن استحقاق الربوبية قطعاً قال الامام نجر الدين ولسائل أن  
يسأل فيقول الافول انما يدل على الحدوث من حيث انه حركة وعلي هذا  
التقدير فيكون الطلوع أيضاً دليلاً على الحدوث فلم ترك ابراهيم عليه السلام  
الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في اثبات هذا المطلوب على الأفول  
قال والجواب لا شك أن الطلوع والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث  
الأ أن الدليل الذى يحتج به الانبياء في معرض دعوة الخلق كلهم الى الله لا بد



وان يكون ظاهراً جلياً بحيث يشترك في فهمه الذكي والنبي والعاقل ودلالة الحركة علي الحدوث وان كانت يقينية الا انها دقيقة لا يعرفها الا الافاضل من الخلق أما دلالة الافول فانها دلالة ظاهرة يعرفها كل أحد فان الكوكب يزول سلطانه وقت الافول فكانت دلالة الافول على هذا المقصود أتم وأيضاً قال بعض المحققين الهوي في خطرة الامكان أفول وأحسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص وحصة الاوساط وحصة العوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان وكل ممكن محتاج والمحتاج لا يكون مقطوع الحاجة فلا بد من الانتهاء الى من يكون منزلها عن الامكان حتي تنقطع الحاجات بسبب وجوده كما قال وأن الى ربك المنتهى وأما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة فكل متحرك يحدث وكل محدث فهو محتاج الي القديم القادر فلا يكون الآفل الها بل الاله هو الذي احتاج اليه ذلك الآفل وأما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب وهم يشاهدون ان كل كوكب يقرب من الافول والغروب فانه يزول نوره وينتقص ضوءه ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن يكون كذلك لا يصلح الالهية فهذه الكلمة الواحدة أعني قوله لا أحب الآفلين كلمة مشتملة على نصيب المقربين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال فكانت اكل الدلائل وأفضل البراهين وفيه دققة أخرى وهو انه عليه السلام انما كان يناظرهم وهم كانوا منجمين ومذهب أهل النجوم ان الكوكب اذا كان في الربع الشرقي ويكون صاعدا الي وسط السماء كان قويا عظيم التأثير وأما اذا كان غربيا وقريبا من الافول فانه يكون ضعيف التأثير قليل القوة فبه بهذه الدققة على ان الاله هو الذي لا تتغير قدرته الى العجز وكما له الي النقصان ومذهبكم ان الكوكب حال كونه في الربع الغربي يكون ضعيف القوة ناقص التأثير عاجزا عن التدبير وذلك

يدل على القدر في الهيته فظهر على قول المنجمين ان للافول مزيد خاصية في كونه موجبا للقدر في الهيته فان قيل لا شك ان تلك الليلة كانت مسبوقة بنهار وليل وكان افول الكواكب والقمر والشمس حاصلا في الليل السابق والنهار السابق وبهذا التقرير لا يبغي للافول الحاصل في تلك الليلة مزيد فائدة والجواب اننا انما صلوات الله عليه انما اورد هذا الدليل على الاقوام الذين كان يدعوهم من عبادة النجوم الى التوحيد فلا يبعد ان يقال انه عليه السلام كان جالسا مع ائمة الاقوام ليلة من الليالي وزجرهم عن عبادة الكواكب فينما هو في تقرير ذلك الكلام اذ وقع بصره على كوكب مضى فلما افل قال ابراهيم عليه السلام لو كان هذا الكوكب الهالما انتقل من الصعود الى الافول ومن القوة الى الضعف ثم في اثناء ذلك الكلام طلع القمر ( فلما رأى القمر بازغا ) أى مبتدئا في الطلوع ( قال هذا ربي فلما افل ) كما افل النجم ( قال لئن لم يهديني ربي ) يعنى ان لم يثبتني ربي على الهدى ( لا كونن من القوم الضالين ) فان شياً مما رأته لا يليق بالربوبية وهذا تعريض لقومه بأنهم على ضلال وانما عرض بضلالهم في أمر القمر لانه ايس منهم في أمر الكواكب ولو قاله في الاول لما أنصفوا ولا أصغوا ولهذا صرح في الثالثة بالبراءة منهم وأنهم على شرك أى قالتعريض هنا لاستدراج الخصم الى الاذعان والتسليم أفاده الكرخي وأيضا فان الانبياء عليهم السلام لم يزلوا يسألون الله التثبيت ومنه قوله واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام فليس المراد أنه لم يكن متهديا لان الانبياء لم يزلوا على الهداية من أول الفطرة ( فلما رأى الشمس بارغة قال هذا ربي هذا أكبر ) من الكواكب والقمر جرما وضواً ونفعا وفيه اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة أخري ببيان أن الأكبر أحق بالربوبية من الأصغر ( فلما أفلت ) هى أيضا كما افل الكواكب والقمر ( قال ) مخاطبا لكل صادعا بالحق بين أظهرهم ( يا قوم انى

برىء مما تشركون ) أي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثه المتغيرة من  
 حالة الي أخرى المسخرة لمحدثها أو من اشراككم قال العلامة أبو السعود  
 وترتيب هذا الحكم ونظيره على الأفول دون البزوغ والظهور من ضروريات  
 سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه  
 انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة  
 موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها  
 الحكم الاول على الطريقه المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطاس  
 الآثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف  
 بها كل مكابر عنيد رتب عليها مراتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه الي  
 مبدع هذي المصنوعات ومنشئها فقال ( اني وجهت وجهي ) أي أخلصت  
 ديني وعبادتي وجعلت قصدي ( للذي فطر السموات ) التي هذه الاجرام  
 التي تعبدونها من أجزائها ( والارض ) التي تغيب هي فيها ( حنيفا ) أي  
 مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائفة كلها ( وما أنا من المشركين ) في شيء  
 من الاقوال والافعال \* وقال تعالى في سورة الانعام أيضا ( وجعل الليل  
 سكنا والشمس والقمر حسابا ) أي على أدوار مختلفة يحسب بها الاوقات  
 فانه تعالى قدر حركة الشمس بمقدار من السرعة والبطء بحيث تتم دورتها  
 في سنة وقدر حركة القمر بحيث تتم الدورة في شهر وبهذا التقدير تنتظم  
 المصالح المتعلقة بالفصول الاربعة كنضج الثمار وامور الحرث والنسل ونحو ذلك  
 مما يتوقف عليه قوام العالم وباختلاف منازل القمر وتجدد الالهة في كل شهر  
 يعلم آجال الديون ومواقيت الاشياء فمعنى جعل الشمس والقمر حسابا جعلها  
 علمي حساب فالحسبان بالضم بمعنى الحساب والعد وبابه نصر أو الباء محذوفة  
 وهو حال من مقدر أي يجريان بحسبان فهو منصوب بنزع الخافض والمعنى

أنه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحسبان معين ( ذلك ) إشارة  
إلى جعلها حساباً وما فيه من معنى البعد للأيدان بعلو رتبة المشار إليه وبعد  
منزلته أي ذلك التسيير البديع بالحساب المعلوم ( تقدير العزيز ) الذي قهرها  
وسيرها على الوجه المخصوص ( العليم ) بما فيها من المنافع والمصالح المتعلقة  
بمماش الخلق ومعادهم ( وهو الذي جعل لكم ) أي أنشأ لاجلكم وأبدع ( النجوم )  
التي تختلف مواضعها من جهة الشمال والجنوب والصباء والذبور ( تهتدوا  
بها في ظلمات البر والبحر ) أي في ظلمات الليل في البر والبحر وأضافها إليهما  
للملاسة فإن الحاجة إلى الاهتداء بها إنما تتحقق عند ذلك أو في مشتبهات  
الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قال الحدادي لتعرفوا بها الطرق من  
بلد من إلى بلد في المفاوز ولجج البحار في الليالي المظلمة في السفن فإن من  
النجوم ما يجعله السائر تلقاء وجهه . ومنها ما يجعله على يمينه . ومنها ما يجعله  
على يساره . ومنها ما يجعله خلفه لتظهر له الطريق التي تؤديه إلى بغيته قال  
صاحب الفلسفة الحققة فائدة النجوم الاهتداء بها في ظلمات البحار وقطع  
امتداداتها الهائلة فلولاها لما أمكنت المواصلات بين البلدان السحيقة التي  
يترتب على اتصالها بعضها قيام أود الحياة على هذه الكرة والافا كانت  
تصنع البلاد المدنية التي لا تنفي مزروعات أهلها لمعيشتهم إذا حرمت من  
الاتصال بالبلاد الزراعية . وهكذا كل الأمم معها كانت اشتغالات أهلها لا بد  
لها من التعارف بجملة أمم مشهورة بخصائص أخرى حتى تتبادل بينهم المعاملة  
فلو لم تكن هذه النجوم فمن الذي كان يمكنه أن يلقى بنفسه إلى ظلمات المحيط  
الاطلانتيك أو الباسيفيك وبذلك ما كانت تتعارف الأمم وما كان الناس  
تبعاً لذلك الأهمجيين اذن فاشراق نجوم السماء هو اشراق السعادة والرفاء  
ولولاها أيضاً لهلك خلق كثير تحت كلا كل السفب والظماً كيف لا ولا

يخفى أن أغلب سكان المعمورة أقوام غير متمدّنين وكثير منهم يرحلون من  
 محلة إلى محلة تبعاً للخصب والأحبال فقل بعيشك كيف كانت تقطع هذه الأمم  
 تلك السباسب لتبحث عن واد أكثر كلاًه وماءه مع علم الكل أنه لا هادي  
 لهذه القبائل الرحل النزل الأنجوم السماء في الليلة الظلماء . أيخبطون خبط عشواء  
 وقال الامام نجر الدين من الدلائل الدالة على كمال القدرة والرحمة والحكمة هو أنه  
 تعالى خلق هذه النجوم لمنافع العباد وهي من وجوه ( الاول ) أنه تعالى خلقها  
 لتهتدي الخلق بها إلى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمساً  
 ولا قرأً لأن عند ذلك يهتدون بها إلى المسالك والطرق التي يريدون المرور فيها  
 ( الثاني ) وهو أن الناس يستدلون بأحوال حركة الشمس على معرفة أوقات  
 الصلاة ويستدلون بأحوال الكواكب في الليالي على معرفة القبلة وسائر المصالح  
 الدينية والدنيوية ( الثالث ) انه يمكن أن يقال ان المعطل ينفي كونه تعالى فاعلاماً مختاراً  
 فهو تعالى خلق هذه النجوم ليهتدي بها في اثبات ذلك لاننا نشاهد هذه  
 الكواكب مختلفة في صفات كثيرة فبعضها سيارة وبعضها ثابتة والثوابت  
 بعضها في المنطقة وبعضها في القطبين وأيضاً الثوابت لامعة والسيارة غير لامعة  
 وأيضاً بعضها كبيرة درية عظيمة الضوء وبعضها صغيرة خفية قليلة الضوء  
 وأيضاً قدروا مقاديرها على مراتب كثيرة اذا عرفت هذا فنقول ان الاجسام  
 متماثلة ومتى كان الامر كذلك كان اختصاص كل واحد منها بصفة معينة  
 دليلاً على ان ذلك ليس إلا بتقدير الفاعل المختار . الرابع انه تعالى ذكر في  
 بعض السور كون هذه الكواكب زينة للسماء فقال تبارك الذي جعل في  
 السماء بروجاً وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقال والسماء  
 ذات البروج . الوجه الخامس في منافع هذه الكواكب ما ذكره الله تعالى في  
 قوله ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً فبه

على سبيل الاجمال على أن في وجود كل واحد منها حكمة عالية ومنفعة شريفة  
وليس كل ما لا يحيط عقلا به على التفصيل وجب نفيه فمن أراد ان يقدر حكمة  
الله تعالى في ملكه وملكوته بمكيال خياله ومقياس قياسه فقد ضل ضلالا  
مبينا ( قد فصلنا ) أي بينا ( الآيات ) الدالة على قدرتنا وتوحيدنا ( لقوم  
يعلمون ) يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال \* وقال تعالى  
في سورة الاعراف ( والشمس والقمر والنجوم ) أي وخلق الشمس والقمر  
والنجوم فهي بالنصب عطفًا على السموات من قوله تعالى ان ربكم الله الذي  
خلق السموات وفي قراءة بالرفع مبتدأ خبره ( مسخرات ) أي مذلات لما  
يراد منها من طلوع وأفول وسير ورجوع ( بامرهم ) بقدرته وارادته اذ ليس  
هي قادرات بانفسهن وانما يتصرفن في متصرفاتهن على ارادة المدبر لهن  
الحكيم في تدبيرهن وتصريفهن على ما أراد منهن فان الاجسام متماثلة ومتى  
كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك التسخير الشديد والتدبيرات  
العجيبة في العالم العلوي والسفلي لا بد وأن يكون لاجل أن الفاعل الحكيم  
والمقدر العليم خص ذلك الجسم بهذه الصفات وهذه الاحوال فجسم كل  
واحد من الكواكب والنيرات كالمسخر في قبول تلك القوى والخواص عن  
قدرة المدبر الحكيم الرحيم العليم وأيضا ان لكل واحد من اجرام الشمس  
والقمر والكواكب سيرا خاصا بطيئا من المغرب الى المشرق وسيرا آخر سريعا  
فالحق سبحانه قهرها على التحرك من المشرق الى المغرب على خلاف مقضى  
طباعتها فاجرام الافلاك والكواكب دارت كالمسخرة لهذا القهر والقسر \*  
وأیضا ان اجسام العالم على ثلاثة أقسام منها ما هي متحركة الى الوسط وهي  
الثقال ومنها ما هي متحركة عن الوسط وهي الخفاف ومنها ما هي متحركة على  
الوسط وهي الاجرام الفلكية الكوكبية فانها مستديرة حول الوسط فكونها

مستديرة حول مركزها لاعنه ولا اليه لا يكون الا بتسخير الله وتدبيره  
حيث خص كل واحد من هذه الاجسام بمخاصة معينة وصفة معينة وقوة  
مخصوصة فلهذا السبب قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره  
وأيضاً فللكل واحد من الكواكب مدارات مخصوصة وحركات مخصوصة  
في السرعة والبطء ثم انه سبحانه رتب مجموع هذه الحركات على اختلاف  
درجاتها وتفاوت مراتبها سبباً لحصول المصالح في هذا العالم كما قال في أول  
سورة البقرة ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات أي سواهن على  
وفق مصالح هذا العالم وهو بكل شيء عليم أي هو عالم بجميع المعلومات فيعلم  
أنه كيف ينبغي ترتيبها وتسويتها حتى تحصل مصالح هذا العالم فهذا أيضاً نوع  
عجيب في تسخير الله تعالى هذه الافلاك والكواكب فتكون داخلة تحت  
قوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره والسبب في افراد الشمس  
والقمر بالذكر مع أنها من النجوم أنه تعالى جعلها سبباً للمارة هذا العالم  
والاستقصاء في تقريره لا يليق بهذا الموضع فالشمس سلطان النهار والقمر  
سلطان الليل والشمس منفعتها في التسخين والقمر منفعته في الترطيب وتولد  
المواليد الثلاثة أعني المعادن والنبات والحيوان لا يتم ولا يكمل الا بالحرارة  
والرطوبة ثم انه تعالى خص كل كوكب بمخاصة معينة وتدبير غريب لا يعرفه  
بتمامه الا الله تعالى وجعله معيناً لهما في تلك المنافع والمباحث المستقصاة في  
علم الهيئة تدل على أن الشمس كالسلطان والقمر كالنائب وسائر الكواكب  
كالخدم فلهذا السبب بدأ الله سبحانه بذكر الشمس وثني بالقمر ثم أتبعه  
بذكر سائر النجوم (ألا له الخلق والأمر) فانه الموجد لكل والمتصرف  
فيه على الاطلاق (تبارك الله رب العالمين) أي تعالى بالوحدانية في الألوهية  
وتعظم بالتفرد في الربوبية واعلم ان البركة لها تفسيران أحدهما البقاء والثبات

والثاني كثرة الآثار الفاضلة والنتائج الشريفة وكلا التفسيرين لا يليق الا  
بالحق سبحانه فان حملته على الثبات والدوام فالثابت والدائم هو الله تعالى لانه  
الموجد الواجب لذاته العالم لذاته القائم بذاته الغنى في ذاته وصفاته وأفعاله  
وأحكامه عن كل ما سواه فهو سبحانه مقطوع الحاجات ومنهي الافتقارات وهو  
غنى عن كل ما سواه في جميع الامور وأيضاً ان فسرنا البركة بكثرة الآثار  
الفاضلة فالكل بهذا التفسير من الله تعالى لانه الواجب لذاته وكل ما سواه  
ممكّن وكل ممكّن فلا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته فكل الخيرات منه وكل  
الكمالات فائضة من جوده واحسانه فلا خير الا منه ولا احسان الا من  
فيضه ولا رحمة الا وهي حاصلة منه فلما كان الخلق والامر ليس الا منه لا  
جرم كان الشاء المذكور بقوله فتبارك الله رب العالمين لا يليق الا بكبريائه  
وكمال فضله ونهاية جوده ورحمته قال العلامة البيضاوي وتحقيق الآية والله  
أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أرباباً فيبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو  
الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم  
وتدبير حكيم فابعد الافلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار اليه بقوله تعالى  
فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الي ايجاد الاجرام السفلية نخلق جسماً  
قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها لصور نوعية متباينة الآثار والافعال  
وأشار اليه بقوله تعالى خلق الارض في يومين أي ما في جهة السفلى في يومين  
ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولاً وتصويرها ثانياً كما قال تعالى  
بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها  
وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي مع اليومين الاولين ثم لما تم له عالم الملك  
عمد الي تدبيره كالمملك الجالس على سريرته فدبر الامر من السماء الى الارض  
بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو



نتيجة ذلك فقال ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين \* وقال تعالى في سورة الاعراف أيضا (أولم ينظروا) الهمزة للأنكار والتعجب والتوبيخ باخلافهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم أي أ كذبوا بآياته تعالى ولم ينظروا نظر تأمل ( في ملكوت السموات والارض) أي فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة (وما خلق الله) أي وفيما خلق فيها (من شيء) بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيها من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحديته تعالى وبسائر شؤنه التي تنطق بهاتلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادها في المدلول فان كل فرد من أفراد الكوان مما عزوهان دليل لا تخ على الصانع المجيد وسبيل واضح الي عالم التوحيد قال الامام نجر الدين كل ذرة من ذرات عالم الاجسام والارواح هي برهان باهر ودليل قاهر على التوحيد ولنقرر هذا المعنى بمثال فنقول ان الضوء اذا وقع على كوة البيت ظهر الذرات والهبات فنفرض الكلام في ذرة واحدة من تلك الذرات فنقول انها تدل على الصانع الحكيم من جهات غير متناهية وذلك لانها مختصة بميز معين من جملة الاحياز التي لانهاية لها في الخلاء الذي لانهاية له وكل حيز من تلك الاحياز الغير المتناهية فرضنا وقوع تلك الذرة فيه كان اختصاصها بذلك الحيز المعين من الممكنات والجاترات والممكن لا بد له من مخصص ومرجع وذلك المخصص ان كان جسما عاد السؤال فيه وان لم يكن فهو الله سبحانه (لأنه لا يمكن اثبات وجود غيره من المجرادات بمجرد الوهم بل لا بد من الرجوع في ذلك الي الادلة السميعة وقد تطابقت مع الادلة العقلية على

أن الموجد والمبدع لأي شيء كان من الأشياء هو إله واحد أحد (وايضاً فتلك الذرة لا تخلو عن الحركة والسكون وكل ما كان كذلك فهو محدث وكل محدث فان حدوثة لا بد وان يكون مختصاً بوقت معين مع جواز حصوله قبل ذلك وبعده فاخصاصه بذلك الوقت المعين الذي حدث فيه لا بد وان يكون بتخصيص مخصص قديم فان كان ذلك المخصص جسماً عاد السؤال فيه وان لم يكن جسماً فهو الله سبحانه وتعالى وأيضاً ان تلك الذرة مساوية لسائر الاجسام في التحيز والجمعية ومخالفة لها في اللون والشكل والطبع والطعم وسائر الصفات واختصاصها بكل تلك الصفات التي باعتبارها خالفت سائر الاجسام لا بد وأن يكون من الجائزات والجائز لا بد له من مرجع وذلك المرجع ان كان جسماً عاد البحث الاول فيه وان لم يكن جسماً فهو الله سبحانه فثبت أن تلك الذرة دالة على وجود الصانع من جهات غير متناهية واعتبارات غير متناهية وكذا القول في جميع أجزاء العالم الجسماني والروحاني مفرداته ومركباته وسفلياته وعلوياته وعند هذا يظهر لك صدق مقال الشاعر

وفي كل شيء له آية \* تدل على انه واحد

انتهى كلام الامام نغر الدين وهو يشير الى أن هذا الغبار الدقيق جدا الذي يظهر أنه سابج في الهواء ويشاهد في الحرمة الضوئية من الشعاع الشمسي الداخل من ثقب مثلاً في قاعة مظلمة هو من الآيات العجيبة فانه لا يمكن مشاهدته في غير ذلك من الاجزاء المستضيئة بالشعاع ولذلك اختلف المتأخرون من الطبيعيين في أنه هل ينسب هذا الغبار للجو أو هو أجسام مكرو سكوبية أعني لا تشاهد الا بالنظارات المعظمة أو أنه يحتوي على اصول هذه الاجسام قال بعض المحققين منهم هذا كله محمول وما عندنا في طبيعته الحقيقية الآراء فرضية غير محققة \* وقال تعالى في سورة يونس (هو الذي جعل

الشمس ضياءً) أي ذات ضياء ( والقمر نوراً ) أي ذات نور وهذا تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلوه وقدرته وحكمته وبيان ذلك أنه يقال ان الاجسام لاشك أنها متساوية في الحجمية والتحيز والجرمية فلو خالف بعضها بعضا لكانت تلك المخالفة في أمر وراء الحجمية والجرمية ضرورة أن ما به المخالفة غير ما به المشاركة واذا كان كذلك فنقول ان ما به حصلت المخالفة من الاجسام لا بد أن يكون صفات لها فتكون الذوات في أنفسها مع قطع النظر عن تلك الصفات متساوية في تمام الماهية واذا كان الامر كذلك فكل ما يصح على جسم وجب أن يصح على كل جسم فلما صح على جرم الشمس اختصاصه بالضوء القاهر الباهر وجب أن يصح مثل ذلك الضوء القاهر على جرم القمر أيضا وبالعكس واذا كان كذلك وجب أن يكون اختصاص جرم الشمس بضوءه الباهر وشعاعه القاهر واختصاص القمر بنوره المخصوص بتخصيص مخصص وايجاد موجد وتقدير مقدر وذلك هو المطلوب واعلم أن النور كيفية قابلة للاشد والاضعف فان نور الصباح أضعف من النور الحاصل في أول النهار قبل طلوع الشمس وهو أضعف من النور الحاصل في أفنية الجدران عند طلوع الشمس وهو أضعف من النور الساطع من الشمس على الجدران وهو أضعف من الضوء القائم بجرم الشمس فكما هذه الكيفية على ما يحس به في جرم الشمس هو من مواقف العقول واعلم أن النور اسم لأصل هذه الكيفية وأما الضوء فهو اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية وذكر صاحب الرسالة الحميدية أن أكبر مشاهير الطبيعيين قال ان النور ذرات صغيرة جدا تنتشر عن الجسم وأنه قد رد عليه متأخروهم بأدلة واضحة وقالوا انه اهتزاز أجزاء المادة الاثيرية السارية في الكون فهو عبارة عن حركة الاجزاء المذكورة وأنه قد اعتمد جمهورهم الآن على

هذا التفسير وبنوا عليه الصروح قال ولقائل أن يقول ما بال تلك الاجزاء الاثرية تخرق حركتها لوح بلور بسماكة كثير من الاذرع واذا طلي أحد وجهيه بطبقة رقيقة من الجبر الاسود مثلا عجزت تلك الحركة عن خرقها كأنها صددت بأسوار خانية أو جبال حملايا هلا خرقت تلك الطبقة الرقيقة غير الصلبة كما خرقت اللوح السميك الصلب وان قلم ان اللون قد ابطل تلك الحركة بطبعه قلنا لا مانع أن يكون ذلك بخلق الله تعالى ولكن بينوا لنا على تفسيركم هذا كيف قويت تلك الحركة على خرق اللوح السميك الصلب وعجزت عن تلك الطبقة الرقيقة غير الصلبة وان قلم ان اللون يتشرب النور قلنا لكم بينوا لنا ما معنى تشرب اللون النور الذي هو حركة أجزاء بعبارة واضحة يقبلها العقل وأيضا ان صناعتكم قد اخترعوا دهانا اذا عرض لنور الشمس بعض دقائق أضاء في الظلام طول الليل فلي تفسيركم للنور ان قلم ان تلك الحركة المنبعثة عن الدهان في الظلام من انعكاس النور قلنا بينوا كيف دامت تلك الحركة ناشئة عن الدهان مع أن الحركة الاصلية المنبعثة عن الشمس قد انقطعت عنه وفارقت من ساعات وهذا خلاف ما يهد من ناموس الانعكاس وان كان خلاف ذلك فينبوه اه ولما بين تعالى قدرته بقوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا بين حكمته بقوله تعالى (وقدره) أي قدر للقمر وهياً (منازل) أو قدر مسيره في منازل أو قدره ذامنازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازلها وتعلق أحكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل من الشمس والقمر وانما وحد الایجاز أو اكتفي بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه والله ورسوله أحق أن يرضوه والمعنى قدر لهما منازل أو قدر لسيرهما منازل لا يجاوزانها في السير

ولا يقصران عنها على تقدير مستو لا يتفاوت وهي ثمانية وعشرون منزلا مقسومة على البروج الاثني عشر المتقدمة ينزل القمر كل ليلة في واحد منها يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان في آخر منازلها دق واستقوس نم يستمر ليلتين اولية اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما ( لتعلموا ) باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل ( عدد السنين ) التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والديوية ( والحساب ) أي حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ( ما خلق الله ذلك ) المذكور من الشمس والقمر على ما حكى من الاحوال ( الا ) ملتبسا ( بالحق ) مراعيًا لمقتضى الحكمة البالغة أو مراعي فيه ذلك وهو ما أشير اليه اجمالًا من العلم بأحوال السنين والاقوات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم قال الامام نضر الدين اعلم أن انتفاع الخلق بضوء الشمس وبنور القمر عظيم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وبحركة الشمس تنفصل السنة الى الفصول الاربعة وبالفصول الاربعة تنتظم مصالح هذا العالم وبحركة القمر تحصل الشهور باختلاف حاله في زيادة الضوء ونقصانه تختلف أحوال رطوبات هذا العالم وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل فالنهار يكون زمانا للتكسب والطلب والليل يكون زمانا للراحة وكل ذلك يدل على كثرة رحمة الله على الخلق وعظم عنايته بهم فانا قد دللنا على أن الاجسام متساوية ومتى كان كذلك كان اختصاص كل جسم بشكله المعين ووضع المعين وحيزه المعين وصفته المعينة ليس الا بتدبير مدبر حكيم رحيم قادر قاهر وذلك يدل على أن جميع المنافع الحاصلة في هذا العالم بسبب حركات الافلاك ومسير الشمس والقمر والكواكب ما حصل الا بتدبير المدبر المقدر الرحيم الحكيم سبحانه وتعالى عما يقول

الظالمون علوا كبيرا ثم انه تعالى لما قرر هذه الدلائل ختمها بقوله ما خلق الله ذلك الا بالحق ومعناه أنه تعالى خلقه على وفق الحكمة ومطابقة المصلحة (يفصل الآيات) التكوينية الدالة على وحدانيته وقدرته ويذكر بعضها عقب بعض مع مزيد الشرح والبيان (لقوم يعلمون) الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤن مبدعها جل وعلا وخص العلماء بالذكر لانهم المنتفعون بالتأمل فيها \* وقال تعالى في سورة يوسف (وكأين من آية) أي كثير من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته (في السموات والارض) أي كائنة فيهما (يمرون عليها) أي يشاهدونها ولا يعبؤون بها (وهم عنها معرضون) غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها قال الامام فخر الدين واعلم أن دلائل التوحيد والعلم والقدرة والحكمة والرحمة لا بد وأن تكون من أمور محسوسة وهي اما الاجرام الفلكية واما الاجرام العنصرية أما الاجرام الفلكية فقد يستدل بمقاديرها الممينة وأحيازها على وجود الصانع وقد يستدل بكون بعضها فوق بعض أو تحته وقد يستدل بأحوال حركاتها اما بسبب أن حركاتها مسبوقة بالعدم فلا بد من محرك قادر واما بسبب كيفية حركاتها في سرعتها وبطئها واما بسبب اختلاف جهات تلك الحركات وقد يستدل بألوانها وأضوائها أو بمحصول الاضواء والاضلال والظلمات والنور بسببها وأما الدلائل المأخوذة من الاجرام العنصرية فاما أن تكون مأخوذة من بسائط وهي عجائب البر والبحر واما من المواليد وهي أقسام . أحدها الآبار العلوية كالرعد والبرق والسحاب والمطر والثلج والهواء وقوس قزح . وثانيها المعادن على اختلاف طبائعها وصفاتها وكيميائياتها . وثالثها النبات وخاصة الحشب والورق والتمر واختصاص كل واحد منها بطبع خاص وطعم خاص وخاصة مخصوصة . ورابعها اختلاف

أحوال الحيوانات في أشكالها وطبائعها وأصواتها وخلقتها . وخامسها تشریح  
أبدان الناس وتشریح القوي الانسانية وبيان المنفعة الحاصلة فيها فهذه مجامع  
الدلائل ومن هذا الباب أيضا قصص الاولين وحكايات الاقدمين وأن الملوك  
الذين استولوا على الارض وخرّبوا البلاد وقهروا العباد ماتوا ولم يبق منهم  
في الدنيا خبر ولا أثر ثم بقي الوزر والعقاب عليهم هذا ضبط أنواع هذه  
الدلائل والكتاب المحتوي على شرح هذه الدلائل هو شرح جملة العالم الاعلى  
والعالم الاسفل والعقل البشرى لا يفي بالاحاطة به فلهذا السبب ذكره الله  
تعالى على سبيل الابهام \* وقال تعالى في سورة الرعد (الله الذي رفع السموات)  
أى خلقها مرفوعة لأنه رفعها بعد أن لم تكن كذلك (بغير عمد) أى بغير  
دعائم كالاساطين التي تكون تحت السقف (ترونها) استئناف استشهد به  
على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد كأنه قيل ما الدليل على أن السموات  
مرفوعة بغير عمد فاجيب بانكم ترونها غير معمودة وقيل الضمير راجع الى  
عمد والجملة صفة لها أى خالية من عمد مرئية وانتفاء العمد المرئية يحتمل ان  
يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعاً أى لا عمد لها فلا ترى ويحتمل ان يكون  
لانتفاء الرؤية فقط بان يكون لها عمد غير مرئية وهى قدرة الله تعالى وحفظه  
وتدبيره وابقاؤه اياها في الجو العالى وانهم لا يرون ذلك التدبير ولا يرفون  
كيفية ذلك الامساك قال الامام نجر الدين ان هذه الاجسام العظيمة بقيت  
واقفة في الجو العالى ويستحيل أن يكون بقاؤها هناك لاعيانها ولذواتها لوجهين  
الاول ان الاجسام متساوية في تمام الماهية ولو وجب حصول جسم في حيز  
معين لوجب حصول كل جسم في ذلك الحيز . والثاني ان الخلاء لانهايه له  
والاحياز المعترضة في ذلك الخلاء الصفر غير متناهية وهى باسرها متساوية ولو  
وجب حصول جسم في حيز معين لوجب حصوله في جميع الاحياز ضرورة أن

الاحياز بأسرها متشابهة فثبت ان حصول الاجرام الفلكية في احيازها وجهاتها  
 ليس أمرا واجبا لذاته بل لا بد من مخصص ومرجح والخاص ان السماء في  
 مكان وهو فضاء والفضاء لا نهاية له وكون السماء في بعضه دون بعض ليس الا  
 بقدرة مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد ترونها ولا يجوز ان يقال انها  
 بقيت بسلسلة فوقها ولا عمد تحتها والا لماد الكلام في ذلك الحافظ ولزم  
 المرور الى ما لا نهاية له وهو محال فثبت ان يقال الاجرام الفلكية في أحيازها  
 العالية لاجل أن مدبر العالم تعالى وتقدس أوقفها هناك فهذا برهان  
 قاهر على وجود الاله القاهر القادر ( ثم استوى ) أي استولي ( على العرش )  
 بالحفظ والتدبير أو استوى أمره قال الامام نخر الدين ان المراد استواؤه على  
 عالم الاجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ يعني ان من فوق العرش الى  
 ما تحت الثرى في حفظه وفي تدبيره وفي الاحتياج اليه ( وسخر الشمس  
 والقمر ) ذلها لمنافع خلقه وجعلها طائعين لما أريد منهما من الحركات وغيرها  
 ( كل ) من الشمس والقمر ( يجري ) حسبما أريد منهما ( لأجل مسمى ) لمدة ينتهي  
 فيها حركتهما ويخرج جميع ما أريد منهما من القوة الى الفعل أو لغاية يتم عندها  
 ذلك أو لمدة معينة فيها تم دورة كل منهما كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا  
 منهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية واعلم أن تقدير  
 حركاتها بمقادير مخصوصة على وجه تحصل عوداتها وأدوارها متساوية بحسب  
 المدة حالة عجيبة فلا بد من مقدر وهو الله جل وعلا قال ابن عباس للشمس مائة  
 وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة أشهر ثم انها تعود مرة  
 أخرى الى واحد منها في ستة أشهر أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون  
 منزلا فالمراد بقوله كل يجري لاجل مسمى هذا قال الامام نخر الدين وتحقيقه  
 أنه تعالى قدر لكل واحد من هذه الكواكب سيرا خاصا الى جهة خاصة



بمقدار خاص من السرعة والبطء ومتى كان الامر كذلك لزم أن يكون لها  
 بحسب كل لحظة ولحظة حاله أخري ما كانت حاصلة قبل ذلك ثم ان بعض  
 تلك الحركات مشرقية وبعضها مغربية وبعضها مائلة الى الشمال وبعضها مائلة الى  
 الجنوب وهذا لا يتم الا بتدبير كامل وحكمة بالغة ثم انه تعالى لما ذكر هذه  
 الدلائل قال ( يدبر الامر ) أي يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة  
 أمر ملكه من الایجاد والاعدام والاحياء والاماتة والاغناء والافقار  
 ويدخل فيه انزال الوحي وبعثة الرسل وتكليف العباد وفيه دليل عجيب على  
 كمال القدرة والرحمة وذلك لان هذا العالم المعلوم من أعلى العرش الى ماتحت  
 الثري أنواع وأجناس لا يحيط بها الا الله تعالى والدليل دل على أن اختصاص  
 كل واحد منها بوضعه وموضعه وصفته وطبيعته وحليته ليس الا من الله تعالى  
 ومن المعلوم أن كل من اشتغل بتدبير شيء فانه لا يمكنه تدبير شيء آخر الا  
 الباري سبحانه وتعالى فانه لا يشغله شأن أما العاقل فانه اذا تأمل في هذه  
 الآية علم انه تعالى يدبر عالم الاجسام وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر  
 الصغير فلا يشغله شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن تدبير وذلك يدل على  
 انه تعالى متعال في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته عن مشابهة المحدثات والممكنات  
 ( يفصل الآيات ) الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته أي يأتي بها مفصلة  
 وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة  
 شيئاً فشيئاً المستتعبة للمنافع الجليلة في السفليات على موجب التدبير والتقدير  
 ( لعلكم ) عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها ( بقاء ربكم ) بملاقاته للجزاء  
 ( توقنون ) فان من تدبرها حق التدبر أيقن أن من قدر على ابداع هذه  
 الصنائع البديعة على كل شيء قدير وان لهذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات  
 لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء

المكلفين ثم جزاؤهم حسب أعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء \* وقال تعالى في سورة ابراهيم ( أفى الله شك ) بادخال همزة الانكار على الظرف للايدان بان مدار الانكار ليس فى الشك انما هو فى ان وجود الله تعالى لا يَحتمل الشك أى أفى شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو أظهر من كل ظاهر وأجلى من كل جلى حتى تكونوا من قبله فى شك صريب ولما ذكر هذا المعنى أردفه بالدلالة الدالة على وجود الصانع المختار فقال ( فاطر السموات والارض ) أى مبدعها وما فيها من المصنوعات على نظام أنيق شاهد بتحقيق ما أتم منه فى شك واعلم ان من العلماء من ذهب الى انه قبل الوقوف على الدلائل الدقيقة فالظرة شاهدة بوجود الصانع المختار ويدل على ان الفطرة الاولية شاهدة بذلك وجوه .

الاول ان من لطم على وجه صبي لطمه فتلك اللطمة تدل على وجود الفاعل المختار لان الصبي العاقل اذا وقعت اللطمة على وجهه يصيح ويقول من الذي ضربني وما ذاك الا أن شهادة فطرته تدل على ان اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب أن يكون حدوثها لاجل فاعل فعلها ولاجل مختار ادخلها فى الوجود فلما شهدت الفطرة الاصلية بافتقار ذلك الحادث مع قاتته وحقارته الى الفاعل فبان تشهد بافتقار جميع حوادث العالم الى الفاعل كان أولى الوجه

الثانى ان الفطرة شاهدة بان حدوث دار منقوشة بالنقوش العجيبة مبنية على التركيبات اللطيفة الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل الا عند وجود نقاش عالم وبان حكيم ومعلوم ان آثار الحكمة فى العالم العلوى والسفلى أكثر من آثار الحكمة فى تلك الدار المختصة فلما شهدت الفطرة الاصلية بافتقار النقش الى النقاش والبناء الى البانى فبان تشهد بافتقار كل هذا العالم الى الفاعل المختار الحكيم كان أولى . الوجه الثالث ان الانسان اذا وقع فى محنة

شديدة وبليّة قوية لا يبقى في ظنه رجاء المعاونة من أحد فكأنه بأصل خلقته ومقتضى جبلته يتضرع الي من يخلصه منها ويخرجه عن علائقها وحبائلها وما ذاك الا شهادة الفطرة بالافتقار الي الصانع المدبر واعلم أن للسلف طرقا لطيفة في هذا الباب \* أحدها يروي أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق رضى الله عنه فقال جعفر هل ركبت البحر قال نعم قال هل رأيت أهواله قال بلى ها ببت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وعزقت الملاحين فتعلقت انا ببعض الواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فاذا أنا مدفوع في تلاطم الامواج حتى دفعت الى الساحل فقال جعفر قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ثم على اللوح حتى تنجيك فلما ذهبت هذه الاشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد قال بل رجوت السلامة قال ممن كنت ترجوها فسكت الرجل فقال جعفر ان الصانع هو الذى كنت ترجوه في ذلك الوقت وهو الذى انجأك من الغرق فاسلم الرجل على يده . وثانيها جاء في كتاب ديانات العرب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمران بن حصين كم لك من اله قال عشرة قال فمن نعمك وكربك ودفعت الامر العظيم اذا نزل بك من جملتهم قال الله قال عليه السلام مالك من اله الا الله . وثالثها كان ابو حنيفة رحمه الله سيفا على الدهرية وكانوا يتهزون الفرصة ليقتلوا فبينما هو يوما في مسجده قاعد اذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهموا بقتله فقال لهم أجيبوني عن مسألة ثم افعالوا ماشتم فقالوا له هات فقال ماتقولون في رجل يقول لكم انى رأيت سفينة مشحونة بالاحمال مملوءة من الاثقال قد احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهى من يذها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متهمد يدفعها هل يجوز ذلك في العقل قالوا لا هذا شيء لا يقبله العقل فقال أبو

حنيفة ياسبحان الله اذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير  
 متمهد ولا بحر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها  
 وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ فبكوا جميعا وقالوا صدقت  
 وأنعمدوا سيوفهم وتابوا . ورابعها سالوا الشافعي رضي الله عنه ما الدليل على  
 وجود الصانع فقال ورفقة القرصاد طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم  
 قالوا نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيخرج منها  
 العسل والشاة فيخرج منها البعر ويأكلها الطباء فينعمقد في نواجذها المسك فمن  
 الذي جعل هذه الاشياء كذلك مع أن الطبع واحد فاستحسنوا منه ذلك  
 وأسأموا على يده وهم سبعة عشر . وخامسها سئل أبو حنيفة رضي الله عنه  
 مرة أخرى فتمسك بأن الوالد يريد الذكر فيكون أنثى وبالعكس فدل على  
 الصانع \* وسادسها تمسك أحمد بن حنبل رضي الله عنه بقلمة حصينة ملساء  
 لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الابريز ثم انشقت الجدران  
 وخرج من القلمة حيوان سميع بصير فلا بد من الفاعل عنى بالقلمة البيضة  
 وبالحيوان الفرخ \* وسابعها سأل هرون الرشيد مالكا عن ذلك فاستدل  
 باختلاف الاصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات وثامنها سئل أبو نواس  
 عنه فقال

تأمل في نبات الارض وانظر \* الى آثار ما صنع المليك  
 عيون من لجين شاخصات \* بأحداق كمالذهب السيك  
 على قضب الزبرجد شاهدات \* بأن الله ليس له شريك

وتاسعها سئل أعرابي عن الدليل فقال البعرة تدل على البعير والروث على الحمير  
 وآثار الاقدام على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات  
 أمواج أما تدل على الصانع الخليم العليم القدير \* وعاشرها قيل لطبيب بم

عرفت ربك قال باهليلج مجفف أطلق ولعاب ملين أمسك وقال آخر عرفته  
بنحلة بأحد طرفيها تعسل وبالأخر تلسع والعسل مقلوب اللسع . وحادي  
عشرها حكم البديهة في فوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فلما رأوا بأسنا  
قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين \* وقال تعالى في سورة  
ابراهيم أيضا (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يد أبان في سيرها وانارتها  
اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيظ بهما صلاحه من المكونات أما الشمس  
فتفكر في طلوعها وغروبها فلولا ذلك لبطل أمر العالم كله فكيف كان الناس  
يسعون في معاشهم ثم المنفعة في طلوع الشمس ظاهرة ولكن تأمل النفع  
في غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هده ولا قرار مع احتياجهم الى الهدى  
والقرار لتحصيل الراحة وانبعث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء  
على ما قال تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وأيضا  
فلولا الغروب لكان الحرص يحملهم على المداومة على العمل على ما قال وجعلنا  
الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وأيضا فلولا انغروب لكانت الارض تحمى  
بشروق الشمس عليها حتى يحترق كل من عليها من حيوان ويهلك ما عليها من  
نبات على ما قال الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا فصارت  
الشمس بحكمة الحق سبحانه وتعالى تطلع في وقت وتغيب في وقت بمنزلة  
سراج يدفع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا  
فصار النور والظلمة علي تضادها متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم  
أما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله تعالى سببا لاقامة الفصول الاربعة  
ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيه مواد الثمار ويلطف  
الهواء ويكثر السحاب والمطر ويقوي أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة  
الفريرية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء

فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء  
 فتتضج الثمار وتتحل فضول الابدان ويجف وجه الارض وتهيأ للبناء  
 والعمارة وفي الخريف يظهر اليبس والبرد فتنتقل الابدان قليلا قليلا الى  
 الشتاء فانه ان وقع الانتقال دفعة واحدة هلكت الابدان وفسدت وأما  
 حركة الشمس فتأمل في منافعها فلها لو كانت واقفة في موضع واحد  
 لاشتدت السخونة في ذلك الموضع واشتد البرد في سائر المواضع لكنها  
 تطلع في أول النهار من المشرق فتقع على ما يحاذيها من وجه المغرب ثم  
 لاتزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق على  
 الجوانب الشرقية فلا يبقى موضع مكشوف الا ويأخذ حظا من شعاع  
 الشمس وأيضا كأن الله تعالى يقول لو وقفت في جانب الشرق والغنى  
 قد رفع بناءه على كوة الفقير فكان لا يصل النور الى الفقير لكنه تعالى  
 يقول ان كان الغنى من نور الشمس فأنا أدير الفلك وأديرها عليه حتى يأخذ  
 الفقير نصيبه وأما منافع ميلها في حركتها عن خط الاستواء فنقول لو لم تكن  
 للكواكب حركة في الميل لكان النفع مخصوصا ببقعة واحدة فكان  
 سائر الجوانب يخلو عن المنافع الحاصلة بسببه وكان الذي يقرب منه متشابه  
 الاحوال وكانت القوة هناك لكيفية واحدة فان كانت حارة أفنت الرطوبات  
 وأحالتها كلها الى النارية ولم تتكون المتولدات فيكون الموضع المحاذي للمر  
 الكواكب على كيفية وخط مالا يحاذيه على كيفية أخرى وخط المتوسط بينهما  
 على كيفية متوسطة فيكون في موضع شتاء دائم يكون فيه الهواء و العجاجة  
 وفي موضع اخر صيف دائم يوجب الاحتراق وفي موضع اخر ربيع او خريف  
 لا يتم فيه التضج ولو لم يكن عودات منتاليه وكانت الكواكب تنحرك بطيئا  
 لسائر الميل فليل المنفعة وكانت الحرارة شديدة الا عراط ولو كانت الكواكب

أسرع حركة من هذه لما كملت المنافع وما تمت فأما اذا كان هناك ميل يحفظ  
 الحركة في جهة مدة ثم تنتقل الى جهة أخرى بمقدار الحاجة وتبقى في كل جهة  
 برهة من الدهر تمت بذلك المنفعة فسبحان الخالق المدبر بالحكمة البالغة  
 والقدرة الغير متناهية قال صاحب الفلسفة الحقّة ووجود الشمس ضروري  
 لاعطائنا نورا نمشي به في مناكب الارض فلولاها لكانت الحياة كعدمها  
 ولا يكفي أن نعتبر الشمس فقط منبعا للاضواء التي تسمح لنا بالبحث عن  
 غذائنا ورؤية بعضنا بعضا فليس الامر قاصرا على ذلك فان لها من الحكم  
 والافعال ما يحتاج الانسان لدرس بعضه الى جملة سنوات وربما لم يكفه  
 في ذلك طول حياته لاجرم أن الشمس منبع الحياة على سطح هذه الكرة  
 الارضية وسبب من أسباب البقاء فيها ولتنوّه هنا عن خردلة من حكمة  
 وجودها فنقول لا يخفى أنه يوجد في جسم الانسان حرارة قدرها (٣٧) درجة  
 وأن هذه الحرارة ضرورية لحياته جدا فلا تقل ولا تزيد الا بعوارض  
 سرضية ولو لم توجد الشمس لما أمكن عادة بقاء الانسان على هذه الدرجة  
 من الحرارة الزريرية ومن هنا يظهر أن الشمس ضرورية الوجود لاجل أن  
 يسخن الجرم بأشعتها حتى لا تنفذ الحرارة من جسم الانسان ودليل ذلك أن  
 الرجل لا يمكنه العيشة بمجهاث القطبين الا اذا أخذ الاحتياطات الضرورية  
 من ايقاد انيراز ولبس القراء التي خاصيتها أن ترد لاجسم الحرارة الخارجة  
 منه كما يرى ذلك في سكان سيبيريا وغيرها من البلاد ذات الحرارة المنحطة  
 حتى أنك لتجد حيوانات تلك الجهات مكاتسية بوبر طويل لولاه لهلكوا  
 من البرد هيرير وار أخذنا شاة من اعدنا الى جهات القطب الشمالي لا يمكنها  
 ان تستمر على -الة الحياة بالنسبة لعدم استعداد فروتها الا لنحصل درجة  
 حرا

جهة خط الاستواء درجة حرارتهم تصل الي ( ٣٨ ) لشدة الحرارة عندهم  
والحرارة الشمسية ضرورية أيضاً للنباتات ولو منع النبات من درجة الحرارة  
الضرورية له بزرع الصيفي منه شتاء أو لو زيدت درجة الحرارة بزرع الشتائي  
منه صيفاً لمات ولم ينبت اذن لولا وجود الشمس لما عاش على سطح الارض  
لا حيوان ولا نبات ثم ان النور هو أحد الاسباب المهمة لبادء الميكروبات  
اذن لولا لكثرت الميكروبات جدا وتكثر تبعاً له الامراض والاصاب  
أما حكمة غروب الشمس فعظيمة جدا فبدونه كانت تستمر ترشق الارض  
بسهم أشعتها فتسخن هذه الي درجة لا تطاق فيهلك الانسان والحيوان  
والنبات بل والجماد أيضاً وبالتأمل تري انها موضوعة على أس من الحكمة  
ركن جدا لانه بعد غروبها تبدئ الارض في ارسال الحرارة المكتسبة  
منها بطريقة مستمرة حتى لا يكون الجو باردا جدا بعد ذهاب الشمس كيلا  
يكون الانسان كالمستجير من الرمضاء بالنار ولا تزال ترسل تلك الاشعة  
الحرارية الممتعة بطريقة محكمة فلا تبذر تبذيراً ولا تقتر تقطيراً الي ان تشرق  
الشمس في اليوم التالي فتحصل النتيجة السابقة \* أما القمر وهو المسمى بآية  
الليل فاعلم انه سبحانه وتعالى جعل طلوعه وغيبته مصلحة وجعل طلوعه في  
وقت مصلحة وغروبه في وقت آخر مصلحة أما غروبه ففيه نفع لمن هرب  
من عدوه فيستره الليل ويخفيه فلا يلحقه طالب ولولا الظلام لادركه العدو  
قال المتنبي

وكم لظلام الليل عندي من يد \* نخبر ان الماوية تكذب

وأما طلوعه ففيه نفع لمن ضل عنه شيء أخفاه الظلام وأظهره القمر ومن  
الحكايات ان اعرابيا نام عن جملة ليلا ففقداه فلما طلع القمر وجده فنظر الي القمر  
وقال ان الله صورك ونورك وعلى البروح دورك فاداس ° رأه إذا شاء



كورك فلا أعلم مزيداً أسأله لك ولئن أهديت الي سرورا لقد أهدى الله  
اليك نورا ثم أنشأ يقول

ماذا أقول وقولي فيك ذو قصر \* وقد كفيتني التفصيل والجملا  
ان قلت لا زلت مرفوعاً فانت كذا \* أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا  
قال الامام حجة الاسلام انظر كيف سخرا الله الشمس وكيف خلقها مع بعدها  
عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الي  
البرد والحر عند الحاجة الي الحر فهذه احدي حكم الشمس والحكم فيها أكثر  
من أن تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة  
فتفتقر الي رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب  
كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصنعها بتقدير  
الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر  
وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتي ان الشجرة الصغيرة تفسد  
اذا ظللتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل  
فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب  
الفاكهة أيضاً ولا تطول فيما لا مطمع في استقصائه بل نقول كل كوكب في  
السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا  
يخلو واحد منهما عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر باحصلها ولو لم يكن كذلك  
لكان خلقها عبثاً وباطلاً ولم يصح قوله تعالي ربنا ما خلقت هذا باطلا وقوله  
عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وكما أنه ليس في  
أعضاء بدنك عضو الا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة  
والعالم كله كشخص واحد وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون  
أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي أن تظن ان الايمان

بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أهور جلت أسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهى عنه في النجوم أمران \* أحدهما ان تصدق بانها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر \* والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل فان علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بتخليق الله تعالى في الارض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق واكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج اثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحي النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه بحوالته حتى الهواء على طلوع الشمس واذا سألت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك وقس بهذا سائر الآثار الا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السماء وقرأ قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار ثم قال صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته وممناه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء

الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته فله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والانس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من أحب علما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حباله فكذلك الامر في عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنعه بواسطة قلوب عباده فان تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف بل من الذي سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه \* وقال تعالى في سورة الحجر ( واقم جعلنا في السماء بروجاً ) قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهياات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه جمهور الفلاسفة من بساطة السماء قال الامام نضر الدين ووجه دلالتها على وجود الصانع المختار هو ان طبائع هذه البروج مختلفة على ما هو متفق عليه بين ارباب الاحكام واذا كان الامر كذلك فالقلم مركب من هذه الاجزاء المختلفة في الماهية والابحاض المختلفة في الحقيقة وكل مركب فلا بد له من مركب يركب تلك الاجزاء والابحاض بحسب الاختيار والحكمة فثبت أن كون السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المطلوب ( وزيناها ) أي السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت أو ثوابت ( للناظرين ) اليها فغنى التزيين ظاهرا وللمتفكرين المتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للأثار الحسنة \* وقال تعالى في سورة النحل ( وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ) يدأبان في سيرها لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤا كما في قوله تعالى

سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصرفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كأن ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم ( والنجوم مسخرات بأمره ) مبتدأ وخبر أى سائر النجوم في حركاتها وأوضاعها من التثليث والتربيع ونحوها مسخرات لله تعالى أي مذلات له خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره على مقتضى ارادته ومشئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار قال بعضهم أخبر الله تعالى أن هذه النجوم مسخرات في أنفسها مذلات بإدارته ومشئته يصرفها كيف يشاء ويختار وأنها ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها وذلك لانه لا بد لحركاتها واتصالاتها من سبب وذلك السبب اما أن يكون موجبا بالذات أو فاعلا مختارا والاول باطل لان نسبة ذلك الموجب بالذات الى جميع الاجسام على السوية فلم يكن بعض الاجسام بقبول بعض الآثار المعينة أولى من بعض ولما بطل هذا ثبت أن محرك الافلاك والكواكب هو الفاعل المختار القادر وذلك هو الله تعالى وذكر العلامة أبو السعود أن هذا ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعم في قبوله لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون قال وانما ذلك أدلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم أن يشاركه شيء في شيء فضلا عن أن يشاركه الجماد في الالوهية ( ان في ذلك ) أي فيما ذكر من التسخير ( آيات ) باهرة متكاثرة ( لقوم يعقلون ) وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة

ودلالة ما فيها على عظيم القدرة والعم والحكمة والوحدانية أظهر جميع الآيات  
 علقت بمجرد العقل من غير حاجة الي التأمل والفكر قال العلامة أبو السعود  
 ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالشار اليه حينئذ تعاجيب الدقائق  
 المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدي لمعرفتها الا المهرة  
 من أساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الي التفكير اكثر \* وقال  
 تعالي في سورة النحل أيضاً ( وبالنجم هم يهتدون ) بالليل في البراري والبحار  
 حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات  
 نعش والجدي وذلك لانها تعلم بها الجهات ليلا لانها دائرة حول القطب  
 الشمالي فهي لا تغيب والقطب في وسط بنات نعش الصغرى والجدي هو  
 النجم المفرد الذي في طرفها والفرقدان هما النجمان اللذان في الطرف  
 الآخر وهما من النعش والجدي من البنات ويقرب من بنات نعش الصغرى  
 بنات نعش الكبرى وهي سبعة أيضاً أربعة نعش وثلاث بنات وبازاء  
 الاوسط من البنات السهوى وهو كوكب خفي صغير كانت الصحابة رضي الله  
 عنهم تمتحن فيه أبصارهم كذا في التكملة لابن عساكر قال العلامة أبو السعود  
 ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للجارة مشهورين بالاهتداء  
 بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واحكام  
 الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك  
 والشكر عليه الزم لهم وأوجب عليهم اه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
 تعلموا من النجوم ما تهتدون به في طرقكم وقبلتكم ثم كفوا وتعلموا من  
 الانساب ما تصلون به ارحامكم قيل أول من نظر في النجوم والحساب ادريس  
 النبي عليه السلام قال بعض السلف العلوم أربعة الفقه للاديان والطب للابدان  
 والنجوم للازمان والنحو للسان قال في روح البيان وأما قوله عليه السلام

من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر أى تعلم قطعة منه فقد قال الحافظ المنهي عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث لآتية من مستقبل الزمان كجىء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الاسعار ونحو ذلك ويزعمون انهم يدركون هذا بسير الكواكب واقترانها واقتراقها وظهورها في بعض الازمان دون بعض وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره كما حكى انه لما وقع قران الكواكب السبعة في دقيقة من الدرجة الثالثة من الميزان سنة احدى وثمانين وخمسمائة حكم المنجمون بخراب الربيع المسكون من الرياح وكان وقت البيدر ولم يتحرك ريح ولم يقدر الدهاقين على رفع الحبوب فاما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقى فانه غير داخل في النهي انتهى كلام الحافظ مع زيادة قال صاحب روح البيان يقول الفقير أصحاب النظر والاستدلال محتاجون الى معرفة شيء من علم النجوم والحكمة والهيئة والهندسة ونحوها مما يساعده ظاهر الشرع الشريف اذ هو داخل في التفكير وقد قال تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ولا يمكن صرف التفكير الى المجهول المطلق فلا بد من معلومية الامر ولو بوجه ما وهذا القدر خارج عن الطعن والجرح كما قال السيد الشريف النظر في النجوم ليستدل بها على توحيد الله تعالى وكمال قدرته من أعظم الطاعات اه وقال الامام نخر الدين وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال انك اكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتاد فيقال لهذا المسكين انك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته وتقريره من وجوه . الاول ان الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة باحوال السموات والارض وتماقب الليل والنهار وكيفية احوال الضياء والظلام وأحوال

الشمس والقمر والنجوم وذكر هذه الامور في اكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها . والثاني انه تعالى قال أو لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروع فهو تعالى حث على التأمل في انه كيف بناها ولا معني لعلم الهيئة الا التأمل في انه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها \* والثالث انه تعالى قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيبين أن عجائب الخلق وبدائع الفطرة في اجرام السموات اكثر واعظم واكمل مما في ابدان الناس ثم انه تعالى رغب في التأمل في ابدان الناس بقوله وفي انفسكم افلا تبصرون فما كان أعلى شأننا وأعظم برهاننا منها أولى بان يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب . والرابع انه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والارض فقال ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل \* والخامس أن من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساوية كتاب في تلك الدقائق فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من يمتدح كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق والاطائف على سبيل التفصيل والتعيين ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين واعتقاد الطائفة الاولى وان بلغ أقصى الدرجات في القوة والكمال الا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون اكمل وأقوى وأوفى وأيضا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلالته اكمل اذا ثبت هذا فنقول من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث فحصل له بهذا الطريق اثبات الصانع تعالى ومبارك من زهرة المستدلين ومنهم

من ضم الي تلك الدرجة البحث عن أحوال العالم العلوي والعالم السفلي على سبيل التفصيل فيظهر له في كل نوع من أنواع هذا العالم حكمة بالغة واسرار عجيبة فيصير ذلك جاريا مجري البراهين المتواترة والدلائل المتوالية على عقله فلا يزال ينتقل كل لحظة ولحظة من برهان الى برهان آخر ومن دليل الي دليل آخر فلكثرة الدلائل وتواليها نفع عظيم في تقوية اليقين وازلة الشبهات فاذا كان الامر كذلك ظهر انه تعالي انما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والاسرار لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة ونسأل الله العون والمعصمة \* وقال تعالي في سورة النحل أيضاً ( أو لم يروا ) استفهام توبيخ والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألم ينظروا ولم يروا متوجهين ( الي ما خلق الله من شيء ) أي من كل شيء وقيل الاستفهام الانكار والمعني قدراً أو أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته تعالي وقهره فيخافوا منه وهذه الرؤية لما كانت بمعني النظر وصلت بالي لان المراد الاعتبار والاعتبار لا يكون بنفس الرؤية حتي يكون معها نظر الي الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به ( يتفياً ظلاله ) أي يرجع شيئاً فشيئاً من جانب الي جانب وتدور من موضع الي موضع حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالي فان التفيماً مطاوع الافاءة ( عن اليمين والشمال ) أي ألم يروا الاشياء التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمالها أي جانبي كل واحد منها وفي الخازن قال العلماء اذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه الي القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الي الغروب كان ظلك عن يسارك وقال قتادة والضحاك أما اليمين فاول النهار وأما الشمال فأخره قال العلامة أبوا السعود وقيل المراد باليمين والشمال يمين الفلك وهي جانبه الشرقي لان الكواكب منه



تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان  
الظلال في أول النهار تبتدي من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند  
الزوال تبتدي من الزرب واقعة على الربع الشرقي منها اه قال الامام نجر  
الدين في المراد باليمين والشمال قولان \* الاول أن يمين الفلك هو المشرق  
وشماله هو المغرب والسبب في تخصيص هذين الاسمين بهذين الجانبين أن  
أقوى جانبي الإنسان يمينه ومنه تظهر الحركة القوية فلما كانت الحركة الفلكية  
اليومية آخذة من المشرق الي المغرب لاجرم كان المشرق يمين الفلك والمغرب  
شماله \* القول الثاني أن البلدة التي يكون عرضها أقل من مقدار الميل  
فان في الصيف تحصل الشمس على يسارها وحينئذ يقع الاظلال على يمينهم  
فهذا هو المراد من انتقال الاظلال عن الايمان الي الشمال وبالعكس  
(سجداً لله) حال من الظلال والمراد من السجود الاستسلام والانقياد يقال  
سجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل  
ويقال اسجد لقرود السوء في زمانه أي اخضع له قال الشاعر  
\* ترى الاعم فيها سجداً للحوافر \* أي متواضعة فالمراد بسجود الظلال تصرفها  
على مشيئة الله سبحانه وتأتيتها لارادته تعالى في الامتداد والتقلص وغيرها غير  
ممتعة عليه فيما سخرها له أو المراد أن هذه الظلال واقعة على الارض ملتصقة  
بها على هيئة الساجد فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله  
تعالى عليها هذا اللفظ ( وهم داخرون) حال من الظلال أيضاً وقيل حال من  
الضمير المستتر في سجداً فهي حال متداخلة ومعني داخرون صاغرون اذلاء  
والداخر الصاغر الذي يفعل ما تأمره به شاء أم أبي وذلك لان جميع الاشياء  
منقادة لقدرة الله تعالى وتدييره قال العلامة أبو السعود قوله تعالى وهم داخرون  
أي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلالة والجمع باعتبار المعنى وايراد

الصيفة الخاصة بالمقلاء لما أن الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها فانها في كل يوم من ايام السنة تحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقاداً لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان أصحابها من الاجرام داخرة منقاداً لحكمه تعالي ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به أو كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقاداً لله تعالي داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما اه فال الامام نفر الدين انه تعالي دبر النيرات الناسكية والاشخاص الكوكبية بحيب يقع أضواؤها على هذا العالم السفلى على وجوه مخصوصة ثم انا نسا ند ان تلك الاضواء وتلك الظلال لا تقع في هذا العالم الاعلى وفق تدبير الله تعالي وتقديره فنشاهد ان الشمس اذا طلعت وقعت للاجسام الكثيفة اظلال ممتدة في الجانب الغربي من الارض ثم كلما ازدادت الشمس طلوعاً وارتفاعاً ازدادت تلك الاظلال تقلصاً وانتقاصاً الى الجانب الشرقي الى أن تصل الشمس الى الفلك فاذا انحدرت الى الجانب الغربي ابتدأت الاظلال بالوقوع في الجانب الشرقي وكلما ازدادت الشمس انحداراً ازدادت الاظلال تمسداً وتزايداً في الجانب الشرقي وكما أنا نشاهد هذه الحالة في اليوم الواحد فكذلك نشاهد أحوال الاظلال مختلفة في التيامن والتياسر في طول السنة بسبب اختلاف أحوال الشمس في الحركة من الجنوب الى الشمال وبالعكس فلما شاهدنا أحوال هذه الاظلال مختلفة بسبب الاختلافات اليومية الواقعة في شرق الارض وغربها وبحسب الاختلافات الواقعة في طول السنة في يمين الفلك ويساره ورأينا انها واقعة على وجه مخصوص وترتيب معين علمنا انها منقادة لقدرة

الله خاضعة لتقديره وتديره وأيضاً قد دللنا على أن الاجسام متماثلة في تمام  
 الماهية فاختصاص جرم الشمس بالقوة المعينة والخاصية المعينة لا بد وأن  
 يكون بتدبير الخالق المختار الحكيم فكان هذا أيضاً دليلاً على أن اختلاف  
 أحوال الاظلال لم يقع الا بتدبير الله تعالى وتخليقه فثبت ان المراد بهذا  
 السجود الانقياد والتواضع \* وقال تعالى في سورة النحل أيضاً ( والله جعل لكم  
 مما خلق ) من خير صنع من قبلكم ( ظلالاً ) أشياء تستظلون بها من حر  
 الشمس كالنعام والشجر والجبال وغيرها ( وجعل لكم من الجبال أكنافاً )  
 مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب واعلم أن العرب  
 كانوا أصحاب جبال وبلادهم شديدة الحر وحاجتهم الى الظل ودفع الحر شديدة  
 فلهذا السبب ذكر الله تعالى هذه المعاني في معرض النعمة العظيمة وأيضاً  
 البلاد المعتدلة والاوقات المعتدلة نادرة جداً والغالب اما غلبة الحر أو غلبة البرد  
 وعلى كل التقديرات فلا بد للانسان من مسكن يأوي اليه وكل مسكن فلا  
 يتم الا بما يحصل من الجبال من الحجارة والحديد ونحو ذلك فكان الانعام  
 بتحصيل المسكن عظيماً ولما ذكر تعالى أمر المسكن ذكر بعده أمر اللبوس  
 فقال ( وجعل لكم سراويل ) جمع سراويل وهو كل ما يلبس أي جعل لكم  
 ثياباً من القطن والكتان والصوف وغيرها ( تقيكم الحر ) خصه بالذكر اكتفاء  
 بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر أو لان وقايته هي الام عندهم لما سر  
 أنفاً ( وسراويل ) من الدروع والجواشن ( تقيكم بأسكم ) أي البأس الذي  
 يصل الي بعضكم من بعض في الحروب من الضرب والطمع ( كذلك ) أي  
 مثل ذلك الاتمام البالغ ( يتم نعمته عليكم لعالمكم تسلمون ) أي ارادة ان  
 تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا  
 حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتقادوا لامره

(فان تولوا) أي فان أعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما التي اليهم من  
البيئات والعبر (فانما عليك البلاغ المبين) أي فلا قصور من جهتك لان  
وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه ( يعرفون  
نعمت الله ) استثناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم  
معرفةهم بما عدد من نعم الله تعالى أصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من  
الله تعالى ( ثم ينكرونها ) بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو يقولهم انها بسبب  
كذا ولولا كذا لكان أو لما كان كذا أولا يستعملونها في طلب رضوان الله تعالى  
ومعنى ثم لاستبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف  
بها لا الانكار ( واكثرهم الكافرون ) أي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما  
ذكر \* وقال تعالى في سورة الاسرى ( وجعلنا الليل والنهار آيتين ) أي  
وجعلنا نرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر كما ذكره بعض المفسرين  
( فحونا آية الليل ) وهي القمر ومحوره خلقه مطموس النور في نفسه أو المراد  
منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور فيبد وفي أول الامر في  
صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يأخذ في  
الاتقاص قليلا قليلا وذلك هو المحو الي أن يعود الى المحاق أو المراد من  
محو القمر الكف الذي يظهر في وجهه ( وجعلنا آية النهار ) وهي الشمس  
( مبصرة ) أي أبدعناها مضيئة بالذات ذات أشعة تظهر بها الاشياء المظلمة  
( لتبتغوا فضلا من ربكم وتعلموا عدد السنين والحساب ) متعلق بقوله تعالى  
وجعلنا آية النهار وذكر الامام نضر الدين انه متعلق بما هو مذكور قبل وهو  
محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وبني على ذلك أن حمل محو القمر على  
الزيادة والنقصان في نوره أولي لان محو آية الليل انما يؤثر في ابتداء  
فضل الله اذا حملنا المحو على زيادة نور القمر ونقصانه لان سبب حصول هذه

الحالة يختلف باحوال نور القمر قال وأهل التجارب بينوا ان اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له نفع عظيم في مصالح هذا العالم وأحواله مثل أحوال التجربات على ما تذكره الاطباء ومثل أحوال البحار في المد والجزر وأيضاً بسبب زيادة نور القمر ونقصانه يحصل الشهور وبسبب معاودة الشهور يحصل السنون العربية المبنية على رؤية الالهة كما قال ولعلموا عدد السنين والحساب ثم ذكر الامام اننا لو حملنا المحو على الكلف الحاصل في وجه القمر فهو أيضاً برهان عظيم قاهر على صحة قول المسلمين ان مدبر العالم فاعل مختار لا علة موجبة لان جرم القمر جرم بسيط عند الفلاسفة فوجب ان يكون متشابهه الصفات فصول الاحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدل على انه ليس بسبب الطبيعة بل لاجل ان الفاعل المختار خصص بعض اجزائه بالنور القوي وبعض اجزائه بالنور الضعيف وذلك يدل على ان مدبر العالم فاعل مختار لا موجب بالذات قال وأحسن ما ذكره الفلاسفة في الاعتذار عنه انه ارتكز في وجه القمر اجسام قليلة الضوء مثل ارتكاز الكواكب في اجرام الافلاك فلما كانت تلك الاجرام أقل ضوءاً من جرم القمر لا جرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالسكاف في وجه الانسان قال وهذا لا يفيد مقصود الخصم لان جرم القمر لما كان متشابهه الاجزاء فلم ارتكزت تلك الاجرام الظلمانية في بعض اجزاء القمر دون سائر الاجزاء قال وبمثل هذا الطريق يتمسك في أحوال الكواكب وذلك لان الفلك جرم بسيط متشابهه الاجزاء فلم يكن حصول جرم الكواكب في بعض جوانبه أولى من حصوله في سائر الجوانب وذلك يدل على ان اختصاص ذلك الكوكب بذلك الموضع المعين من الفلك لاجل تخصيص الفاعل المختار وكل هذه الدلائل انما يراد من تقريرها وايرادها التنبيه على ان المؤثر في العالم فاعل بالاخيار لا موجب بالذات \* وقال

تعالى في سورة الانبياء ( وجعلنا السماء سقفاً ) للارض كالسقف للبيت (محفوظا) من الوقوع بقدرتنا القاهرة أو من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا ( وهم عن آياتها ) أي الآيات الكائنة فيها الدالة على وجود الصانع ووحدته وتنهيه قدرته وكمال علمه وحكمته مثل الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها وجهات حركاتها ومطالعها ومغاربها واتصالات بعضها ببعض وانفصالاتها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة ( معرضون ) لا يتدبرون فيها فيققون على ما هم عليه من الكفر والضلال \* وقال تعالى في سورة الفرقان ( ألم تر الى ربك ) الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعريض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه عليه الصلاة والسلام وللإيدان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته ورحمته أي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى ( كيف مد الظل ) أي كيف أنشأ ظل أي مظل كان من جبل أو بناء أو شجر ممتد أو لعل توجيه الرؤية اليه سبحانه وتعالى مع أن المراد تقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام لكيفية مد الظل للتنبيه على أن نظره عليه الصلاة والسلام غير مقصور على الايطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح أنظاره معرفة شؤون الصانع المجيد ( ولو شاء لجعله ساكناً ) أي ولو شاء سكونه لجعله ساكناً أي لا يتحرك حركة انقباض ولا انبساط وهذه جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أول الامر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وإنما المؤثر فيه النشيئة والقدرة ( ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ) عطف على مد داخل في حكمه أي جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيره على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطقت به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجمل المذكور

العاري عن التأثير من مزيد الدلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة مع ما يشاهد  
 بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبج عن السببية وسباق النظم  
 الكريم ينطق صريحا ببيان كمال قدرته تعالى القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة  
 جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة  
 التأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات (ثم قبضناه  
 الينا) عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان  
 كون القبض والمد مرتبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة  
 على الحكمة الربانية ويجوز ان تكون للتراخي الرتبي أي ازلناه بعد ما انشأناه  
 ممتدا ومحونا بمحض قدرتنا ومشيتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقفه من  
 غير ان يكون له تأثير في ذلك أصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبج عن جمع  
 المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولاً وقوله  
 تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل  
 (قبضا يسيرا) أي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة  
 مطردة مستتعبة لمصالح المخلوقات ومرافقها قال الامام نجر الدين الناس اكثر وا  
 في تأويل هذه الآية والكلام المالمخص يرجع الي وجهين. الاول ان الظل  
 هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص وبين الظلمة الخالصة وهو ما بين  
 ظهور الفجر الى طلوع الشمس وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف وأفنية  
 الجدران وهذه الحالة أطيب الاحوال لان الظلمة الخالصة يكرها الطبع وينفر  
 عنها الحس وأما الضوء الخالص وهو الكيفية الفائضة من الشمس فهي لقوتها  
 تبهر الحس البصري وتفيد السخونة القوية وهي مؤذية فاذا أطيب الاحوال  
 هو الظل ولذلك وصف الجنة به فقال وظل ممدود واذا ثبت هذا فنقول انه  
 سبحانه بين انه من النعم العظيمة ثم ان الناظر الي الجسم الملون وقت الظل

كانه لا يشاهد شيئاً سوى الجسم، وسوي اللون وتقول الظل ليس أمراً ثالثاً ولا يعرف ولا يعرف به الا انه اذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على الجسم زال ذلك الظل فلولا الشمس ووقع ضوءها على الاجرام لما عرف ان للظل وجوداً أو ماهية لان الاشياء انما تعرف باضدادها فلولا الشمس لما عرف الظل ولولا الظلمة لما عرف النور فكانه سبحانه وتعالى لما اطلع الشمس على الارض وزال الظل فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلماذا قال سبحانه ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً أي خالقنا الظل أولاً بما فيه من المنافع واللذات ثم انا هدينا العقول الي معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلاً على وجود هذه النعمة ثم قبضناه أي ازلنا الظل لا دفعة بل يسيراً يسيراً فان كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب ولما كانت الحركات المكانية لا توجد دفعة بل يسيراً يسيراً فكذا زوال الاظلال لا يكون دفعة بل يسيراً يسيراً ولان نبض الظل لو حصل دفعة لاختلت المصالح ولكن قبضها يسيراً يسيراً يفيد معه أنواع مصالح العالم والمراد بالقبض الازالة والاعدام هذا أحد التأويلين. التأويل الثاني وهو انه سبحانه وتعالى لما خلق الارض والسماء وخلق الكواكب والشمس والقمر وقع الظل على الارض ثم انه سبحانه جعل الشمس دليلاً عليه وذلك لان بحسب حركات الاضواء تتحرك الاظلال فانهما متماقيان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص الآخر وكما ان المهتدي يهتدي بالهادي والدليل ويلزمه فكذا الاظلال كانها مهتدية وملازمة للاضواء فانهذا جعل الشمس دليلاً عليها وأما قوله ثم قبضناه الينا قبضاً يسيراً فاما أن يكون المراد منه انتهاء الاظلال يسيراً الي غاية نقصانها فسمى ازالة الاظلال قبضاً لها أو يكون المراد من قبضها يسيراً قبضها عند قيام الساعة وذلك بقبض اسبابها وهي الاجرام التي تلتقي الاظلال بقوله



يسيرا هو كقوله ذلك حشر علينا يسير فهذا هو التأويل المخلص ووجه الاستدلال بالظل على وجود الصانع المحسن ان حصول الظل أمر نافع للاحياء والمقلاء واما حصول الضوء الخالص أو الظلمة الخالصة فهو ليس من باب المنافع فحصول ذلك الظل أما أن يكون من الواجبات أو من الجائزات والاول باطل والا لما تطرق التغير اليه لان الواجب لا يتغير فوجب أن يكون من الجائزات فلا بد له في وجوده بعمد العدم وعدمه بعمد الوجود من صانع قادر مدبر محسن يقدره بالوجه النافع وماذاك الامن يقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدبير الاجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن والترتيب الاكمل وما هو الا الله سبحانه وتعالى وأيضا قد اجمع المتقدمون والمتأخرون من الفلاسفة على أن جرم الشمس يفوق جرم الارض بأضعاف مضاعفة ونرى أن ضوء الشمس عظيم باهر فكان مقتضي ذلك أن لا يظهر للاجرام ظل أصلا متي ظهرت الشمس وان قيل ان الشمس اذا كانت في جهة المشرق فان ضوءها يقع على الارض منحدرافيحول الجرم المنتصب على الارض دونه فيظهر الظل ومثل ذلك يحصل اذا مالت الشمس الي جهة المغرب قلنا اذا نصبت جرما في وسط ماء منحدر فانه لا يأخذ من الماء الا مقدار جرمة فقط ثم ينطبق الماء حوله من سائر الجوانب فلم يكن هنا كذلك بأن ينطبق الضوء حول الجرم المنتصب حتي لا يظهر الظل أصلا فعامنا ان حصول الظل انما هو بقدره الله تعالى وحسن تديره واحسانه وظهر صحة قوله تعالى الم تر الي ربك كيف مد الظل الآية فان قيل الظل عبارة عن عدم الضوء عما شأنه أن يضيء فكيف استدل بالامر العدمي على ذاته وكيف عده من النعم قلنا الظل ليس عدما محضا بل هو أضواء مخلوطة بظلم والتحقيق أن الظل عبارة عن الضوء الثاني وهو أمر وجودي \* وقال تعالى

فى سورة التمرقان أيضا ( تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً ) هى البروج  
 الاثنا عشر وهى منازل السيارات المشهورة سميبت بالبروج وهى القصور  
 العالفة لانها للكواكب السيارات كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج  
 لظهوره ( وجعل فيها سراجاً ) هى الشمس ( وقرأ منيراً ) مضيئاً بالليل \* وقال  
 تعالى فى سورة العنكبوت ( ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر  
 الشمس والقمر ) لاصلاح الاقوات ومعرفة الاوقات وغير ذلك من المنافع  
 ( ليقولن الله ) اذلا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد دفيه ( فاني يؤفكون )  
 انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه أى فكيف يصرفون  
 عن الاقرار بتفرده تعالى فى الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق  
 والتسخير وانما ذكر فى السموات والارض الخلق وفى الشمس والقمر التسخير  
 لان الحكمة ليست فى مجرد خلق الشمس والقمر فقط بل الحكمة فى ايجادها  
 وتحريكهما وتسخيرهما ليحصل الليل والنهار والصيف والشتاء وليس مجرد  
 الحركة كافية لان الشمس لو كانت تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك  
 بألوف من السنين فالحكمة فى تسخيرها وتحريكها فى قدر ما يتنفس الانسان  
 آفا من الفراسخ \* وقال تعالى فى سورة الروم ( ومن آياته ) الدالة على تمام  
 القدرة والحكمة ( أن تقوم السماء والارض ) أى تبتى وتثبت ( بأمره ) أى  
 بارادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالأمر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن  
 المبادئ والاسباب واعلم أن الارض لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم  
 نزولها والسماء يتعجب من علوها وثباتها من غير عمد وهذا من اللوازم فان  
 الارض لا تخرج عن مكانها الذى هى فيه والسماء كذلك لا تخرج عن مكانها  
 الذى هى فيه فان قيل ان الاجرام الفلكية تتحرك فى مكانها كالجري ولكن اتفق  
 العقلاء على انها فى مكانها لا تخرج عن مركزها الذى تتحرك حواليه وهذه

آية ظاهرة لان كونهما في الموضع الذي هما فيه وعلى الموضع الذي هما عليه من الامور الممكنة وكونهما في غير ذلك الموضع جائز فكان يمكن أن يخرجنا منه فلما لم يخرجنا كان ذلك ترجيحاً للجائز على غيره وذلك لا يكون الا بفاعل مختار \* وقال تعالى في سورة لقمان ( ألم تروا ) تعلموا علما هو في ظهوره كالمشاهدة ( أن الله سخر لكم ) أي لاجلكم والتسخير سياقه الشيء الى الغرض المختص به قهرا ( وما في السموات ) من الكواكب السيارة مثل الشمس والقمر وغيرها بأن جعلها أسبابا لحصول منافعكم ومراداتكم فتسخير الكواكب بأن الله تعالى سيرها في البروج على الافلاك التي دبر لكل واحد منها فلما وقدر لها القرنات والاتصالات وجعل تدير العالم السفلي من الزماني مثل الشتاء والصيف والخريف والربيع ومن المكاني مثل المدن والنبات والحيوان والانسان وظهور الاحوال المختلفة بحسب سير الكواكب على الدوام لمصالح الانسان ومنافعه منها ( وما في الارض ) من الجبال والصحارى والبحار والانهار والحيوانات والنباتات والمعادن بأن مكنكم من الانتفاع بها بوسط وبغير وسط ( وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ) محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة \* وقال تعالى في سورة فاطر ( ان الله يمسك السموات والارض ) أي يحفظهما بقدرته ( أن تزولا ) أي كراهة زوالها عن أماكنها أو يمنعها أن تزولا لان الامساك يمنع أي يمنع زوالها لان ثباتها على ماها عليه على غير القياس لولا شاخ قدرته وباهر عظمته ( ولئن زالتا ) أي والله لئن زالت السموات والارض عن مقرها ومركزها بتخليتها كما يكون يوم القيامة ( ان أمسكهما ) أي ما أمسكهما ( من أحد من بعده ) من بعد أمساكه تعالى أو من بعد الزوال ( انه كان حليما غفورا ) غير معاجل بالمعقوبة التي تستوجبها جنائياتهم حيث أمسكها وكانا جديرتين بأن تهدا حسبما قال

تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن \* وقال تعالى في سورة يس  
(والشمس تجري لمستقر لها) لحد معين يتهي اليه دورها فشيبه بمستقر  
المسافر اذا قطع مسيره أو لكبد السماء فان حركتها فيه توجد أبطأ بحيث  
يظن أن لها هناك وقفة أو لمنتهي مقدر لكل يوم من المشارق والمغرب  
فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع  
وتغرب من مغرب ثم لاتعود اليها الى العام القابل أو لمنقطع جريها عند  
خراب العالم وقيل اللام لام العاقبة والمستقر مصدر ميمي أي تجري  
لاستقرار لها أي بحيث يترتب على جريها استقرارها في كل برج من البروج  
الاثني عشر على نهج مخصوص بأن تستقر في كل برج شهراً ويأخذ الليل من  
النهار في نصف الحول والنهار من الليل في النصف الآخر منه وتبلغ نهاية  
ارتفاعها في الصيف ونهاية انحطاطها في الشتاء ويترتب عليه اختلاف الفصول  
الاربعة وتهيئة أسباب معاش الارضيات وترتيبها ( ذلك ) اشارة الى جريها  
وما فيه من معني البمد مع قرب العهد بالمشار اليه للايدان ببلورتبته وبعد  
منزله أي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم الرائعة التي تحار في فهمها  
العقول المشتمل على التقدير والحساب الذي يكمل النظر عن استخراجها وتخير  
الافهام في استنباطه ( تقدير العزيز ) الغالب بقدرته على كل مقدور ( العليم )  
المحيط علمه بكل معلوم الذي يدبر الامر فيطرده على نظام عجيب ونهج بديع  
لايعتريه وهن ولا يلحقه يوما نوع خال قال الامام نضر الدين قوله ذلك يحتمل  
أن يكون اشارة الى جري الشمس أي ذلك الجري تقدير الله ويحتمل أن  
يكون اشارة الى المستقر أي المستقر لها وذلك المستقر تقدير الله والعزيز  
الغالب وهو بكمال القدرة يغلب والعليم كامل العلم أي الذي قدر على اجرائها على  
الوجه الانفع وعلم الانفع فاجراها على ذلك وبيانه من وجوه . الاول هو

أن الشمس في ستة اشهر كل يوم تمر على مسامته يوم لم تمر من امسها على  
 تلك المسامته ولو قدر الله مرورها على مسامته واحدة لاحتقرت الارض  
 التي هي مسامته لمرها وبقي المجموع مستوليا على الاماكن الاخر فقدر الله  
 لها بعدا لتجمع الرطوبات في باطن الارض والاشجار في زمان الشتاء ثم  
 قدر قربها بتدرج ليخرج النبات والثمار من الارض والشجر وينضج ويجفف  
 ثم تبعد لئلا يحترق وجه الارض وأغصان الاشجار . الثاني هو أن الله قدر  
 لها في كل يوم طلوعا وفي كل ليلة غروبا لئلا تكمل القوى والابصار بالسهر  
 والتعب ولا يخرب العالم بترك العمارة بسبب الظلمة الدائمة . الثالث جعل  
 سيرها أبطأ من سير القمر وأسرع من سير زحل لانها كاملة النور فلو كانت  
 بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا في مسامته شيء واحد فتحرقه ولو كانت  
 سريعة السير لما حصل لها لبث بقدر ما ينضج الثمار في بقعة واحدة ( والقمر  
 قدرناه ) أي قدرنا له ( منازل ) وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه منازل  
 وهي ثمانية وعشرون ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها  
 ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وليلة ان كان الشهر تسعة وعشرين  
 يوما فاذا كان في آخر منازلها وهو الذي يكون قبيل اجتماعه بالشمس دق  
 واستقوس ( حتى عاد كالمرجون ) أي كود الشاربخ المروج ( القديم ) العتيق  
 فانه اذا قدم وعتق دق وتقوس واصفر شبه به القمر في آخر الشهر في هذه  
 الوجوه الثلاثة ( لا الشمس ينبغي ) أي يصح ويتسهل ( لها أن تدرك القمر )  
 في سرعة سيره فانه أسرع سيرا حيث يقطع فلكه ويدور في منازلها الثماني  
 والعشرين في شهر واحد بخلاف الشمس فانها أبطأ منه حيث لا تقطع فلكها  
 ولا تدور في تلك المنازل المقسومة على الاثني عشر برجا الا في سنة فيكون مقام  
 الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوما فهي لا تدرك القمر في سرعة الحركة والا

لكان في شهر واحد صيف وشتاء فيختل بذلك أحكام الفصول وتكون النبات  
 وتعيش الحيوان أو المعنى أنها لا تدرك القمر في المكان بأن تنزل في منزله أو  
 في سلطانه فتطمس نوره (ولا الليل سابق النهار) أي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه  
 وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الي سلطان الشمس  
 فيكون عكسا للاول وايراد السابق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره  
 (وكل) التنوين عوض عن الاضافة ومعناه كل واحد (في فلك يسبحون)  
 يسرون بانبساط وسهولة قال الامام نجر الدين اذا كان كل بمعنى كل واحد  
 منهم والمذكور الشمس والقمر فكيف قال يسبحون قال تقول الجواب عنه  
 من وجوه . أحدها ما بينا ان قوله كل للعموم فكانه أخبر عن كل كوكب في  
 السماء سيار . ثانيها ان لفظ كل يجوز ان يوحد نظرا الي كونه لفظا موحدًا غير  
 مثني ولا مجموع ويجوز ان يجمع لكون معناه جمعا واما التثنية فلا يدل عليها  
 اللفظ ولا المعنى فلي هذا يحسن ان يقول القائل زيد وعمرو كل جاء وكل  
 جاؤا ولا يقول كل جاآ بالتثنية . وثالثها لما قال ولا الليل سابق النهار والمراد  
 ما في الليل من الكواكب قال يسبحون اه ونظيره قوله تعالى قالتا آتينا  
 طائين فانه لما قال ثم استوي الي السماء وهي ذخاز فقال لها وللارض والمراد  
 السماء وما فيها من الكواكب وما في الارض من الجبال وغيرها قال طائعين  
 وقال العلامة أبو السعود في قوله تعالى يسبحون الجمع باعتبار التكثير العارض  
 للشمس والقمر بتكثير مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في  
 الذات \* وقال تعالى في سورة الصافات (انا زينا السماء الدنيا) أي القربي  
 منكم (بزينة) عجيبة بديمة (الكواكب) بالجر بدل من زينة على ان المراد  
 بها الاسم أي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها وأوضاع بعضها  
 من بعض زينة وأي زينة قال الامام نجر الدين وفي بيان كيفية كون الكواكب

زينة للسماء وجوه . الاول ان النور والضوء أحسن الصفات واكملها ولو لم تحصل هذه الكواكب في السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس أما لما حصلت هذه الكواكب المشرقة المضيئة في سطح الفلك لا جرم بقى الضوء والنور في جرم الفلك بسبب حصول هذه الكواكب قال ابن عباس بزينة الكواكب أى بضوء الكواكب . الوجه الثانى يجوز ان يراد أشكالها المتناسبة المختلفة كشكل الجوزاء وبنات نعش والثريا وغيرها الوجه الثالث يجوز أن يكون المراد بهذه الزينة كيفية طلوعها وغروبها . الوجه الرابع ان الانسان اذا نظر في الليلة الظلماء الى سطح الفلك ورأى هذه الجواهر الزواهر مشرقة لامعة متلاًلأة على ذلك السطح الازرق فلا شك انها أحسن الاشياء واكملها في التركيب والجوهر وكل ذلك يفيد كون هذه الكواكب زينة \* وقال تعالى في سورة حم السجدة ( ثم استوى الى السماء ) أي قصد نحوها قصداً سوا لا يلوى على غيره والمراد تعلق ارادته ومشيتته من غير ارادة خلق شيء آخر يضاهى خلقها ( وهى دخان ) أى أمر ظلمانى عبر به عن مادتها أو عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هى منها أو دخان مرتفع من الماء ذكر صاحب الاثر انه كان عرش الله تعالى على الماء قبل خلق السموات والارض فحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان أما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق الله منه اليبوسة وأحدث منه الارض وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات قال الامام نجر الدين واعلم ان هذه القصة غير موجودة في القرآن فان دل عليه دليل صحيح قبل والا فلا قال وهذه القصة مذكورة في أول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التوراة وفيه انه تعالى خلق السماء من اجزاء مظلمة قال وهذا هو المعقول لان الظلمة عبارة عن عدم النور فالله سبحانه وتعالى لما خلق الاجزاء التي لا تتجزأ فقبل ان خلق

بها كيفية الضوء كانت مظلمة عديمة النور ثم لما ركبها وجعلها سموات وكواكب  
 وشمساً وقرراً وأحدث صفة الضوء فيها فينشئ صارت مستنيرة فثبت ان  
 تلك الاجزاء حين قصد الله تعالى ان يخلق منها السموات والشمس والقمر  
 كانت مظلمة فصح تسميتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا اجزاء متفرقة  
 غير متواصلة عديمة النور ( فقال لها ) ائيبى للسماء ( وللارض ) التي قدر  
 وجودها ووجود ما فيها ( ائتيا طوعاً أو كرها ) أي كونا واحداً على وجه  
 معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى وقدرته  
 بوجودها تعلقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرها من غير ان يكون هناك  
 أمر ومأمور كما في قوله تعالى كن بان شبه تأثير قدرته فيها وتأثرها عنها  
 بأمر أمر نافذ الحكيم يتوجه نحو المأمور المطيع فيمثل أمره فعبر عن الحالة  
 المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها وقوله تعالى طوعاً أو كرهاً تمييزاً لتتحم  
 تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره  
 لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال أي طائعتين أو كارهتين ( قالوا أئينا طائعتين )  
 أي منقادين وهو تمييز لكمال تأثرها بالذات عن القدرة الربانية وحسولها  
 كما أمرت به وتصوير لكون وجودها كما هما عليه جارياً على مقضي الحكمة  
 البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعتين على  
 وزن جمع العقلاء لانه جعلهما في معرض الخطاب والجواب ووصفهما بالطوع  
 والكره وهو من أوصاف العقلاء ( فقضاهن سبع سموات ) تفسير وتفصيل  
 لتكوين السماء الجميل المعبر عنه بالأمر وجوابه لانه فعل مرب على تكوينها  
 أي خلقهن من جهة أو حال كونهن سبع سموات خلقاً ابداعياً أي على طريق  
 الاختراع لا على مثال أو اتفن أمرهن بان لا يكون فيهن خلل ونقصان حسبما  
 تقتضيه الحكمة ( في يومين ) في وقت مقدر بيومين ( وأوحى ) أي التي بطريق



خفي وحكم بثبوت قوى ( في كل سماء أمرها ) أي الامر الذي دبرها ودبر منافها به على نظام محكم لا يختل وزمام مبرم لا ينحل ( وزينا السماء الدنيا بمصابيح ) من الكواكب فانها كلها تري متلا لأة عليها والالتفات الى نور العظمة لا براز مزيد العناية بالامر ( وحفظا ) أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا أو المني وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ( ذلك ) الذي ذكر بتفاصيله ( تقدير العزيز العليم ) المبالغ في القدرة والعلم \* وقال تعالى في سورة ق ( أفلم ينظروا ) أي أغفلوا أو عموا فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم ( الى السماء فوقهم ) بحيث يشاهدونها كل وقت ( كيف بنيناها ) أي رفعناها بغير عمد ( وزيناها ) بما فيها من الكواكب الكبار والصغار السيارة والثابتة المرتبة على نظام بديع ( وما لها من فروج ) من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل قال الامام نجر الدين في بعض المواضع من تفسيره انظر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فان هذا اللون أشد الالوان موافقة للبصر وتقوية له حتى ان الاطباء يأمرؤن من اصابه وجع العين بالنظر الى الزرقة فانظر كيف جعل الله اديم السماء ملونا بهذا اللون الازرق لتنتفع به الابصار الناظرة اليها فهو سبحانه وتعالى جعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير ولهذا قال تعالى افلم ينظروا الى السماء \* وقال تعالى في سورة الذاريات ( والسماء ذات الحُبك ) أي ذات الخلق المستوي أو ذات الزينة أو المتقنة البنيان أو ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار وتتوصل بها الى المعارف أو النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينا كما تزين الموشى طرائق الوشى قال الامام نجر الدين ويحتمل أن يكون المراد ماني السماء من الاشكال بسبب النجوم فان في سمت كواكبها طرق التنين والعقرب والنسر

ومنطقة الجوزاء وغير ذلك كالطرائق وعلى هذا فالمراد به السماء المزيّنة بزينة الكواكب ومثله قوله تعالى والسماء ذات البروج \* وقال تعالى في سورة الذاريات أيضا ( والسماء بنيناها بأيد ) أي بقوة ( وانا لموسعون ) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الاتفاق أو من السعة أي أوسعناها بحيث صارت الارض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة الي السماء وسعتها حلقة في قلاة قال الامام نخر الدين والبناء الواسع الفضاء عجيب فان القبة الواسعة لا يقدر عليها بناؤن لانهم يحتاجون الي اقامة آله يصح بها استدارتها ويثبت بها تماسك أجزائها الي أن يتصل بعضها ببعض \* وقال تعالى في سورة الرحمن ( الشمس والقمر بحسبان ) أي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث تنتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب قال الامام نخر الدين ذكر تعالى من المعلومات نعمتين ظاهرتين هما أظهر أنواع النعم السماوية وهما الشمس والقمر ولو لا الشمس لما زالت الظلمة ولو لا القمر لقات كثير من النعم الظاهرة بخلاف غيرها من الكواكب فان نعمها لا تظهر لكل أحد مثل ما تظهر نعمتهما ثم بين كمال نفعهما في حركتهما بحساب لا يتغير ولو كانت الشمس ثابتة في موضع لما انتفع بها أحد ولو كان سيرها غير معلوم للخلق لما انتفعوا بالزراعات في أوقاتها وبناء الامر على الفصول ثم قال وانما اختار الشمس والقمر للذكر لان حركتهما بحسبان تدل على فاعل مختار سخرهما على وجه مخصوص ولو اجتمع من في العالم من الطبيعيين والفلاسفة وغيرهم وتواطئوا ان يثبتوا حركتهما على الممر المعين على الصوب للمعين والمقدار المعلوم في البطء والسرعة لما بلغ أحد مراده الي ان يرجع الي الحق ويقول حركهما الله تعالى كما أراد \* وقال تعالى في سورة الواقعة ( فلا أقسم ) أي فاقسم ولا مزيدة للتأكيد وتقوية الكلام أو

فلانا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه ( بمواقع النجوم ) أى بمساقطها وهى مغاربهها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو بمنازلتها ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته مالا يحيط به البيان قال الامام نضر الدين ذكر تعالى الدليل السماوى فى معرض القسم وقال مواقع النجوم فانها أيضاً دليل الاختيار لان كون كل واحد من النجوم فى موضع من السماء دون غيره من المواضع مع استواء المواضع فى الحقيقة دليل فاعل مختار اهـ وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وهذا المعنى هو الذى أردناه فى خطبة الكتاب ( وانه ) أى القسم بمواقع النجوم ( لقسم لو تعلمون عظيم ) لما فى المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة وقوله لو تعلمون اعتراض بين الصفة والموصوف لتأكيد تعظيم المحلوف به وجواب لو محذوف والفعل منزل منزلة اللازم أى لو كنتم من ذوى العلم لملمتم عظم هذا القسم وجواب القسم قوله تعالى ( انه لقرآن كريم ) أى كثير النفع لاشتغاله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد وقيل الكريم الذى من شأنه أن يمطي الكثير وسمى القرآن كريماً لانه يفيد الدلائل التى تؤدى الى الحق فى الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب أصل علمه منه \* وقال تعالى فى سورة الملك ( الذى خلق سبع سموات طباقاً ) أى مطابقة بعضها فوق بعض بحيث يكون كل جزء منها مطابقاً لجزء من الاخرى من غير مماسة وكل سماء بانسبة الى ما فوقها كحلقة فى فلاة فسبحان

للطيف الخبير ولا شك ان من تفكر في هذه العظمة مع مالطف بنا فيما هيا  
 فيها لنا من المنافع آثره سبحانه بالحب وافرده عن كل ضد فانقطع باللجوء اليه  
 ولم يعول الا عليه في كل دفع ونفع وسارع في مرضاته ومحابه في كل  
 خفض ورفع ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله  
 والذين آمنوا أشد حبا لله ( ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ) تبين وعدم  
 تناسب بل هي مستقيمة مستوية ووضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن  
 تعظيما لخلقهن وتنبها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن  
 وانه بياهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب رحمة وتفضلا  
 واشعارا بان في ابداعها نعمة جليلة او المراد ماترى في خلق الرحمن لهن ولغيرهن  
 من تفاوت فان المخلوقات باسرها ليس فيها تناقض أو زيادة غير محتاج اليها  
 أو نقصان محتاج اليه بل الكل مستقيمة مستوية دالة على ان خالقها عالم قال  
 القفال ويحتمل ان يكون المعنى ماترى في خلق الرحمن من تفاوت في الدلالة  
 على حكمة صانها وان لم يخلقها عبثا قال الامام نجر الدين اعلم ان وجه الاستدلال  
 بهذا على كمال علم الله تعالى هو ان الحس دل على ان هذه السموات السبع  
 اجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فانه  
 لا بد وان يكون عالما فدلت هذه الدلالة على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله  
 ماترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة ( فارجع  
 البصر ) أي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة أخرى متأملا فيها لتعاين  
 ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها ( هل ترى من  
 فطور ) جمع فطر وهو الشق أى من فروج وصدوع قال الامام نجر الدين  
 انه تعالى أكد بيان كونها محكمة متقنة وقال فارجع البصر هل ترى من  
 فطور والمعنى انه لما قال ماترى في خلق الرحمن من تفاوت كانه قال بعمده

ولعلك لا تحكم بمقتضي ذلك بالبصر الواحد ولا تعتمد عليه بسبب انه قد يقع الغلط في النظرة الواحدة ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة أخرى حتي تتيقن انه ليس في خلق الرحمن من تفاوت ألبتة ( ثم ارجع البصر كرتين ) أي رجعتين أخريين وأعد النظر مرة بعد مرة في طلب الخلل والعيب والمراد بالثنائية التكرير والتكثير أي بعد رجعة وان كثرت ( ينقلب ) يرجع ( اليك البصر خاسئاً ) أي بعيداً محروماً من اصابة ما التسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والذلة قال الامام نجر الدين أمره بتكرير البصر في خلق الرحمن على سبيل التصفح والتتبع هل يجد فيه عيباً أو خللاً يعني انك اذا كررت نظرك لم يرجع اليك بصرك بما طلبته من وجدان الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسئاً أي مبعداً ( وهو حسير ) أي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة ( ولقد زينا السماء الدنيا ) بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابرز كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد زينا أقرب السموات الى الارض ( بمصاييح ) أي بكواكب متقدمة عظيمة جدا تفوق الحصر ظاهرة زاهرة مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثواب ذكر العلامة أبو السعود انها تراءى كان كلها مركوزة في سماء الدنيا مع ان بعضها في سائر السموات قال وما ذلك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار في فهمه الافكار وطراز فائق تهيم في دركه الانظار قال الامام نجر الدين اعلم ان هذا دليل على كونه تعالى قادراً عالماً وذلك لان هذه الكواكب نظرا الى انها محدثة ومختصة بمقدار خاص وموضع معين وسير معين تدل على ان صانعها قادر ونظرا الى كونها محكمة متقنة موافقة لمصالح العباد من كونها زينة لاهل الدنيا وسبباً لانتفاعهم بها تدل على ان صانعها

عالم ونظيره هذه الآية في سورة والصفات انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب  
ثم قال واعلم ان الناس يزنون مساجدهم ودورهم بالمصابيح فقيل ولقد زينا  
سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بمصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة ثم  
قال اعلم ان ظاهر هذه الآية لا يدل على ان هذه الكواكب مركوزة في  
السماء الدنيا وذلك لان السموات اذا كانت شفافة فالكواكب سواء كانت في  
السماء الدنيا او كانت في سموات أخرى فوقها فهي لا بد وان تظهر في السماء الدنيا  
وتلوح منها فعلي التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح قال واعلم ان  
اصحاب الهيئة اتفقوا على ان هذه الثوابت مركوزة في الفلك الثامن الذي هو  
فوق اكر السيارات واحتجوا عليه بان بعض هذه الثوابت في الفلك الثامن فيجب  
ان تكون كلها هناك وانما قلنا ان بعضها في الفلك الثامن وذلك لان الثوابت  
التي تكون قريبة من المنطقة تنكسف بهذه السيارات فوجب أن تكون  
الثوابت المنكسفة فوق السيارات الكاسفة وانما قلنا ان هذه الثوابت  
لما كانت في الفلك الثامن وجب أن تكون كلها هناك لانها بأسرها متحركة  
حركة واحدة بطيئة في كل مائة سنة درجة واحدة فلا بد وأن تكون مركوزة  
في كرة واحدة قال واعلم أن هذا الاستدلال ضعيف فانه لا يلزم من كون  
بعض الثوابت فوق السيارات كون كلها هناك لانه لا يبعد وجود كرة  
تحت كرة القمر وتكون في البطء مساوية لكرة الثوابت وتكون الكواكب  
المركوزة فيما يقارن القطبين مركوزة في هذه الكرة السفلية اذ لا يبعد  
وجود كرتين مختلفتين بالصغر والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركة وعلى  
هذا التقدير لا يمتنع أن تكون هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا \* وقال  
تعالى في سورة نوح (الم تروا) تفكروا وتعتبروا وتنظروا ( كيف خلق الله  
سبع سموات ) هن في غاية العلو والسعة والاحكام والزينة ( طباقا ) أي

متطابقة بعضها فوق بعض ( وجعل القمر فيهن نورا ) أي منورا لوجه الارض في ظلمة الليل قال العلامة أبو السعود ونسبته الى الكل مع أنه في السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل أو لان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيري الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة منها كأنه في الكل وقال الامام نخر الدين هذا كما يقال السلطان في العراق ليس المراد أن ذاته حاصله في جميع أحياء العراق بل أن ذاته في حين من جملة أحياء العراق فكذا ههنا اه قال بعض المفسرين وبدأ بالقمر لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج في كل شهر وغيوبته في بعض الليالي ثم ظهوره وذلك أعجب في القدرة ( وجعل الشمس سراجا ) يبصر أهل الدنيا في ضوءها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور في الجملة وأيضا فالسراج له ضوء والضوء أقوى من النور فجعل الاضعف للقمر والاقوي للشمس ومنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا \* وقال تعالى في سورة النبأ ( وبنينا فوقكم سبعا شدادا ) أي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وقال الامام نخر الدين البناء يكون أبعد عن الآفة والانحلال من السقف فذكر قوله وبنينا اشارة الي أنه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الانحلال كالبناء فالغرض من اختيار هذا اللفظ هذه الدققة ( وجعلنا ) أي أنشأنا وأبدعنا ( سراجا ) هو الشمس ( وهاجا ) أي وقادا متلاثا \* وقال تعالى ( والنازعات ) المراد به النجوم كما ذكره بعض المفسرين أي والنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب من قولهم نزع الخيل اذا جرت فمعى والنازعات أي والجاريات على السير المقدر

والحد المعين (غرقاً) في النزع بأن تقطع الفلك حتي تنحط في أقصى الغرب أو معنى غرقها غيبوتتها في أنق الغرب (والناشطات نشطاً) أي تنشط من برج الى برج أي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الي بلد ويرجع حاصل هذا الكلام كما قاله الامام نجر الدين الى أن قوله والنازعات غرقاً اشارة الى حركتها اليومية والناشطات نشطاً اشارة الي انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بهافي أفلاكها الخاصة قال والعجب أن حركتها اليومية قسرية وحركتها من برج الى برج ليست قسرية بل ملائمة لدواتها فلا جرم عبر عن الاول بالنزع وعن الثاني بالنشط قال فتأمل أيها المسكين في هذه الاسرار (والسابعات سبجاً) أي تسبح في افلك لان مرورها في الجوكالسبح (فالسابعات سبجاً) أي يسبق بعضها بعضاً في السير بسبب كون بعضها أسرع حركة من البعض أو بسبب رجوعها أو استقامتها (فالمديرات أصراً) أي تدبر أصراً نيط بها فان بسبب سيرها وحركتها يتميز بعض الاوقات عن بعض فتظهر أوقات المباديات وتختلف الفصول الاربية ويختلف بسبب اختلافها أحوال الناس في المعاش فلا جرم أضيفت اليها هذه التدبيرات وهنا وجه آخر ذكره الامام نجر الدين وهو انه لما ثبت بالدليل أن كل جسم محاث ثبت ان الكواكب محدثة مفتقرة الى موجد يوجدها والى صانع يخلقها ثم بعد هذا نقول ان الله سبحانه وتعالى أجرى عادته بأن جعل كل واحد من أحوالها المخصوصة سبباً لحادث مخصص في هذا العالم كما جعل الاكل سبباً للشبع والشرب سبباً للرى ومماسة النار سبباً للاحتراق قال فالقول بهذا المذهب لا يضر الاسلام البتة بوجه من الوجوه والله أعلم بحقيقة الحال \* وقال تعالى في سورة النازعات أيضاً (أءتم أشد خلقاً أم السماء) أي أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدائها



( بناها ) بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء ( رفع سمكها ) بيان للبناء أي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الي سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسينة عام ( فسواها ) أي فعلها مستوية ملساء ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض أو قسمها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العظيم من قولهم سوى أمر فلان اذا أصلحه ( وأغطش ليها ) أي أظلمه أي جعله مظلماً ( وأخرج ضحاها ) أي أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتتان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن أحداثه بالاعراج فان اضافة النور بعد الظلمة أتم في الانعام وأكمل في الاحسان \* وقال تعالى في سورة التكوير ( فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ) هي ما عدا النيرين من النجوم السيارة تخنس بضم النون اي ترجع في مجراها وواءها بينما تري النجم في آخر البرج اذ كرت راجعاً الي أوله وتكنس بكسر النون تدخل في كناسها أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر قال الامام فخر الدين اختلفوا في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه فالقول الاظهر ان ذلك اشارة الي رجوع الكواكب السيارة واستقامتها فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ولا شك ان هذه حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة باهرة . القول الثاني ماروي عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة أنها هي جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن غيوبتها عن البصر في النهار وكنوسها عبارة عن ظهورها ليصرق في الليل أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها والقول الثالث أن السيارة تختلف مطالعها ومغاربها علي ما قال تعالى رب المشارق والمغارب ولا شك أن فيها

مطلعاً واحد ومغرباً واحداً أقرب المطالع والمغرب الى سمت رؤسنا ثم  
 انها تأخذ في التباعد من ذلك المطالع الي سائر المطالع طول السنة ثم ترجع اليه  
 فغنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطالع وكنوسها عبارة عن عودها اليه  
 فكل من هذه الثلاثة محتمل والله أعلم بمراده \* وقال تعالى ( والسما ذات  
 البروج ) يعني البروج الاثني عشر ذات المنازل والمحال والطرق التي تسير فيها  
 الكواكب سميت بروجاً لظهورها وأصل التركيب للظهور يعني ان أصل  
 معنى البرج الامر الظاهر من التبرج ثم صار حقيقة في العرف للقصر العالي  
 لظهوره ويقال لما ارتفع من سور المدينة برج أيضاً شبت بروج السماء  
 بالقصور التي تنزل فيها الاكابر والاشراف لانها منازل السيارات ويكون  
 فيها الثوابت وانما حسن القسم بها لما فيها من عجب حكمة الباري جل جلاله  
 وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف قال  
 الامام نجر الدين اعلم ان في البروج ثلاثة أقوال . احدها انها هي البروج  
 وهي مشهورة وانما حسن القسم بها لما فيها من عجب الحكمة وذلك لان  
 سير الشمس فيها ولا شك أن مصالح العالم السفلي مرتبطة بسير الشمس فيدل ذلك  
 على أن لها صنماً حكيماً ( وثانيها ) أن البروج هي منازل القمر وانما حسن  
 القسم بها لما في سير القمر وحركته من الآثار العجيبة ( وثالثها ) أن البروج  
 عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها \* وقال تعالى ( والسما والطارق )  
 الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقاً وطروقاً اذا جاء ليلاً والمراد ههنا  
 الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس أو كوكب معهود وقيل الطارق  
 النجم الذي يقال له كوكب الصبح ( وما أدراك ما الطارق ) تنويه بشأنه اثر  
 تفخيمه بالاقسام به وتنبه على أن رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا  
 بد من تلقيها من الخلاق العليم أي وأي شيء أعلمك ما الطارق ( النجم

الثاقب ) استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيل ما هو فقيل النجم  
المضى في الغاية كأنه يثقب الظلام بصوته فينفذ فيه قال الامام نجر الدين اعلم  
أنه تعالى اكثر في كتابه ذكر السماء والشمس والقمر لان أحوالها في اشكالها  
وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة وأما الطارق فهو كل ما أتاك ليلا سواء كان  
كوكبا أو غيره فلما قال تعالى والطارق كان هذا مما لا يستغنى سامعه عن معرفة  
المراد منه فقال وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب أي هو طارق عظيم الشأن  
رفيع القدر وهو النجم الذي يهتدي به في ظلمات البر والبحر ويوقف به على  
أوقات الامطار وانما وصف النجم بكونه ثاقبا لوجوه . أحدها أنه يثقب  
الظلام بصوته فينفذ فيه . وثانيها أنه يطلع من المشرق نافذا في الهواء كالشيء  
الذي يثقب الشيء . وثالثها قال القراء النجم الثاقب هو النجم المرتفع على  
النجوم والرب تقول للطائر اذا لحق ببطن السماء ارتفعا قد ثقب . ورابعها  
أنه يثقب بنوره سمك سبع سموات والمراد به على هذا زحل اهب بعض تصرف  
واختصار قال العلامة ابو السعود وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك  
بينه وبين غيره ثم الاشارة الى أن ذلك الوصف غير كاشف عن كنه أمره وأن  
ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلائق ثم في تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه  
واجلال محله مالا يخفى \* وقال تعالى في سورة العاشية ( أفلا ينظرون الى الابل  
كيف خلقت والى السماء كيف رفعت ) رفعا بيمد المدى بلا عماد ولا مساك  
بحيث لا يناله الفهم والادراك على مالها من السعة والكبر والثقل والاحكام  
وما فيها من الكواكب والغرائب والمعجائب وقال تعالى ( والشمس وضحاها )  
أي ضوئها اذا أشرقت وارتفعت وقام سلطانها ( والقمر اذا تلاها ) أي تبعها  
قال الامام نجر الدين واعلم أنه تعالى ينبه عباده دائما بأن يذكر في القسم أنواع  
مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتأمل المكلف فيها ويشكر عليها لان

الذي يقسم الله تعالى به يحصل له وقع في القلب فتكون الدواعي الى تأمله أقوى ثم قال واعلم انه تعالى انما أقسم بالشمس وضحاها لكثرة ما تعلق بها من المصالح فان أهل العالم كانوا كالاموات في الليل فلما ظهر أثر الصبح في المشرق صار ذلك كالصور الذي ينفخ قوة الحياة فصارت الاموات احياء ولا تزال تلك الحياة في الازدياد والقوة والتكامل ويكون غاية كمالها وقت الضحوة فهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها وفي كون القمر تاليا وجوه . أحدها بقاء القمر طالما عند غروب الشمس وذلك انما يكون في النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس فان القمر يتبعها في الاضاءة . وثانيها ان الشمس اذا غربت فالقمر يتبعها ليلة الهلال في الغروب . وثالثها ان القمر ياخذ الضوء من الشمس يقال فلان يتبع فلانا في كذا أي يأخذ منه . ورابعها ان القمر حين استدار وكل فكانه يتلو الشمس في الضياء والنور يعني اذا كل ضوءه فصار كالمقام الشمس في الانارة وذلك في الليالي البيض . وخامسها انه يتلوها في كبر الجرم بحسب الحس وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته ولقد ظهر في علم النجوم ان بينهما من المناسبة ما ليس بين الشمس وبين غيرها (والنهار اذا جلاها) أي جلا الشمس واظهرها وكشفها فانها تنجلي الى انبساط النهار تمام الانجلاء (والليل اذا يغشاها) أي الشمس فيغطي ضوءها فتغيب ونظم الآفاق قال القفال وهذه الاقسام الأربعة ليست الا بالشمس في الحقيقة لكن بحسب أوصاف أربعة أولها الضوء الحاصل منها عند ارتفاع النهار وذلك هو الوقت الذي يكمل فيه انتشار الحيوان واضطراب الناس للمعاش ومنها تلو القمر لها وأخذها الضوء عنها ومنها تكامل طلوعها وبروزها بمجيء النهار ومنها وجود خلاف ذلك بمجيء الليل ومن تأمل قليلا في عظمة الشمس ثم شاهد بعين عقله فيها أثر المصنوعية

والخلوقية من المقدار المتأهي والتركيب من الاجزاء انتقل منه الى عظمة خالقها فسبحانه ما أعظم شأنه ( والسما والارض وما بناها ) أي ومن بناها على غاية العظم ونهاية العلو وإشار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها ( والارض وما طحاها ) أي بسطها من كل جانب ( ونفس وما سواها ) تقدم معناه قال الامام نخر الدين ان أعظم المحسوسات هو الشمس فذكرها سبحانه مع أوصافها الاربعة الدالة على عظمتها ثم ذكر ذاته المقدسة بعد ذلك ووصفها بصفات ثلاثة وهي تدبيره سبحانه السماء والارض والمركبات ونبه على المركبات بذكر أشرفها وهي النفس والنفس من هذا الترتيب هو ان يتوافق العقل والحس على عظمة جرم الشمس ثم يحتاج العقل الساذج بالشمس بل بجميع السماويات والارضيات والمركبات على أثبات مبدئ لها فينشد يحظى العقل ها هنا باذراك جلال الله وعظمته على ما يليق به والحس لا ينزعه فيه فكان ذلك كالطريق الى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات الى يفاع عالم الربوبية وبيداء كبرياء الصمدية فسبحان من عظمت حكمته وكلمات كلمته

المطلب الرابع في كيفية النظر والتفكر في الليل والنهار

للاستدلال على الصانع المختار الحكيم

قال الله تعالى في سورة الانعام ( فالق الاصباح ) أي هو فالق الاصباح والاصباح مصدر سمي به الصبح وفي معنى فالق الاصباح وجوه . الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الاصباح وذلك لان الافق من الجانب الشمالي والغربي والجنوبي مملوء من الظلمة والنور انما ظهر في الجانب الشرقي فكان الافق كان بحرا مملواً من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بان أجرى

جدولا من النور فيه والحاصل ان المراد فالق ظلمة الاصبح بنور الاصبح  
ولما كان المراد معلوما حسن الحذف . والثاني انه تعالي كما يشق بحر  
الظلمة عن نور الصبح فكذلك يشق نور الصبح عن بياض النهار فقوله فالق  
الاصبح أي فالق الاصبح بياض النهار . والثالث ان ظهور النور في الصبح  
انما كان لاجل ان الله تعالي فالق تلك الظلمة فقوله فالق الاصبح أي مظهر  
الاصباح الا انه لما كان مقتضى لذلك الاظهار هو ذلك الفلق لا جرم ذكر  
اسم السبب والمراد منه المسبب . الرابع قال بعضهم الفالق هو الخالق فكان المعنى  
خالق الاصبح قال الامام نجرالدين وتقرير الحجة من وجوه . الاول ان نقول  
الصبح صبحان . فالصبح الاول هو الصبح المستطيل كذب السرحان ثم تمعبه  
ظلمة خالصة ثم يطلع بعده الصبح المستطير في جميع الافق فنقول أما الصبح الاول  
وهو المستطيل الذي يحصل عقيمة ظلمة خالصة فهو من اقوي الدلائل على  
قدرة الله وحكمته وذلك لانا نقول ان ذلك النور اما ان يقال انه حصل من  
تأثير قرص الشمس أو ليس الامر كذلك والاول باطل وذلك لان مركز  
الشمس اذا وصل الي دائرة نصف الليل فاهل الموضع الذي تكون تلك  
الدائرة أفقاهم قد طلعت الشمس من مشرقهم وفي ذلك الموضع أيضا نصف  
كرة الارض وذلك يقتضى انه حصل الضوء في الربع الشرقى من بلدنا وذلك  
الضوء يكون منتشرا مستطيرا في جميع اجزاء الجو ويجب ان يكون ذلك  
الضوء في كل ساعة الي القوة والزيادة والكمال والصبح الاول لو كان اثر  
قرص الشمس لامتنع كونه خطأ مستطيل بل يجب ان يكون مستطيرا في جميع  
الافق منتشرا فيه بالكلية وان يكون متزايدا متكاملا بحسب كل حين ولحظة  
ولما لم يكن الامر كذلك بل علمنا ان الصبح الاول يبدو كالخيط الابيض  
الصاعد حتي تشبهه العرب بذب السرحان ثم انه يحصل عقيمة ظلمة خالصة ثم

يحصل الصبح المستطير ليس من تأثير قرص الشمس ولا من جنس نوره فوجب أن يكون ذلك حاصلًا بتخليق الله تعالى ابتداءً تنبيهاً على أن الانوار ليس لها وجود الا بتخليقه وأن الظلمات لا ثبات لها الا بتقديره كما قال في أول هذه السورة وجعل الظلمات والنور ( والوجه الثاني ) في تقرير هذا الدليل انما لمنا بحثنا وتأملنا علمنا أن الشمس والقمر وسائر الكواكب لا تقع أضواؤها الا على الجرم المقابل لها فأما الذي لا يكون مقابلاً لها فيمتنع وقوع أضواؤها عليه وهذه مقدمة متفق عليها بين الفلاسفة وبين الرياضيين الباحثين عن أحوال الضوء المضيء \* اذا عرفت هذا نقول الشمس عند طلوع الصبح غير مرتفعة من الافق فلا يكون جرم الشمس مقابلاً لجزء من أجزاء وجه الارض فيمتنع وقوع ضوء الشمس على وجه الارض واذا كان كذلك امتنع أن يكون ضوء الصبح من تأثير قرص الشمس فوجب أن يكون ذلك بتخليق الفاعل المختار فان قيل لم لا يجوز أن يقال الشمس حين كونها تحت الارض توجب اضاءة ذلك الهواء المقابل له ثم ذلك الهواء مقابل للهواء الواقف فوق الارض فيصير ضوء الهواء الواقف تحت سبب الضوء الهواء الواقف فوق ثم لا يزال يسرى ذلك الضوء من هواء الى هواء آخر ملاصق له حتى يصل الى الهواء المحيط بنا والجواب أن هذا باطل من وجهين (الاول) أن الهواء لا يقبل النور واللون في ذاته وجوهه وهذا متفق عليه بين الفلاسفة فيمتنع أن ينمكس النور منه الى غيره واذا كان كذلك امتنع أن يصير ضوءه سبباً لضوء هواء آخر مقابل له \* فان قيل لم لا يجوز أن يقال انه حصل في الافق أجزاء كثيفة من الأبخرة والادخنة وهي لكثافتها تقبل النور عن قرص الشمس ثم ان بحصول الضوء فيها يصير سبباً لحصول الضوء في الهواء المقابل لها فنقول لو كان السبب ما ذكرتم لكان كلما كانت الأبخرة والادخنة في الافق أكثر وجب أن يكون ضوء الصباح أقوى لكنه ليس

الامر كذلك بل على العكس منه فبطل هذا العذر ( الوجه الثاني ) ان الدائرة  
 التي هي دائرة الافق لنا فهي بعينها دائرة نصف النهار لقوم آخرين فاذا كان  
 كذلك فالدائرة التي هي نصف النهار في بلدنا وجب ككونها دائرة الافق  
 لأولئك الاقوام \* اذا ثبت هذا فنقول اذا وصل مركز الشمس الى دائرة  
 نصف الليل وتجاوز عنها فالشمس قد طلعت على أولئك الاقوام واستتار نصف  
 العالم هناك والربع من الفلك الذي هو ربع شرقي لاهل بلدنا فهو بعينه ربع  
 غربى بالنسبة الي تلك البلدة واذا كان كذلك فالشمس اذا تجاوز مركزها عن  
 دائرة نصف الليل قد صار جرمها محاذيا لهواء الربع الشرقي لاهل بلدنا فلو كان  
 الهواء يقبل كيفية النور من الشمس لوجب أن يحصل الضوء والنور في هواء  
 الربع الشرقي من بلدنا بعد نصف الليل وأن يصير هواء الربع الشرقي في غاية  
 الاضاءة والانارة بعد نصف الليل وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا أن الهواء  
 لا يقبل كيفية النور في ذاته واذا بطل هذا بطل العذر الذي ذكر قبل فقد  
 ذكرنا برهائين دقيقتين عقليتين محضتين على أن خافي الضوء والظلمة هو الله  
 تعالى لا قرص الشمس ( والوجه الثالث ) هب أن نور الصباح الحاصل في  
 العالم انما كان بسبب الشمس الا أنا قد دللنا على أن حصول خاصية الضوء  
 لقرص الشمس يجب أن يكون بتخليق الفاعل المختار \* واذا ثبت هذا كان  
 فائق الاصباح في الحقيقة هو الله تعالى ( الوجه الرابع ) في تقرير هذا المطلوب  
 أن الظلمة شبيهة بالعدم والنور محض الوجود فاذا أظلم الليل حصل الخوف  
 والفرع في قلب الكلى فاستولي النوم عليهم وصاروا كالأموات وسكنت  
 المتحركات ورفعت التأثيرات والتفصيلات فاذا وصل نور الصباح الي هذا  
 العالم فكانه نفخ في الصور مادة الحياة وقوة الادراك فضعف النوم وابتدأت  
 اليقظة بالظهور وكلما كان نور الصباح أقوى وأكمل كان ظهور قوة الحس والحركة



في الحيوان أكل ومعلوم أن أعظم نعم الله على الخلق هو قوة الحياة والحس والحركة  
 ولما كان النور سبباً لحصول هذه الاحوال كان تأثير قدرة الله تعالى في تخليق  
 النور من أعظم أقسام النعم وأجل أنواع الفضل والكرم اذا عرفت هذا فكونه  
 سبحانه فالقاً للاصباح في كونه دليلاً على كمال قدرة الله تعالى أجل أقسام الدلائل  
 وفي كونه فضلاً ورحمة واحساناً من الله تعالى على الخلق أجل الاقسام وأشرف  
 الانواع ولنختم هذه الدلائل بخاتمة شريفة فنقول انه تعالى فالق ظلمة العدم  
 بصباح التكوين والايجاد وفالق ظلمة الجمادية بصباح الحياة والعقل والرشاد  
 وفالق ظلمة الجهالة بصباح العقل والادراك وفالق ظلمات العالم الجسماني  
 بتخليص النفس القدسية الي صبحه عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم  
 الممكنات بصباح نور الاستغراق في معرفة مدبر المحدثات والمبدعات (وجعل  
 الليل سكناً) أي يسكن فيه الخلق راحة لهم اذ كل ذي روح يسكن فيه لان  
 الانسان قد أتعب نفسه في النهار فيحتاج الي زمان يستريح فيه ويسكن فيه عن  
 الحركة وذلك هو الليل \* وقال تعالى في سورة الاعراف (ينشى الليل النهار)  
 أي يغطيه به ولم يذكّر العكس للعلم به أو لان اللفظ يحتلها بجعل الليل مفعولاً  
 أولاً والنهار مفعولاً ثانياً أو بالعكس وعبارة الخطيب ينشى أي يغطي الليل  
 بظلمته النهار أي والنهار الليل بضوءه فيعتدل فعلها على ما قدره الله تعالى لهما  
 في السير من الزيادة والنقصان وذلك من الحكم النافعة في الدين والدنيا الظاهرة  
 لسكل ذي عقل أنها تديره تعالى بفعله واختياره وقهره واقتداره (يطلبه حثيثاً)  
 أي يمتبه سريعاً من غير أن يفصل بينها بشيء فصار كأنه يطلبه على منهاج  
 واحد \* وقال تعالى في سورة ابراهيم وسورة النحل (وسخر لكم الليل والنهار)  
 يتعاقبان فيكم بالضياء والظلمة والزيادة والنقصان وجعلها خلفاً لمنامكم ومعاشكم  
 وذلك من نعم الله تعالى على عباده حيث جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار

ليبتغوا من فضله \* وقال تعالى في سورة الاسرى ( وجعلنا الليل والنهار آيتين )  
أى جعلنا الملون بهياتها وتعاقبها واختلافها في الطول والقصر على وتيرة عجيبة  
يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على أن لهما صانعا حكما قادرا عليهما قال الامام  
نجر الدين والمعنى أنه تعالى جعلها دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا أما  
في الدين فلان كل واحد منها مضاد للآخر مغاير له مع كونها متعاقبين على  
الدوام من أقوى الدلائل على أنها خير موجودين لذاتها بل لا بد لهما من فاعل  
يدبرهما ويقدرهما بالمقادير الخاصة وأما في الدنيا فلان مصالح الدنيا لا تتم الا  
بالليل والنهار فلولا الليل لما حصل السكون والراحة ولولا النهار لما حصل  
الكسب والتصرف في وجوه المعاش ( فحونا آية الليل ) الاضافة بيانه كما  
في اضافة العدد الي المعدود أي محونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق  
مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها محووة الضوء مطموسته لكن لا بعد أن  
لم يكن كذلك بل ابداعها علي ذلك كما في قولهم سبحانه من صغر البعوض وكبر  
القيل أي انشأها كذلك والفاء تفسيرية لان المحو المذكور وما عطف عليه  
ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجمل  
ومتماته ( وجعلنا آية النهار ) أي الآية التي هي النهار على نحو مامر ( مبصرة )  
أي مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفها لها بحال أهلها ( لتبتغوا ) متعلق بقوله  
تعالى وجعلنا آية النهار أي وجعلناها مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار  
( فضلا من ربكم ) أي رزقا لا يتسني ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق  
بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن التبليغ  
الي الكمال شيئا ففتيا دلالة على ان ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى  
الطلب وانما الاعطاء الي الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا  
بحكم الربوبية ( وانعلموا ) متعلق بكلا الفعلين أعني محو آية الليل وجعل آية

النهار مبصرة لا باحدها فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور  
 أي لتعلموا بتفاوت الجديدين (عدد السنين) التي يتعلق بها غرض علي  
 لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية (الحساب) أي الحساب المتعلق بما في  
 ضمنهما من الاوقات أي الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما يبط به شيء  
 من المصالح المذكورة ولو لا ذلك لما علم أحد حساب الاوقات ولعلت  
 أمور كثيرة \* وقال تعالى في سورة المؤمنون (وله اختلاف الليل والنهار)  
 أي هو المؤثر في تعاقبهما في الذهاب والحجىء يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب  
 احدهما جاء الآخر خلفه أي بعده أو له التصرف فيهما بالسواد والبياض  
 والزيادة والنقصان أي انه تارة يزداد طول النهار على طول الليل وبالعكس  
 وبمقدار ما يزداد في النهار الصيفي يزداد في الليل الشتوي قال ابن الخطيب  
 وعندي فيه وجه ثالث وهو ان الليل والنهار كما يختلفان بالطول والقصر في  
 الازمنة فهما يختلفان في الامكنة فان من يقول ان الارض ككرة فكل ساعة  
 عينتها فتلك الساعة في موضع من الارض صبح وفي موضع آخر ظهر وفي  
 آخر عصر وفي آخر مغرب وفي آخر عشاء وهلم جرا هذا اذا اعتبرنا البلاد  
 المختلفة في الطول أما البلاد المختلفة في العرض فكل بلد يكون عرضه للشمال  
 اكثر كانت أيامه الصيفية أقصر وإيامه الشتوية بالضا. من ذلك فهذه الاحوال  
 المختلفة في الايام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلاد وعروضها أمر  
 عجيب اه وقال الامام نجر الدين ان اختلاف أحوال الليل والنهار يدل على  
 الصانع المختار من وجوه . الاول ان اختلاف احوال الليل والنهار مرتبط  
 بحركات الشمس وهي من الآيات العظام . الثاني ما يحصل بسبب طول الايام  
 تارة وطول الليالي أخرى من اختلاف الفصول وهي الربيع والصيف  
 والخريف والشتاء وهو من الآيات العظام . الثالث ان انتظام احوال العباد

بسبب طلب الكسب والمعيشة في الايام وطلب النوم والراحة في الليالي من الآيات العظام . الرابع ان كون الليل والنهار متعاونين على تحصيل مصالح الخلق مع ما بينهما من التضاد والتنافي من الآيات العظام فان مقتضى التضاد بين الشئيين ان يتفاسدا لا أن يتعاونوا على تحصيل المصالح . الخامس ان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت الخلائق أولا عند النفخة الاولى في الصور ويقظتهم عند طلوع الشمس شبيهة بعود الحياة اليهم عند النفخة الثانية وهذا أيضا من الآيات العظام المنبهة على الآيات العظام السادس ان انشقاق ظلمة الليل بظهور الصبح المستطيل فيه من الآيات العظام كأنه جدول ماء صاف يسيل في بحر كدر بحيث لا يتكدر الصافي بالكدر ولا الكدر بالصافي وهو المراد بقوله تعالى فالف الاصباح وجعل الليل سكنا . السابع ان تقدير الليل والنهار بالمقدار المعتدل الموافق للمصالح من الآيات العظام فان في الموضع الذي يكون القطب على سمت الراس تكون السنة ستة أشهر فيها نهارا وستة اشهر ليلا وهناك لا يتم النضج ولا يصلح لمسكن الحيوان ولا يتهيأ فيه شيء من أسباب المعيشة ( أفلا تعقلون ) أي ألا تفكرون فلا نعقلون بالنظر والتأمل صنمه تعالى فتعتهرون وتعلمون ان الكل منا وان قدرتنا تم جميع الممكنات \* وقال تعالى في سورة النور ( يقرب الله الليل والنهار ) بالمعاقبة بينهما وبنقص أحدهما وزيادة الآخر وبغير أحوالهما بالحر والبرد وغيرها مما يقع فيهما من الامور كالنمو والتنويع والبس وغير ذلك مما يبهر العقول ( ان في ذلك لعلبة ) أي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحده وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته ونزاهه عما لا يليق بشأنه العلي ( لاولي الابصار ) لكل من له بصر أو لاصحاب العقول والبصائر \* وقال تعالى في سورة الفرقان ( وهو الذي جعل لكم الليل لباساً ) أي هو الذي جعل لكم

الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ( والنوم سباتاً ) أى وجعل  
 النوم الذي يقع فى الليل غالباً قطعاً عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة راحة  
 للابدان وعبر عنه بالسبات الذى هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة فى انقطاع  
 أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى  
 الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها وهذا مع دلالاته على قدرة  
 الخالق فيه اظهار لنعمة على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من  
 الناس من فوائد دينية وديوية ( وجعل النهار نشورا ) اما من الانتشار أى  
 وجعل النهار ذا نشور أى انتشار ينتشر فيه الناس لطلب المعاش وابتغاء الرزق  
 كما قال لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله أو من نشر الميت اذا عاد حياً أى وجعل  
 النهار زمان بعث من ذلك السبات والنوم كبعث الموتي على حذف المضاف  
 واقامة المضاف اليه مقامه أو نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى  
 أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يابى كما  
 تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشور\* وقال تعالى فى سورة الفرقان أيضاً ( وهو الذى  
 جعل الليل والنهار خلقة ) من الخلاف أى جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه  
 فجعل هذا اسود وهذا أبيض أو ذوى خلقة يخلف أحدهما صاحبه اذا ذهب هذا  
 جاء هذا فهما يتعاقبان فى الضياء والظلمة والزيادة والنقصان أو يخلف كل  
 منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى أن يعمل فيه ( لمن أراد ان يذكر )  
 أى يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر فى بدائع صنعه فيعلم انه لا بد لها من  
 صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد وقال الامام نجر الدين المعنى لينظر  
 الناظر فى اختلافهما فيعلم انه لا بد فى انتقالهما من حال الى حال من ناقل  
 ومغير ( أو أراد شكورا ) أى شكر نعمة ربه عليه من الاتيان بكل منهما  
 بعد الآخر لاجتناء ثمراته ولو جعل أحدهما دائماً لقات مصالح الآخر ولحصلت

السامة والملل منه والتواني في الامور المقدرة بالاوقات وقرر العزم الذي  
انما يشيره لتداركها دخول وقت آخر وغير ذلك من الامور التي أحكمها  
العلي الكبير \* وقال تعالى في سورة القصص ( قل أرأيتم ) أى أخبروني  
( ان جعل الله عليكم الليل ) أى الذي به اعتدال حر النهار ( سرمدا ) دائما  
لانهاية معه ( الى يوم القيامة ) فتكونون في ظلمة دائمة ( من اله غير الله )  
صفة لاله ( يأتيكم بضياء ) صفة أخرى له عليها يدور أمر التبكيك والالزام  
( أفلا تسمعون ) هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تدعنوا له  
وتعملوا بموجبه ( قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار ) أى الذي توازن حرارته  
رطوبة الليل فتم بها صلاح النبات وغير ذلك من جميع المقدورات  
( سرمدا الى يوم القيامة ) بحيث تكون الشمس مقابلة لوجه الارض دائما  
( من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ) استراحة من متاعب الاشغال  
( أفلا تبصرون ) هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفي على من له بصيرتة الامام  
نجر الدين اعلم أنه تعالى لما بين من قبل استحقاقه للحمد على وجه الاجمال  
بقوله \* وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه  
ترجعون فصل عقيب ذلك بعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه  
فقال لرسوله قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة فنبه على  
أن الوجه في كون الليل والنهار نعمتان يتعاقبان على الزمان لان المرء في الدنيا  
وفي حال التكليف مدفوع الي أن يتعب لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم له ذلك  
لولا ضوء النهار ولأجله يحصل الاجتماع فيمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك  
لا يتم لولا الراحة والسكون بالليل فلا بد منها والحالة هذه فبين تعالى أنه  
لا قادر على ذلك الا الله تعالى وانما قال أفلا تسمعون أفلا تبصرون لأن الغرض  
من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا نزلوا

منزلة من لا يسمع ولا يبصر قال الكلبي قوله أفلا تسمعون معناه أفلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله أفلا تبصرون معناه أفلا تبصرون ما أتم عليه من الخطأ والضلال اه قال في روح البيان اعلم أن فلك الشمس يدور في بعض المواضع رحويا لا غروب للشمس فيه فهارة سرمدية فلا يعيش الحيوان فيه ولا ينبت النبات فيه من قوة حرارة الشمس فيه وكذلك يدور فلك الشمس في بعض المواضع بعكس هذا تحت الأرض ليس للشمس فيه طلوع فليله سرمدية فلا يعيش الحيوان أيضا فيه ولا ينبت النبات ثمة فلهذا المعنى قال تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أي يتعاقبان بالظلمة والضياء (لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) في النهار بأنواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) أي وليكون حالكم حال من يرجي منه الشكر لما يتجدد لكم من تقابهما من النعم المتوالية التي لا يحصرها إلا خالقها قال امام الحرمين وغيره من الفضلاء لا خلاف أن الشمس تغرب عند قوم وتطلع عند قوم آخرين والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين وعند خط الاستواء يكون الليل والنهار مستويا أبدا وذكروا أن بلغار مدينة الصقالبة ضاربة في الشمال شديدة البرد والتجرب يطلع في تلك الديار قبل غيبوبة الشفق في أقصر ليالي السنة وقال تعالى في سورة لقمان (الم تر) أي ألم تعلم علما قويا جاريا مجري الرؤية (أن الله) بقدرته وحكمته (يولج) أي يدخل (الليل في النهار) فيغيب فيه بحيث لا يرى شيء منه فاذا النهار قد عم الأرض كلها أسرع من الملح (ويولج النهار) أي يدخله كذلك (في الليل) فيخفي حتى لا يبقى له أثر فاذا الليل قد طبق الآفاق مشارقتها ومغاربها في مثل الطرف فيميز سبحانه كلا منهما من الآخر بعد اضمحلاله أو المعنى انه يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه إليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا قال الامام نخر الدين ايلاج الليل في النهار يحتمل وجهين (أحدهما)

ان يقال المراد ايلاج الليل في زمان النهار أي يجعل في الزمان الذي كان فيه النهار الليل وذلك لان الليل اذا كان مثلاً اثنتي عشرة ساعة ثم يطول يصير الليل موجوداً في زمان كان فيه النهار \* وثانيهما ان يقال المراد ايلاج زمان الليل في النهار اي يجعل زمان الليل في النهار وذلك لان الليل اذا كان كما ذكرنا اثنتي عشرة ساعة اذا قصر صار زمان الليل موجوداً في النهار ( وسخر الشمس والقمر ) عطف على يولج والاختلاف بينهما في الصيغة لما ان ايلاج أحد الملوين في الآخر متجدد في كل حين وأما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشار الى ذلك حيث قال ( كل يجري ) أي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جرياً مستمراً ( الى أجل مسمى ) قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة ( وان الله بما تعلمون خبير ) عطف على ان الله يولج داخل معه في حيز الرؤية فان من شاهد مثل الصنع الرائق والتدبير الفائق لا يكاد يفصل عن كون صانعه عز وجل محيطاً بجلائل أعماله ودقائقها قال بعضهم ألم تر ان الله يولج الليل في النهار فيصير الظلام ضياءً ولما كان هذا الفعل في غاية الاعجاب وكان لكثرة تكراره قد صار مألوفاً فغفل عما فيه من الدلالة على تمام القدرة ذكره الله تعالى بقوله يولج الليل في النهار ثم نبه عليه باعادة الفعل فقال تعالى ويولج النهار في الليل فيصير ما كان ضياءً ظلاماً وتارة يكون التوالج بقصر هذا وطول هذا فدل كل ذلك على انه تعالى فاعل بالاختيار \* وقال تعالى في سورة يس ( وآية لهم ) على القدرة العظيمة ( الليل ) المظلم كانه قيل كيف كان آية فقال ( نسلخ منه النهار ) المضيء أي نزيل النهار ونكشفه عن مكان الليل بحيث لا يبقى معه شيء من ضوءه في الهواء مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال ( فاذا هم مظلومون )



أي داخلون في الظلام واذا للمفاجأة أي ليس بيدهم بعد ذلك أمر ولا بد لهم من الدخول فيه واعلم ان الليل وان كان في نفسه آية الا ان الشيء يتبين بضده منافعه ومحاسنه ولهذا لم يجعل الليل وحده آية في موضع من المواضع الا وذكر آية النهار معها \* وقال تعالى في سورة الزمر (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أي يغطي كل واحد منهما الاخر أو يدخله عليه فيزيد فكانه يلقه عليه لف اللباس على اللابس ويغيبه فيه كما يغيب المنفوف باللفافة أو يجعله كإرا عليه كرورا متتابعا تتابع الكوار العمامة قال الراغب كور الشيء ادارته وضم بعضه الى بعض ككور العمامة وقوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل اشارة الى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادها اه ومنتهي الزيادة اربع عشرة ساعة ومنتهي النقصان عشر ساعات قال الامام نجر الدين ان الدلائل التي ذكرها الله تعالى في اثبات الهيئه أما ان تكون فلكية او عنصرية اما الفلكية فاقسام احدها خلق السموات والارض والثاني اختلاف أحوال الليل والنهار وهو المراد ههنا من قوله يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وذلك لان النور والظلمة عسكران مهيان عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذاك تارة وذاك هذا أخري وذلك يدل على ان كل واحد منهما مغلوب مقهور ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله سبحانه وتعالى \* وقال تعالى في سورة غافر (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي ليزول عنكم التعب والكلال فيه بما تقاسون في نهاركم من تعب التردد في المعاش ولتستريحوا فان الليل لكونه باردا رطبا تضعف فيه القوي التي تصدر عنها الحركة ولكونه مظلما يؤدي الى سكون الحواس فتستريح النفس والقوي والحواس بقلة أشغالها وأعمالها كما قال ابن هيصم جعل الليل مناسبا للسكون من الحركة لان الحركة على وجهين

حركة طبع من الحرارة وحركة اختيار من الخواطر المتتابعة بسبب الخواص نخلق  
 الليل مظلماً لتسند الخواص وبارداً لتسكن الحركة ولذا قيل للبرد القر لاجل أن  
 البرد يقتضى السكون والحر الحركة ( والنهار مبصراً ) أى مضياً تبصرون فيه  
 مطالب أرزاقكم ومكاسبكم تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو  
 بهما ليدهم على تفردده باستحقاق العبادة وفي الكلام احتباك أي شبهه حيث  
 حذف من كل ما أثبتته أو مقابله في الآخر فالتقدير الله الذي جعل لكم الليل  
 مظلماً لتسكنوا فيه والنهار مبصراً لتتحركوا فيه لتحصيل معاشكم فحذف مظلماً  
 لدلالة مبصراً عليه وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه وهذا أفصح كلام  
 قال الامام فخر الدين وأعلم أنا بينا أن دلائل وجود الله وقدرته اما فلكية واما  
 عنصرية أما الفلكيات فأقسام كثيرة . أحدها تعاقب الليل والنهار وكان أكثر  
 مصالح العالم مربوطاً بهما فذكرهما الله تعالى في هذا المقام وبين أن الحكمة في خلق  
 الليل والنهار حصول الراحة بسبب النوم والسكون والحكمة في خلق النهار  
 ابصار الاشياء ليحصل مكنة التصرف فيها على الوجه الانفع أما ان السكون  
 في وقت النوم سبب للراحة فبيانه من وجهين . الاول ان الحركات توجب  
 الاعياء من حيث ان الحركة توجب السخونة والجفاف وذلك يوجب التألم  
 والثاني ان الاحساس بالاشياء إنما يمكن بإيصال الارواح الجسمانية الى ظاهر  
 الحس ثم ان تلك الارواح تتحلل بسبب كثرة الحركات فتضعف الخواص  
 والاحساسات واذا نام الانسان عادت الارواح الحساسة في باطن البدن  
 وركزت وقويت وتخلصت عن الاعياء وأيضاً الليل بارد رطب فبرودته  
 ورطوبة يتداركان ما حصل في النهار من الحر والجفاف بسبب ما حدث  
 من كثرة الحركات فهذه هي المنافع المعلومة من قوله تعالى الله الذي جعل  
 لكم الليل لتسكنوا فيه وأما قوله والنهار مبصراً فاعلم ان الانسان مدني

بالطبع ومعناه أنه ما لم يحصل مدنية تامة لم تنتظم مهمات الانسان في ما كوله  
 ومشروبه وملبسه ومنكحه وتلك المهمات لا تحصل الا باعمال كثيرة وتلك  
 الاعمال تصرفات في امور وهذه التصرفات لا تكمل الا بالضوء والنور حتى  
 يميز الانسان بسبب ذلك النور بين ما يوافقه وبين ما لا يوافقه فهذا هو الحكمة  
 في قوله والنهار مبصرا ( ان الله لذو فضل ) عظيم ( على الناس ) لا يوازيه  
 فضل ولا يدانيه بخلق الليل والنهار وما يحتويان عليه من المنافع ( ولكن أكثر  
 الناس لا يشكرون ) لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم قال الامام نجر الدين  
 واعلم أنه تعالى لما ذكر ما في الليل والنهار من المصالح والحكم البالغة قال ان  
 الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون والمراد أن فضل الله  
 على الخلق كثير جدا ولكنهم لا يشكرونه واعلم أن ترك الشكر لوجوه . احدها  
 أن يعتقد الرجل أن هذه النعم ليست من الله تعالى مثل أن يعتقد أن هذه  
 الافلاك واجبة الوجود لدوائها وواجبة الدوران لدوائها فيعتقد هذا الرجل  
 لا يعتقد أن هذه النعم من الله تعالى . وثانيها أن الرجل وان اعتقد أن كل هذا  
 العالم حصل بتخليق الله تعالى وتكوينه الا أن هذه النعم العظيمة أعني نعمة تعاقب  
 الليل والنهار لما دامت واستمرت نسيها الانسان فاذا ابتلى الانسان بفقدان  
 شيء منها عرف قدرها مثل أن يتفق لبعض الناس والعياذ بالله أن يجبس في آبار  
 عميقة مظلمة مدة مديدة فيعتقد يعرف ذلك الانسان قدر نعمة الهواء الصافي وقدر  
 نعمة الضوء . وثالثها أن الرجل وان كان عارفا بمواقع هذه النعم الا أنه يكون  
 حريصا على الدنيا محبا للمال والجاه فاذا فاته المال الكثير والجاه العريض وقع في  
 كفران هذه النعم العظيمة ولما كان أكثر الخلق هالكين في أحد هذه الودية  
 الثلاثة التي ذكرناها لا جرم قال تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون

ونظيره قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقول ابليس ولا تجداً أكثرهم  
شاكرين \* وقال تعالى في سورة النبأ ( وجعلنا الليل لباساً ) يستركم بظلامه  
كما يستركم اللباس ووجه النعمة في ذلك هو أن ظلمة الليل تستر الانسان عن  
العيون اذا أراد هرباً من عدو أو اخفاء مالا يجب الانسان اطلاع غيره عليه  
قال المتنبي

وكم لظلام الليل عندي من يد \* تخبر أن الماوية تكذب

وأيضاً فكما أن الانسان بسبب اللباس يزداد جماله وتتكامل قوته ويندفع عنه  
أذي الحر والبرد فكذا اللباس الليل بسبب ما يحصل فيه من النوم يزيد في  
جمال الانسان وفي طراوة أعضائه وفي تكامل قواه الحسية والحركية ويندفع  
عنه أذي التعب الجسماني وأذي الافكار الموحشة النفسانية فان المريض اذا  
نام بالليل وجد الخفة العظيمة ( وجعلنا النهار معاشاً ) أي وقت حياة تبعثون  
فيه من نومكم وتقبلون فيه في حوائجكم ومكاسبكم لتحصيل ما تعيشون به \*  
وقال تعالى ( والليل اذا ينشى ) بظلمته كل ما بين السماء والارض ( والنهار  
اذا تجلي ) ظهر بزوال ظلمة الليل قال الامام نجر الدين واعلم أنه تعالى أقسم  
بالليل الذي يأوي فيه كل حيوان الي مأواه ويسكن الخلق عن الاضطراب  
ويفشاهم النوم الذي جعله الله راحة لأبدانهم وغذاء لأرواحهم ثم أقسم بالنهار  
اذا تجلي لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء  
الوقت الذي يتحرك فيه الناس لمعاشهم وتتحرك الطير من أوكارها والهوام من  
مكائنها فلو كان الدهر كله ليلاً لتمذر المعاش ولو كان كله نهاراً لبطلت الراحة لكن  
المصلحة كانت في تماقبيها على ما قال وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه وسخر  
لهم الليل والنهار

﴿ المبحث السادس في النظر في الرياح \* وفيه مطلبان ﴾

« المطلب الاول في كيفية النظر في الرياح »

( للاستدلال على الصانع المختار الحكيم )

اعلم أن الريح هو الهواء المتحرك وكون هذا الهواء متحركاً ليس لذاته ولولا لوازم ذاته والا لدامت الحركة بدوام ذاته فلا بد وأن يكون لتحريك الفاعل المختار وهو الله جل جلاله قال المتقدمون من الفلاسفة ههنا سبب آخر وهو أنه يرتفع من الارض أجزاء أرضية دخانية لطيفة تسخنها الشمس تسخيناً قوياً شديداً فبسبب تلك السخونة الشديدة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى القرب من الفلك كان الهواء الملتصق بمقعر الفلك متحركاً على استدارة الفلك بالحركة المستديرة التي حصلت للطبقة الموجودة هناك وهي كرة النار فيمنع هذه الدخنة من الصعود بل يردّها عن سمت حركتها فينبعث ترجع تلك الدخنة وتتفرق في الجوانب وبسبب ذلك التفرق تحصل الرياح ثم كلما كانت تلك الدخنة أكثر وكان صعودها أقوى كان رجوعها أيضاً أشدّ حركة فكانت الرياح أقوى وأشدّ هذا حاصل ما ذكره ويدل على بطلانه وجوه. الاول ان صعود الاجزاء الارضية انما يكون لاجل شدة تسخينها ولا شك ان ذلك التسخن عرض لان الارض باردة يابسطة بالطبع فاذا كانت تلك الاجزاء الارضية متصعدة جداً كانت سريعة الانفعال فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة من الهواء امتنع بقاء الحرارة فيها بل تبرد جداً واذا بردت امتنع بلوغها في الصعود الى الطبقة الهوائية المتحركة بحركة الفلك فبطل ما ذكره \* الوجه الثاني هب ان تلك الاجزاء الدخانية صعدت الى الطبقة الهوائية المتحركة بحركة الفلك لكنها لما رجعت وجب ان تنزل

على الاستقامة لانها اجزاء أرضية والارض جسم ثقيل والثقل انما يتحرك بالاستقامة والرياح ليست كذلك فانها تتحرك يمينا ويسرة \* الوجه الثالث هو ان حركة تلك الاجزاء الى أسفل طبيعية وحركتها يمينا ويسرة عرضية والطبيعية أقوى من العرضية واذا لم تكن أقوى فلا أقل من المساواة ثم ان الريح عند حركتها يمينا ويسرة ربما تقوى على قلع الاشجار ورمي الجدار بل الجبال فتلك الاجزاء الدخانية عندما تحركت حركتها الطبيعية التي لها وهي الحركة الى السفلى وجب ان تهدم السقف ولكننا نرى الغبار الكثير ينزل من الهواء ويسقط على السقف ولا يحس بنزوله فضلا عن ان يهدمه فيعلم من ذلك ان حركة الاجزاء الارضية النازلة لا تكون حركة قاهرة فثبت فساد ما ذكره \* الوجه الرابع انه لو كان الامر على ما قالوه من ان الرياح من اجزاء أرضية دخانية لكانت الرياح كلما كانت أشد وجب أن يكون حصول جزء الدخانية الغبارية الارضية أكثر لكنه ليس الامر كذلك لان الرياح قد يعظم عصفها وهبوبها في وجه البحر مع أن الحس يشهد أنه ليس في ذلك الهواء المتحرك العاصف شيء من التغير والكدره فبطل ما قالوه وبطل بهذا الوجه العلة التي ذكروها في حركة الرياح قال المنجمون ان قوي الكواكب هي التي تحرك الرياح وتوجب هبوبها وذلك أيضا بعيد لان الموجب لهبوب الرياح ان كان طبيعة الكوكب وجب دوام الرياح بدوام تلك الطبيعة وان كان الموجب هو طبيعة الكوكب بشرط حصوله في البرج المعين والدرجة المعينة وجب أن يتحرك هواء كل العالم وليس كذلك فبطل ما قالوه قال المتأخرون من الفلاسفة ان الكون مكون من طبقات رقيقة موضوعة فوق بعضها تتناقص كثافتها كلما بعدت عن سطح البحر وكلما كانت الموازنة بينهما اكمل كان الجوّ أسكن وأهدأ فاذا انقطعت الموازنة باي سبب كان ككثير درجة

الحرارة ومد البحر وجزره والتيارات المائية القوية والقذفات البركانية  
 ورطوبة الهواء وكهربائيته وحركة دوران الارض اضطربت تلك الكثرة  
 وتحركت وابتدأ الاستشعار بالريح وهذا أيضاً بعيد لان بعض تلك الاسباب  
 خاصة ببعض المواضع فكيف توجب تحرك الهواء في موضع آخر وبعضها  
 أمور ملازمة فكان يجب دوام حصول الرياح بدوامها وأيضاً انا نشاهد في  
 اختلاف الرياح ما يتعذر تعليقه بما ذكره المتقدمون منهم والمتأخرون وذلك  
 الاختلاف من وجوه (الاول) ان هذه الرياح تارة تسكن وتارة تتحرك ثم  
 ان حركات الرياح تارة تكون جامعة لاجزاء السحاب موجبة لانضمام بعضها  
 الي البعض حتي ينعقد السحاب الغليظ وتارة تكون مفرقة لاجزاء السحاب  
 مبطله لها (الثاني) أن هذه الرياح تارة تكون مقوية للزروع والاشجار  
 مكملة لما فيها من النشو والنماء وهي الرياح اللواقح وتارة تكون مبطله لها  
 كما في الخريف (الثالث) أن هذه الرياح تارة تكون طيبة لذيدة موافقة  
 للابدان حتي تصح بها القوي وتصفو البشرة وتذكو الحواس وتهيج الشهوة  
 وتارة تكون مهلكة اما بسبب ما فيها من الحر الشديد كما في السموم أو بسبب  
 ما فيها من البرد الشديد كما في الرياح المهلكة جداً (الرابع) أن هذه الرياح  
 تارة تكون شرقية وتارة تكون غربية وشمالية وجنوبية وهذا صبط ذكره  
 بعض الناس والا فالرياح تهب من كل جانب من جوانب العالم ولا ضبط لها  
 ولا اختصاص لجانب من جوانب العالم اذ ان الرياح تهب من كل جانب  
 والحر والبارد (السادس) أن هذه الرياح تكون ضعيفة وتارة تكون  
 قوية شديدة حتى يصير الهواء اللطيف الذي يشقه البعوض بحيث يقلع الشجر  
 وهو ليس بذاته كذلك (السادس) أنها تارة تكون بطيئة في سيرها وتارة تكون  
 سريعة فيه من سبعة أميال في الساعة الى اربعة وعشرين وقد تبلغ سرعة من

الساعة مائة وعشرين ميلاً أو أكثر لكنه نادر (الثامن) أن منها الأعصار والزوبعة وهي الريح التي تدور على نفسها شبه منارة أو شبه تين يدور في الجو وربما صادفت سفينة فترفعها وتدورها وتغرقها (التاسع) أن هذه الرياح تارة تصعد من قعر الأرض فان من ركب البحر يشاهد أن البحر يحصل غليان شديد فيه بسبب تولد الرياح من قعر البحر إلى ما فوق البحر وحينئذ يعظم هبوب الرياح في وجه البحر وتارة ينزل الريح من جهة فوق وهذا أيضاً عجيب (العاشر) أن منها رياح الرحمة وريح العذاب روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والجنوب من ريح الجنة وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لانت أكثر الأرض وعن ابن عمر رضي الله عنهما الرياح ثمان أربع منها عذاب وهو القاصف والمصاف والصرصر والعقيم وأربعة منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وسيأتي ذكر هذه الرياح أما العواصف فهي رياح تحصل فجأة وربما تابعت عواصف كثيرة يتلو بعضها بعضاً ورياحها تكون منحرفة وتخرج على هيئة زواج سريعة الزوال والقواصف لا تختلف عن العواصف إلا في شدتها وعنفوانها وتصحبها غالباً عواصف تنقذ من السماء جهة الأرض ومن الأرض جهة السماء وكل ذلك بانضمامه لتلك الريح الشديدة يساعد على اتلاف ما يجده في ممره فيسقط الأبنية المتينة ويقلع الأشجار الكبيرة من أصولها ويتلف جواهر الحصاد ويشتت بقاياها إلى محال بعيدة وتتسلط تلك الريح على اتلاف جزائر أنقيلة وجزائر فرانس وبورون وسيام والصين واليابونيا وغيرها من بلاد تلك الجهات والاتلاف الذي يحصل من هذا الحادث في البحر والمراسي والموارد مهول أيضاً وبالجملة فالظاهر أن ما لا تتلقه المياه والنيران والجنود العديدة من الأقاليم إلا في مرات عديدة تتلقه هذه القواصف



المهولة في اجتيازها عليها بعض ساعات قليلة ( الحادي عشر ) أن منها الرياح الدائمة أعني التي فعلها دائم واتجاهها يكاد أن لا يختلف أصلا ومنها الرياح التي ليس لها اتجاه مخصوص ولا مدة معينة بل كثيرا ما تشاهد منها جملة مجتمعة مع بعضها في آن واحد ومنها الرياح الدورية أي التي تبقى ستة أشهر وهي التي تهب من مهب واحد في السماء جملة شهور متتابعة من السنة ثم في الأشهر الباقية تهب من محل مقابل للاول وهذه الرياح تسميها البحر يون رياح الموسم وتتسلطن في البحر الهندي وأجوانه وتبتديء من رأس بون اسبرنس الي سواحل الصين واليابونيا في الاشهر الاربعة أو الخمسة الاول من السنة تهب هذه الرياح باتجاه دائم لا يتغير وفي الاسابيع الستة التالية أو الشهرين التاليين لذلك تتغير وتختلط بأزمنة سكون وعواصف وقواصف وفي الشهر السابع والثامن والتاسع والعاشر تجبه اتجاهها دائما ومنتظما غير أنه مقابل للاول وفي الحادي عشر والثاني عشر يحصل في جو المناطق المعتدلة تقلبات غير قارة ولا تتجاوز الدرجة العاشرة أو الثانية عشر من العرض الجنوبي أما وراء ذلك فتتسلطن الرياح المنتظمة والرياح المختلفة في تلك البحور الواسعة بدون أن يعوقها في طريقها هائق والجو في شتاء البلاد التي توجد فيها تلك الرياح الموسمية يتحرك ويضطرب بالرياح الشمالية الشرقية في شمال خط الاستواء وبالرياح الشمالية الغربية في جنوبه بخلاف مدة الصيف فانما يستشعر فيها بالرياح الجنوبية الغربية فقط اذا عرفت هذا فنقول اختلاف الرياح في الصفات المذكورة مع ان طبيعة الهواء واحدة وتأثيرات الطبائع والانجم والافلاك واحدة يدل على ان هذه الاحوال لم تحصل الا بتدبير الفاعل المختار سبحانه وتعالى قال الامام حجة الاسلام ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقر السماء ومحدب الارض لا يدرك بحس

اللمس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر  
 الواحد والطيور حلقة في جو السماء ومستبقة سباحة فيه باجنحتها كما تسبح  
 حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وامواجه عند هبوب الرياح كما  
 تضطرب أمواج البحر فاذا حرك الله الهواء وجعله ريحا هابة فان شاء جعله  
 نشرا بين بدي رحمنه كما قال سبحانه وارسلنا الرياح لواقح فيصل بحركته  
 روح الهواء الي الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء وان شاء جعله عذا باعلى  
 المعصاة من خليفته كما قال تعالى فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات  
 لنذيقهم عذاب الحزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ثم انظر الى  
 لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضغط في الماء فالزق المنفوخ يتحمل عليه  
 الرجل القوى الخمسة في الماء فيصجز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء  
 فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوته مع لطافته اه قال صاحب  
 الفلسفة الحقبة جرب علماء الفلاسفة لمعرفة مقدار قوة الهواء تجارب عديدة  
 أهمها انهم صنعوا كرة مجوفة مقسومة الى قسمين يمكن انطباقهما على بعضهما  
 بشرط ان نقط الانطباق لا تسمح للهواء بالنفوذ ثم فرغوا الهواء من هذه  
 الكرة بواسطة حنفية في احدهما فوجدوا انه من الصعب جدا فصل نصفها  
 من بعضهما فهنا يدل دلالة واضحة على قوة الضغط الجوي الذي انتهى فرصة  
 فراغها فضغط عليها من الخارج بدون معارض له من الداخل فارانا عزيمته  
 ومن الغريب ان هذا الهواء ضغطه مجول بطريقة مناسبة جدا لانه يحصل  
 فيه التنفس بالراحة المائية ولو اختلفت صفة من الصفات التي وضعه الله تعالى  
 عليها لأموج النظام بدليل انه لو صعد الانسان بالبالون الي حيث تخف كتلة  
 الهواء ويقال ضغطها يرى ان النفس يحصل بمجهود عظيم أو غير عظيم بنسبة  
 الارتفاع الذي يكون فيه وليست هذه فقط فأدلة الضغط الجوي بل له فوائد

كثيرة منها حفظ السوائل الموجودة في الاجسام الحية من ان تندفق وتفرزا الى الخارج بدليل ان بعض علماء الفلاسفة صعد بالبالون الى نقطة عالية جدا فل فيها الضغط الجوي فشهد هو والذين معه ان الدم سال من جميع مسام أجسامهم وصعب عليهم ان تنفس حتى كادوا ان يموتوا لو لا اسراعهم بالهبوط الى الارض ومن هنا يعلم أن وجود الضغط بالكيفية التي هو عليها الآن بلا أدنى تغير ضروري لحفظ الحياة ولولا الضغط الجوي لما بقي على سطح الكرة الارضية ولا قطرة ماء وما كان يجد الانسان منها الارواسبها المختلفة وبيان ذلك ان جل السوائل على سطح الكرة الارضية قابلة لتطاير أعني للاستحالة الى بخار على كل درجات الحرارة المختلفة وقد رأى علماء الفلاسفة ان تبخر السوائل ببضع على الدرجة المعتادة سببه الوحيد الضغط الجوى فلو لم يكن هذا لتصاعد الماء وكل السوائل في الحال الى بخار مع أن تلك السوائل متباينة في هذه الخاصية ويمكن مشاهدة هذه الحالة بالتجارب البسيطة فلو وضعنا في اناء صغير قليلا من السائل المسمى بالاتير نجد أنه يتطاير بعد زمن قليل ويحصل ذلك لو أبدلناه بالكؤل انما يكون تطايره أبطأ من السائل السابق وتنتج النتيجة عينها لو أبدلنا هذين السائلين بالماء غير أن تطايره يستلزم زمنا أكثر مما لزم لكل منهما فلو ملأنا زيرا ووضعناه معرضا للهواء فلا يتضى عليه زمن كبير حتى نراه فارغا وموجودا في قاعه جملة رواسب مختلفة هي المواد التي كانت ذائبة في مائه وذلك لان الماء بتبخره يترك جميع رواسبه ثم انا لو صعدنا الى جبل عال يقل فيه الضغط الجوى لشاهدنا أن الماء بدل أن ينلى كمادته على درجة مائة ينلى على درجة أقل من ذلك بكثير ولو وضعنا قليلا من الماء في اناء ووضعنا هذا بمشموه داخل ناقوس فوق الآلة المفرغة وأحدثنا في هذا الناقوس الفراغ الممكن لشاهدنا أن الماء تبخر كله في الدرجة المعتادة ومن هنا يظهر أنه لولا

الضغط الجوي الضاغط على أسطح البحار المتسعة لما بقي فيها ولاقطرة ماء ولما أمكنت الحياة . أليس هذا بغريب لمن أراد أن يتدبر . وليس التدبر بعيد اليس الارتباط بين الضغط الجوي وبين تلك الامور المنسوبة له هو مجرد آثار عادي لا يمكن للمقل أن يعلم كلفيته ولان يدرك حقيقة هذا الضغط ولا أن يكابر في أن السبب الحقيقي لجميع ما ذكر هو قدرة الله تعالى وارادته التي اقتضت ربط الاسباب بمسبباتها ظاهراً فقط

﴿ المطلب الثاني في كيفية التفكير في الرياح ﴾

﴿ على مقتضى ما تدل عليه الآيات القرآنية ﴾

قال الله تعالى في سورة الفرقان ( وهو الذي أرسل الرياح بشرايين يدي رحمته ) أي مبشرات وقرية نشر بضم النون والشين أي منشرة أي مفرقة من كل جانب وقال الفراء النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشر السحاب وأصله من النشر وهو الرائحة الطيبة وقرية نشر بفتح النون واسكان الشين وهو مصدر نشرت الثوب ضد طويته ويراد بالمصدر ههنا المفعول والتقدير أرسل الرياح منشرات فكانها كانت مطوية فارسلها الله تعالى منشورة بعد انطوائها قال الامام نحر الدين ان قوله نشر أي منشرة متفرقة فجزء من أجزاء الريح يذهب يمنة وجزء آخر يذهب يسرة وكذا القول في سائر الاجزاء فان كل واحد منها يذهب الى جانب آخر فنقول لاشك أن طبيعة الهواء طبيعة واحدة ونسبة الافلاك والانجم والطبائع الى كل واحد من الاجزاء التي لا تتجزأ من تلك الريح نسبة واحدة فاختصاص بعض أجزاء الريح بالذهاب يمنة والجزء الآخر بالذهاب يسرة وجب أن لا يكون الا بتخصيص الفاعل المختار وقوله تعالى بين يدي رحمته استمارة بديمة أي قدام رحمته التي هي المطر \* وقال تعالى في سورة الروم

(ومن آياته أن يرسل الرياح) أي الشمال التي من شمال الكعبة والصبالتي من تجاهها والجنوب التي من جهة يمينها فأها رياح الرحمة وأما الدبور التي من وراء الكعبة فريح العذاب (مبشرات) أي بالمطر وقيل مبشرات بصلاح الاحوال فان الرياح لو لم تهب لانت الدنيا وظهر الوباء والفساد (وليديقكم من رحمته) أي من نعمته وهي المنافع التابعة لها من المياه العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان والروح الذي هو مع هبوبها والخصب التابع لتزول المطر المسبب عنها وما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها الا خالقها والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم بها وليديقكم (ولتجرى الفلك) السفن بسوقها (بأمره) بإرادته (ولتبتغوا من فضله) بتجارة البحر (ولملكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة \* وقال تعالى في سورة الجاثية (وتصرف الرياح) أي وفي تحويل الرياح من جهة إلى أخرى وتقليبها في مهاها قبولاً ودبوراً وشمالاً وجنوباً واختلافها في كيفيةها إلى حارة وباردة ونافعة وضارة وفي أحوالها إلى عاصفة ولينة وفي نتائجها إلى عقم ولواقح وقيل في آياتها تارة بالرحمة وتارة بالعذاب (آيات لقوم يعقلون) الدليل فيؤمنون به قال الامام نجر الدين وجه الاستدلال بالرياح أنها مخلوقة على وجه يقبل التصريف وهو الرقة واللطافة ثم انه سبحانه يصرفها على وجه يقع به النفع العظيم في الانسان والحيوان والنبات وذلك من وجوه . أحدها أنها مادة النفس الذي لو انقطع ساعة عن الحيوان لمات وقيل فيه ان كل ما كانت الحاجة إليه أشد كان وجد انه أسهل ولما كان احتياج الانسان إلى الهواء أعظم الحاجات حتى لو انقطع عنه لحظة لمات لا جرم كان وجد انه أسهل من وجدان كل شيء وبعد الهواء الماء فان الحاجة إلى الماء أيضا شديدة دون الحاجة إلى الهواء فلا جرم سهل أيضا وجدان الماء ولكن وجد ان الهواء أسهل لان الماء

لا بد فيه من تكلف الاغتراف بخلاف الهواء فان الآلات المهيئة لجذبه حاضرة أبدا ثم بعد الماء الحاجة الي الطعام شديدة ولكن دون الحاجة الي الماء فلا جرم كان تحصيل الطعام أصعب من تحصيل الماء وبعد الطعام الحاجة الي تحصيل الادوية النادرة قليلة فلا جرم عزت هذه الاشياء وبعد الادوية الحاجة الي أنواع الجواهر من اليواقيت والزبرجد نادرة جدا فلا جرم كانت في نهاية العزة فثبت أن كل ما كان الاحتياج اليه أقل كان وجد انه أصعب وما ذاك الا رحمة منه تعالى علي العباد ولما كانت الحاجة الي رحمة الله تعالى أعظم الحاجات فترجو أن يكون وجد انها أسهل من وجد ان كل شيء وعبر الشاعر عن هذا المعني فقال

سبحان من خص العزيز بعزة \* والناس مستغنون عن أجناسه  
وأذل أنفاس النسيم وكل ذي \* نفس لمحتاج الي أنفاسه  
وثانيها لولا تحرك الرياح لما جرت الفلك وذلك مما لا يقدر عليه أحد الا الله  
قلو أراد كل من في العالم أن يقلب الريح من الشمال الي الجنوب واذا كان الهواء  
ساكنا أن يحركه لتعذر فالصاحب الفلسفة الحق لا يخفي أن الارض محاطة بطبقة  
من الهواء يبلغ ثخنها أكثر من عشرة آلاف متر وهو مركب من عنصرين  
متباينين الخواص أحدهما الاوكسجين وثانيهما الايدروجين مخلط بهذين  
العنصرين قليل من حمض الكربون بنسبة ستة اجزاء في كل عشرة آلاف  
جزء وقليل من بخار الماء أيضا اما الاوكسجين فهو غاز لالون ولا رائحة ولا طعم  
له أثقل من الهواء وهو الجزء الضروري لحفظ حياة جميع الكائنات الارضية  
الحية فهو الذي ينفع لتنفس الانسان والحيوان والنبات وهو سبب الاحتراق  
ولولاه لما امكن ايقاد النيران لأن الاحتراق لا يحصل الا عند اتحاد عناصر  
الجسم مع أوكسجين الهواء والجزء الثاني هو الازوت وهو غاز لالون ولا رائحة

ولا طعم له أخف من الهواء لا يصلح للتنفس ويوجد في الهواء من الأول واحد وعشرون جزءاً ومن الثاني تسعة وسبعون جزءاً في المائة وهذه النسبة لا تختلف في أي بقعة من بقاع الأرض وحكمة وجود الأزوت في الهواء مهمة جداً لولاه لا حترق الإنسان في حال التنفس لانه يلطف فعل الأوكسجين ووجوده ضروري أيضاً لتغذية النباتات كما سيجيء ورب قائل يقول كيف لا تتغير هذه النسبة في الهواء وقد مضى على الإنسان إلى الآن وهو يتنفس من الأوكسجين ويحرق بواسطته ما يحتاج إليه آلاف من السنين ويعطى الهواء حمض الكربون بواسطة الزفير والاحتراق فكان يجب ان ينتهي الأوكسجين ويحل محله حمض الكربون فنقول ان الحكمة التي بنى الله تعالى عليها هذا الكون عجيبة الشأن جداً تحار فيها الأذهان. نعم لا تتغير تلك النسبة لسبب يلتذ الإنسان من معرفته وهو انه قد مر عليك في هذا الكتاب ان النباتات تمتد من حمض الكربون المنتشر في الهواء بواسطة أوراقها وجميع أجزائها الخضراء فتأخذ كربونه لتكوين انسجتها ثم تخرج منها على حالة الزفير الأوكسجين ليستنشقه الإنسان والحيوان والنبات أيضاً أما الإنسان والحيوان فتأخذ الأوكسجين على حالة تنفس وتحويله إلى حمض الكربون وتخرجه منها على هذه الحالة فينتشر في الهواء ويغذي النباتات وهكذا تدور الحركة على هذا المحور المستقيم بدون أي اختلال أليست هذه حكمة تقف دونها الفحول وتسرح في خمائلها العقول فهذه الحكمة من أنواع تصرف الله تعالى للرياح أيضاً \* وقال تعالى (والذاريات ذورا) أي الرياح التي تذر والتراب وغيره أي تطيره (فالحاملات وقرا) أي أي ثقلا وهي الرياح الحاملة للسحب (فالجاريات يسرا) أي بسهولة أو جريا ذا يسر وهي الرياح الجارية في مهاهبها أو السحب الجارية في الجو بسوق الرياح (فالمقسمات أمرا) يجوز ان يكون مفعولا به وان يكون حالا أي مأمورة

وهي الرياح التي تقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار قال الامام نجر الدين الاقرب ان هذه صفات اربع للرياح فالذاريات هي الرياح التي تنشيء السحاب أولا والحاملات هي الرياح التي تحمل السحب التي اذا سحت جرت السيول العظيمة وهي اوقار اقل من جبال والجاريات هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها والمقسمات هي الرياح التي تفرق الامطار على الاقطار اه وانما اضاف تعالي هذه الافعال الي الرياح لانها اسباب لظهورها كقوله تعالي خبرا عن جبريل لأهب لك غلاما زكيا وانما الله هو الواهب السلام لكن لما كان جبريل سبب ظهوره اضاف الهبة اليه واقسم بالرياح لشرف ذواتها ولما فيها من الدلالة علي عجب صنعه وقدرته قال الامام نجر الدين ان الايمان التي حلف الله تعالي بها كلها دلائل اخرجها في صورة الايمان مثاله قول القائل لمنعمه وحق نعمتك الكثيرة اني لا ازال أشكرك فيذكر النعم وهي سبب مفيد لدوام الشكر ويسلك مسلك القسم كذلك هذه الاشياء كلها دليل علي قدرة الله تعالي فان قيل فلم اخرجها مخرج الايمان نقول لان المتكلم اذا شرع في أول كلامه بحلف يعلم السامع انه يريد ان يتكلم بكلام عظيم فيصني اليه اكثر من ان يصني اليه حيث يعلم ان الكلام ليس بمعتبر فبدأ بالحلف وادرج الدليل في صورة اليمين حتى أقبل القوم علي سماعه فخرج لهم البرهان المبين والتبيان المتين في صورة اليمين \* وقال تعالي ( والمرسلات عرفا ) أي الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا ونصبه علي الحال من الضمير المستكن في المرسلات والمعني علي التشبيه أي حال كونها عرفا أي شبيهة بعرف الفرس من حيث متابعتها وتلاحقها كما انه كذلك ( فالعاصفات عصفا ) أي الرياح الشديدة الهبوب ( والناشرات نشرآ ) أي الرياح تنشر المطر أي تفرقه حيث شاء الله قال الامام نجر الدين أقسم الله بريح عذاب أرسلها عرفا أي متتابعة



كشعر العرف كما قال يرسل الرياح وأرسلنا الرياح ثم انها تشتد حتي تصير عواصف ورياح رحمة نشرت السحاب في الجو كما قال وهو الذي يرسل الرياح نشرها بين يدي رحمته وقال الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيسطة في السماء ويجوز أيضا أن يقال الرياح تمين النبات والزرع والشجر علي النشور والانبات وذلك لانها تلقح فيبرز النبات بذلك علي ما قال تعالى وأرسلنا الرياح لواقح فبهذا الطريق تكون الرياح ناشرة للنبات (فالتفاريق فرقا) أي الرياح تفرق السحاب وتبدده وقال الامام فخر الدين في كون الرياح فارقة وجوه (أحدها) أن الرياح تفرق بعض أجزاء السحاب عن بعض . وثانيها أن الله تعالى خرب بعض القرى بتسليط الرياح عليها كما قال وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر وذلك سبب لظهور الفرق بين أولياء الله وأعداء الله (وثالثها) ان عند حدوث الرياح المختلفة وترتب الآثار العجيبة عليها من تموج السحاب والبحار وتخريب الديار تصير الخلق مضطرين الي الرجوع الي الله والتضرع علي باب رحمته فيحصل الفرق بين المقر والمنكر والموحد والملحد ولهذا قال تعالى ( فالملقيات ذكراً ) أي تسبين له فان العاقل اذا شاهد هبوب الرياح التي تقلع القلاع وتهدم الصخور والجبال وترفع الامواج وتغير الآثار تمسك بذكر الله والتجأ الي اعانة الله وتذكر كمال قدرته فصارت تلك الرياح كأنها ألفت الذكر والعبودية والايمان والمعرفة في القلب ( عنراً أو نذراً ) أي عنذاراً للمعتدين الي الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم ونذراً للذين يكفرون بالله وقال بعضهم الاعذار محو الاساءة والانذار التخويف أي لاجل الاعذار للمحققين ولأجل الانذار للمبطلين

— المبحث السابع في النظر في السحاب —

والمطر وما يتبع ذلك وفيه مطلبان ﴿

« المطلب الاول في كيفية النظر في السحاب والمطر وما يتبع ذلك »  
 { من الرعد والبرق والصواعق }

اعلم انما دللنا على حدوث الاجسام وتوسلنا بذلك الى كونه تعالى قادراً مختاراً يمكنه ايجاد الاجسام كيف شاء صح لنا أن نقول انه سبحانه قادر على أن يخلق أجزاء السحاب والمطر كيف شاء سواء كان ذلك من مادة معينة أو غيرها وقادر على أن يخلق أجزاء السحاب دفعة قالت الفلاسفة إن تكون السحاب والمطر من البخار وذلك أن البخارات الكثيرة تجتمع في باطن الارض ثم إن الشمس تصعدھا الى الهواء ثم اذا لم يكن البرد قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر والديمة والواابل انما يكون من أمثال هذه الغيوم وأما ان كان البرد شديداً فلا يخلو اما أن يصل البرد الي الاجزاء البخارية قبل اجتماعها وانحلالها حبات كباراً أو بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجاً وان كان على الوجه الثاني نزل برداً هذا كلامهم وعلى ما قالوه من أن السحاب يتكون من البخار حتى يكون جسماً متجمع الاجزاء فاذا كانت طبيعة الجو قد اقتضت تكونه كذلك فكيف اقتضت تكون المطر الذي هو جسم لطيف متخلخل الاجزاء قال المتأخرون من الفلاسفة السحاب كناية عن أبخرة أو تصعدات مائة متكاثفة بسبب البرد أو هو مؤلف من أكرماء صغيرة شبيهة بالحواصل معلقة في الجو لم يقدر الهواء على مسكها وبالانضمام تصير قطرات مصمتة سائلة ثم قالوا ان الاسباب الفاعلة لذلك تكاد أن تكون مجهولة أما اذا استولى البرد عليها وقهرها فانها تمسك في الجو وتباور على شكل أبر أو صفائح منتظمة وتنضم بعضها حتى تكون على هيئة نجوم صغيرة ذات أشعة من ستة الي اثني عشر وتسمى هذه البلورات المبيضة المضيئة بالثلج وقد

نسب بعضهم تكون الثلج الى الماء الشبيه بالحوصل الذي يجمد في الطبقات المرتفعة من الجو بانخفاض درجة الحرارة فجأة ولم يذكروا سبب ذلك الانخفاض ونقول ان الطبقة العالية من الهواء باردة جداً عندكم فاذا كان اليوم يوماً بارداً شديداً البرد في صميم الشتاء فتلك الطبقة باردة جداً والهواء المحيط بالارض أيضاً بارد جداً فوجب أن يشتد البرد ويحدث الثلج والبرد وان لا يحدث المطر في الشتاء ألبتة وحيث شاهدنا انه قد يحدث وان حدوث الثلج والبرد في الشتاء اندر منه في الصيف علمنا ان الموجد للسحاب والمطر هو القادر القاهر المختار المستولي على الطبيعيات والروحانيات\* وأيضا لو كان المطر يتولد بالطبيعة من صعود البخارات فالبخارات دائماً الارتفاع من البحار فوجب ان يدوم هناك نزول المطر وحيث لم يكن الامر كذلك علمنا ان الموجد للسحاب هو القادر المختار فهو يوجده بقدرته ويصرفه كيف شاء واراد . وأيضا هب ان الامر كما ذكرتم ولكن الاجسام بالاتفاق ممكنة في ذاتها فلا بد لها من مؤثر ثم انها متماثلة فاخصاص كل واحد منها بصفته المعينة من الصعود والهبوط واللطافة والكثافة والحرارة والبرودة لا بد له من مخصص فثبت انه لا بد ان يكون حدوث السحاب والمطر من دلائل القدرة والحكمة والاختيار يدل على ذلك أيضا من وجوه . الاول أن الامطار مختلفة فتارة تكون القطرات كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون متقاربة وأخرى تكون متباعدة وتارة تدوم مدة نزول المطر زمانا طويلا وتارة قليلا فاختلف الامطار في هذه الصفات مع ان طبيعة الارض واحدة وطبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لا بد وان يكون بتخصيص الفاعل المختار . الثاني ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظام تبقى معلقة في جو السماء وذلك من الآيات العظام فانظر في انه كيف حدث

الغيث المشتتل على هذه المياه العظيمة وكيف بقى معلقا في جو السماء مع غاية ثقله وتأمل في أسبابه القريبة والبعيدة حتى يلوح لك شيء من آثار نور الله وعدله وحكمته في تدبير خلقه هذا العالم . الثالث أن نزول المطر عند احتياج الخلق اليه مقدر بمقدار النفع من الآيات العظام . الرابع ان تلك الاجسام وما قام بها من صفات الرقة والرطوبة واللطافة والعدوبة لا يقدر أحد على خلقها الا الله تعالى قال سبحانه قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين . الخامس انه تعالى جعله سببا لحياة الانسان ولاكثر منافعه قال تعالى أفرايتم الماء الذي تشربون أنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون وقال وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون . السادس انه تعالى كما جعله سببا لحياة الانسان جعله سببا لرزقه قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون . السابع ما قال تعالى فسقناه الي بلد ميت وقال وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج \* وأما البرق والرعد فقالت الفلاسفة فيهما ان السحاب فيه كثافة ولطافة بالنسبة الي الهواء والماء فالهواء اللطيف منه والماء الكثيف فاذا هبت ريح قوية واحتقنت في داخل جرم السحاب واستولي البرد على ظاهره فأنجمد السطح الظاهر منه فان ذلك الريح يخوق السحاب ويمزقه تمزيقا عنيفا فيتولد من ذلك التمزيق الشديد حركة عنيفة هي الرعد والحركة العنيفة موجبة للحرارة فيخرج منه النار وهي البرق كسائر جسم جسم بعنف هذا ما قاله المتقدمون منهم وقال المتأخرون ان الحركة تتحول الي قوة كهربائية والقوة الكهربائية تتحول الي حرارة والحرارة تتحول الي نور وسنذكر في المبحث الاول من المقصد الرابع وفي المطلب الثالث من المبحث الثاني من ذلك المقصد بيان ان تلك التحولات ليس لها علة عقلية تقتضيها وان حدوث ذلك انما هو بقدره الله تعالى وارادته

ونقول هنا ان حدوث البرق والرعد دليل عجيب على وجود الاله القادر القاهر المختار وبيانه من وجوه. الاول ان السحاب عند الفلاسفة جسم مركب من أجزاء رطبة مائية ومن أجزاء هوائية ونارية ولا شك ان الغالب عليه الاجزاء المائية والماء جسم بارد رطب والنار جسم حار يابس وظهور الضد من الضد التام على خلاف العقل فلا بد من صانع مختار يظهر الضد من الضد فظهر ان حدوث البرق دليل عجيب على قدرة الله تعالى . الثاني انه لو كان الامر كما ذكر والوجب ان يقال أينما يحصل البرق فلا بد وان يحصل الرعد وهو الصوت الحادث من تمزق السحاب ومعلوم انه ليس الامر كذلك فانه كثيراً ما يحدث البرق من غير حدوث الرعد فعلمنا ان حدوثهما من الآيات الدالة على القدرة والاختيار . الثالث ان الحرارة الحاصلة بسبب قوة الحركة مقابلة للطبيعة المائية الموجبة للبرد وعند حصول هذا العارض القوي كيف تحدث النارية بل نقول النيران العظيمة تنطفئ بصب الماء عليها والسحاب كله ماء فكيف يمكن ان يحدث فيه شعلة ضعيفة نارية فلما رأينا حدوث ذلك علمنا انه انما حدث بقدرة قادر قاهر مختار . الرابع من مذهب الفلاسفة ان النار الصرفة لالون لها البتة فهب انه حصلت النارية بسبب قوة المحاكة الحاصلة باجزاء السحاب لكن من أين حدث ذلك اللون الاحمر فثبت ان حدوث النار الحاصلة في جرم السحاب مع كونه ماء خالصا لا يمكن الا بقدرة القادر الحكيم . الخامس ان البرق والرعد امران حادثان لا بد لهما من محدث وقد علم بالبرهان كون كل حادث من الله فهما من الله ثم انا نقول هب ان الامر كما تقولون فهبوب تلك الريح القوية من الامور الحادثة العجيبة لا بد له من سبب وينتهي الي واجب الوجود فهو آية للماقل على قدرة الله كيفما فرضتم ذلك \* وأما الصاعقة فهي نار لطيفة قوية لا تمر بشيء الا أتت عليه الا انها مع قوتها سريرة الخلود

وامرها عجيب جدا وذلك لانها نار تتولد من السحاب واذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان في لجة البحر والفلاسفة بانفوا في وصف قوتها ووجه الاستدلال بها ان النار حارة يابسة وطبيعتها ضد طبيعة السحاب فوجب ان تكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة أضعف من طبيعة النيران الحادثة عندنا على العادة لكنه ليس الامر كذلك فانها أقوى نيران هذا العالم فثبت ان اختصاصها بمزيد تلك القوة لا بد وان يكون بسبب تخصيص القادر المختار قال الامام حجة الاسلام انظر الي عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والامطار والثلوج والشهب والصواعق فهي من عجائب ما بين السماء والارض وقد أشار القرآن الي جملة ذلك في قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعين وهذا هو الذي بينهما وأشار الي تفصيله في مواضع شتى حيث قال تعالى والسحاب المسخرين السماء والارض وحيث تعرض للرعدي والبرق والسحاب والمطر فاذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة الا ان ترى المطر بعينك وتسمع الرعد بأذنك فالهيمه تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم الي عالم الملائكة الا على فقد فتحت عينيك فادركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لنرى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا باب يطول الفكر فيه إذ لا مطمع في استقصائه فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلق الله تعالى اذا شاء ومتى شاء وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء الي أن يأذن الله في ارسال الماء وتقطع القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراه الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه فقري السحاب يرش الماء على الارض ويرسله قطرات متضائلة لا تدرك قطرة منها فطرة ولا تتصل واحدة بأخرى

بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لاتعدل عنه فلا يتقدم المتأخر  
 ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة فلو اجتمع الاولون  
 والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل في بلدة واحدة  
 أو قرية واحدة لجز حساب الجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها الا الذي  
 أوجدها ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الارض ولكل حيوان فيها  
 من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مقدره تلك القطرة بحسب  
 التقدير الالهي أنها رزق الدودة الفلانية التي في ناحية الجبل الفلاني تصل  
 اليها عند عطشها في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء  
 اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك  
 فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر مالا حد من الخلق فيه شرك  
 ولا مدخل بل ليس للمؤمنين من خلقه الا الاستكانة والخضوع تحت جلاله  
 وعظمته ولا للمميان الجاحدين الا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه  
 وعلته فيقول الجاهل المغرور إنما ينزل الماء لانه ثقيل بطبعه وانما هبنا سبب  
 نزوله ويظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها ولو قيل له مامعني الطبع  
 وما الذي خلقه ومن الذي خلق الماء الذي طبعه الثقيل وما الذي رقي الماء  
 المصبوب في أسافل الشجر الي أعالي الاغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوي  
 الي أسفل ثم ارتفع الي فوق في داخل تجاويف الاشجار شيئاً شيئاً بحيث  
 لا يرى ولا يشاهد حتي ينتشر في جميع أطراف الاوراق فيغذي كل جزء من  
 كل ورقة ويجري اليها في تجاويف عروق شعرية صغار يروى منه العرق الذي  
 هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورقة  
 عروق صغار فكان الكبير نهر وما انشعب عنه جداول ثم ينشعب من  
 الجداول سواق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج

عن ادراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فيصل الماء في أجوافها الى سائر أجزاء الورقة لينغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها وكذلك الى سائر أجزاء الفواكه فان كان الماء يتحرك بطبعه الى أسفل فكيف تحرك الى فوق فان كان ذلك يجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب وان كان ينتهي بالآخرة الى خالق السموات و الارض وجبار الملك والمكوت فلم لا يحال عليه من اول الامر فنهاية الجاهل بداية العاقل

﴿ المطلب الثاني في كيفية التفكير في السحاب والمطر ﴾

﴿ والرعد والبرق والصواعق على مقتضى ﴾

﴿ ما تدل عليه الآيات القرآنية ﴾

قال الله تعالى في سورة البقرة (والسحاب المسخر بين السماء والارض) معطوف على المجرور قبله في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض الخ والمراد بالسحاب المسخر الغيم المذلل المنقاد الجاري على ما اجراه الله تعالى سمي سحبا لانه ينسحب في الجو أى يسير بسرعة كأنه يسحب أى يجر بين السماء والارض بلا علاقة لا ينزل الى الارض ولا ينكشف مع ان طبع السحاب يقتضى أحد هذين النزول والانكشاف لانه لو كان خفيفا لطيفا يبنى ان يصعد ولو كثيفا يقتضى ان ينزل وانما سماه مسخرا لوجوه . أحدها ان طبع الماء ثقيل يقتضى النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف الطبع فلا بد من قاهر قاهر يقهره على ذلك فلذلك سماه بالمسخر . الثانى ان هذا السحاب لو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الامطار والابتلال ولو انقطع لعظم ضرره لانه يقتضى القحط وعدم العشب والزراعة فكان تقديره بالمقدار المعلوم هو المصلحة فهو مسخر لله سبحانه يأتي به في وقت



الحاجة ويرده عند زوال الحاجة . الثالث ان السحاب لا يقف في موضع معين بل يسوقه الله تعالى بواسطة تحريك الرياح الى حيث شاء و اراد فذلك هو التسخير ( لآيات ) اسم ان دخلته اللام لتأخيره عن خبرها والتكثير للتفخيم كما وكيف أى في كل واحد مما ذكر في الآية آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه ( لقوم يعقلون ) أى ينظرون بصفاء عقولهم ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان للاشياء خالقا ومدبراً مختاراً وصانعا قادراً على ما يريد \* وقال تعالى في سورة الرعد ( هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً ) أى ذاخوف وذا طمع أو خائفين وطماعين أو ارادة خوف وطمع أو اخافة واطمعا وفى كون البرق خوفاً وطمعاً وجوه . الاول ان عند لمعان البرق يخاف وقوع الصواعق ويطمع في نزول الغيث . الثانى انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جريته التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزارع ونحوه . الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان في مكانه وزمانه ( وينشئ ) يخلق ( السحاب الثقال ) بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونه اسم جنس فى معنى الجمع والواحدة سحابة ( ويسبح الرعد ) أى سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين ( بحمده ) أى يضحجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحملة لهم على ذلك أو يسبح الرعد نفسه على أن تسبيحه عبارة عن دلالة على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده قال الامام نضر الدين ان الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص ومع ذلك فان الرعد يسبح الله سبحانه لان التسبيح والتقديس وما يجري مجراها ليس الا وجود لفظ يدل على حصول التنزيه والتقديس لله سبحانه وتعالى فلما كان حدوث هذا الصوت

دليلا على وجود موجود متعال عن النقص والامكان كان ذلك في الحقيقة  
تسيحا وهو معنى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ( والملائكة )  
أي يسبح الملائكة ( من خيفته ) من هيئته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير  
لارعد ( ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ) فيهلكه بذلك ( وهم ) أي  
الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يرجم البرق وقد التفت الى الغيبة  
إذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعميدا لجناياتهم لدي كل  
من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل أمثال هذه الافاعيل العجيبة  
من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال  
علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين والملائكة ويعملون بموجب  
ذلك من التسيح والحمد والخوف من هيئته تعالى وهم أي الكفرة الذين  
حكيت هنتهم مع حقارة شأنهم ( يجادلون في الله ) يعني يخاصمون في شأنه  
تعالى ( وهو شديد المحال ) أي والحال انه شديد القوة والكيد لاعدائه  
فيستدرجهم من حيث لا يعلمون ويملي لهم ثم يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون  
\* وقال تعالى في سورة الحجر ( وأرسلنا الرياح لواقح ) أي حوامل بالسحاب لانها  
تحمله في جوفها كانه لاقحة به من لقت الناقة حملت وضدها العقيم ( فانزلنا  
من السماء ) بعد ما أنشأنا بتلك الرياح سحابا مطرا ( ماء فاسقيناكموه )  
أي جعلناه لكم سقيا وهو أبلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل  
الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤا ( وما أتم له بخازنين ) نفى عنهم ما أثبتته  
لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده  
وخزنه في السحاب وانزأله وما أتم على ذلك بقادرين وقيل ما أتم بخازنين  
له بعد ما أنزلناه في القدران والآبار والعيون بل نحن نمخزنه فيها لنجعلها سقيا  
لكم مع أن طبيعة الماء تقتضي الفور واعلم أن ظاهر قوله تعالى فانزلنا من

السماء ماء يقتضي نزول المطر من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض لان ظاهر النص يقتضى نزول المطر من السماء والعدول عن الظاهر الى التأويل انما يحتاج اليه عند قيام الدليل على أن اجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن وفي هذا الموضوع لم يقيم دليل على امتناع نزول المطر من السماء فوجب اجراء اللفظ على ظاهره من أن الماء ينزل من السماء على الحقيقة كما ذكره الله تعالى وهو الصادق في خبره واذا كان قادرا على امسك الماء في السحاب فأي بعد في أن يمسكه في السماء فاما قول من يقول من الفلاسفة انه من بخار الارض فقد تقدم أن طبيعة الجو لا يمكن أن تقتضى انقلاب البخار مطرا مدرارا بعد انعقاده سحبا كثيفا في الجو واذا قيل كما ذكره المتأخرون من الفلاسفة ان المطر من تصعدت مائة أو أكثر ماء صغيرة فقد تقدم أن الاسباب الموجبة لانضمامها حتى تصير قطرات مصمتة تسير في الجو ثم تسيل هي مجهولة وأيضا حينئذ فالمقبول عند العقل هو أن الله تعالى يخلق السحاب كيف شاء واذا قيل ان مادته البخار فلا ضرر من جهة الشرع في ذلك ثم ان الله تعالى ينزل الماء من السماء على السحاب ثم ينزله متى شاء بسبب عصر الرياح له مطرا مدرارا ولهذا قال تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء نجاجا وقد ذكر المتأخرون من الفلاسفة أنهم يشاهدون بالمكرب في الكواكب الجبال والبحار وحينئذ فأي مانع يمنع من أن الماء ينزل من السماء على السحاب ومنه على الارض \* وقال تعالى في سورة الحج (الم تر أن الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) بالنبات وهذا تنبيه على عظيم قدرته وواسع رحمته وايتار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد هذا الأثر المترتب على الانزال واستمراره ولاستحضار صورة الاخضرار (ان الله لطيف) يصل لطفه أو علمه الي كل ماجل ودق (خير) بما يليق من التدابير الحسنة

ظاهراً وباطناً وقال مقاتل لطيف باستخراج النبات خبير بكيفية خلقه وقال  
 الامام نقر الدين أراد أنه رحيم بعباده ولرحمته فعل ذلك حتى عظم انتفاعهم  
 به لان الارض اذا أصبحت مخضرة والسماء اذا أمطرت كان ذلك سبباً لعيش  
 الحيوانات على اختلافها أجمع ومعنى خبير أنه عالم بمقادير مصالحهم فيفعل على  
 قدر ذلك من دون زيادة ونقصان \* وقال تعالى في سورة المؤمنون ( وأنزلنا  
 من السماء ماء بقدر ) بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم  
 أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم وعبارة الخطيب ماء بقدر أي  
 بقدر ما يكفيهم لمعاشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة ويسلمون  
 معه من المضرة اذ لو كان فوق ذلك لاغرق الاقطار ولو كان دون ذلك  
 لآدي الى جفاف النبات والاشجار ( فأسكنناه ) أي فجعلناه ثابتاً مستقراً  
 ( في الارض ) كقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وعبارة الخازن فأسكنناه  
 في الارض يعني ما بقي في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف عند  
 انقطاع المطر ( وانا على ذهاب به ) أي ازالته ( لقادرون ) كما قدرنا على ايجاده  
 واختراعه وانزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى تكثير طرقة كالاغساد والتصعيد  
 والتغوير بحيث يتعذر استنباطه وفيه ايدان باقتدار المذهب وأنه لا يتمايا عليه  
 شيء اذا اراده \* وقال تعالى في سورة النور ( ألم تر أن الله يرحم سحاباً ) يسوقه برفق  
 وسهولة الى حيث يشاء من أرضه وبلاده والمزجي الشيء القليل ومنه البضاعة  
 المزجاة ففيه ايماء الى أن السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ( ثم  
 بؤلف بينه ) أي بين أجزائه بضم بعضها الى بعض فيجعله شيئاً واحداً بعد أن كان  
 قطعاً في جهات مختلفة ( ثم يجعله ركاباً ) أي متراً كما بعضه فوق بعض ( فترى الودق )  
 أي المطر اثر تراكمه وتكاثفه ( يخرج من خلاله ) أي يخرج السحاب وفرجه  
 واعلم أنه تعالى قال في سورة الاعراف وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين

بدي رحمة حتى اذا اقلت سحابا ثقلا سقناة لبلد ميت فأنزلنا به الماء  
 فذكر هنا وفي هذه الآية جملة وجوه يستدل بها على قدرته تعالى واختياره  
 منها حمل الرياح للسحاب الثقال \* ومنها سوق السحاب الي حيث ينتفع  
 بمائه في الشرب وفي اخراج الثمرات \* ومنها التأليف بين أجزاء السحاب بعد  
 أن كان قطعا في جهات مختلفة \* ومنها جعله ركاما وذلك بتركب بعضها على  
 البعض وهذا مما لا بد منه لان السحاب انما يحمل الكثير من الماء اذا  
 كان بهذه الصفة فكل ذلك من عجائب خلقه ودلالة ملكه واقتداره (وينزل  
 من السماء من جبال) كائنة (فيها) أي في السماء (من برد) مفعول ينزل على  
 أن من تبعية والاوليان لابتداء الغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الاولي  
 باعادة الجار أي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وظاهره أن  
 في السماء جبالا من برد خلقها الله تعالى كذلك كما خلق في الارض جبالا  
 من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه وقيل المراد من السماء جانبها وجهتها أو  
 الغمام فان كل ماعلاك سماء والمراد بالجبال قطع عظام تشبه الجبال في العظم  
 والقول الاول أولي لان السماء اسم لهذا الجسم المخصوص فجعله اسما للسحاب  
 بطريقة الاشتقاق مجاز وكما يصح أن يجعل الله الماء في السحاب ثم ينزله بردا  
 فقد يصح أن يكون في السماء جبال من برد واذا صح في القدرة كلا الامرين  
 فلا وجه لترك الظاهر وقد تقدم أن المتأخرين من الفلاسفة يشاهدون  
 بواسطة المكروسكوب في الكواكب الجبال والبحار ونقل صاحب الفلسفة  
 الحققة عن بعض متأخري الفلاسفة وهو كميل فلا مريون ما يأتي اننا نرى  
 علي المريخ ثلوجا قطبية متسعة جدا في أواخر كل شتاء ولكن هل هذه  
 الثلوج مكونة من مياه تشبه في تركيبها الكيماوي مياه كرتنا الارضية هذا  
 محتمل بل ومرجح ونرى أن الثلوج علي سطح المريخ محدودة المسافات وأن

هذه الحدود تتغير بتغير الطقس واذا اعتبرنا نصف كرة المريخ في مدة الصيف نجد أن الثلوج في قطبها أقل منها في قطبنا الأرضي ومن الضروري تصور كون ماء المريخ مشابها للماء الأرضي لأن ثلوجه مشابهة جدا لثلوجنا ولم نر على سطح المريخ نهرا يتدريء في أرض صلبة اذ لم يشاهد الا مجار ذاهبة من بحر الي بحر فكل نهر يتدريء وينتهي اما في بحر أو بحيرة أو في نهر آخر أو في نقطة اجتماع جملة مجار اه ملخصا فما بلغه لنا النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى من وجود جبال في السماء ينزل الله منها البرد حين أن لم يكن ثم حكيم يخلق هذا بفكره بل هو اخبار على طريق الغيب أثبتته المتأخرون من الفلاسفة بطريق الحس والمشاهدة وان كانوا يخلطون به كثيرا من التخيلات والاهام كما يظهر للبصير عند اطلاعه على كلامهم فهل بعد هذا يرتاب في نبوة ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفيما اخبر به عن ربه من أنه تعالى ينزل من السماء من جبال فيها من برد (فيصيب به) أي بما ينزل من البرد (من يشاء) أن يصيبه به فينال ما يناله من ضرر في نفسه ورسله (ويصرفه عن يشاء) أن يصرفه عنه فينجو من غائته (يكاد سنا برقه) أي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما (يذهب بالابصار) أي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها قال الامام فخر الدين وجه الاستدلال بقوله يكاد سنا برقه يذهب بالابصار أن البرق الذي يكون صفته ذلك لا بد وأن يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد فظهوره من البرد يقتضى ظهور الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدره قادر حكيم فسبحان من يخرج الماء والنار والنور والظلمة من شيء واحد \* وقال تعالى في سورة الفرقان (وانزلنا من السماء ماء طهورا) بليغا في الطهارة وما قيل انه ما يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة ووصف الماء به اشعار بتام النعمة فيه وتتم

للنمة فيما بعده فان الماء الطهور اهناً وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته ( لنحيي  
 به ) أى بما انزلنا من الماء الطهور ( بلدة ميتا ) لاشجار فيها ولا اثمار ولا مرعي  
 واحياؤها بانبات النبات وتذكير ميتا باعتبار المكان ( ونسقيه ) أى ذلك الماء  
 الطهور عند جريانه فى الاودية واجتماعه فى الحياض والمنابع أو الآبار ( مما  
 خلقنا انعاما واناسي كثيرا ) الاناسي جمع انسان أو جمع انسى وانما خص  
 الانسان والانعام ههنا بالذكر دون الطير والوحش مع انتفاع الكل بالماء  
 لان الطير والوحش تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها التسرب بخلاف الانعام  
 لانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقى انعامهم  
 كالانعام عليهم بسقيهم ونكر الانعام والاناسي ووصفهما بالكثرة لان اكثر  
 الناس يجتمعون فى البلاد القريبة من الاودية والانهار فهم فى غنية فى شرب  
 الماء عن المطر وكثير منهم ينزل فى البوادي فلا يجد المياه لشرب الا عند  
 نزول المطر وذلك قوله لنحيي به بلدة يريد بعض بلاد هؤلاء المتباعدين عن  
 مضان الماء ويحتمل أن قوله كثيرا يرجع الى قوله ونسقيه لان الحى يحتاج  
 الى الماء حالا بعد حال وهو مخالف للنبات الذي يكفيه من الماء ق. ر معين  
 حتى لو زيد عليه لكان الى الضرر أقرب والحيوان يحتاج اليه حالا بعد حال  
 مادام حيا ( ولقد صرفناه ) أى الماء ومعنى صرفناه انا اجريناه و الانهار  
 حتى انتفعوا بالشرب وبالزراعات وانواع المعاش به وقيل معناه انه سبحانه ينزله  
 فى مكان دون مكان وفي عام دون عام ثم فى العام الثانى يقع بخلاف ما وقع  
 فى العام الاول قال ابن عباس ما عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه  
 فى الارض ثم قرأ هذه الآية أو تصريفه جعله تارة وابلا وأخرى طلاوحينا  
 دية ووقتارهما وقيل المعنى وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء  
 السحاب وانزال القطر لما مر من النيات الجميلة فى القرآن وغيره من

الكتب السماوية (بينهم) أي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين (ليذكروا) ليفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام (فأبى أكثر الناس) ممن سلف وخلف (الا كفورا) أي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو الا جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته قال العلامة أبو السعود ومن لا يرى الامطار الا من الآتواء فهو كافر بخلاف من يرى أن السكل بخلق الله تعالى والآتواء أمارات لجملة تعالى \* وقال تعالى في سورة الروم (ومن آياته يريكم البرق) أي أن يريكم فالفعل مقدر بأن أو هو على حاله صفة لمخدوف أي آية يريكم بها البرق أو من آياته شيء أو سحب يريكم البرق (خوفاً) من الصاعقة أو للمسافر (وطمعا) في النيث أو للمقيم (وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض) بالنبات (بعد موتها) ينثها قال الامام فخر الدين قدم لوازم الانفس على العوارض المفارقة حيث ذكر أولاً اختلاف الالسنة والالوان ثم المنام والابتغاء وقدم في الآفاق العوارض المفارقة على اللوازم حيث قال يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل وذلك لان الانسان متغير الحال والعوارض له غير بعيدة وأما اللوازم فيه فقريبة وأما السموات والارض فقليلة التغير فالعوارض فيها أغرب من اللوازم فقدم ما هو أعجب لكونه أدخل في كونه آية ونزيده بيانا فنقول الانسان يتغير بالكبر والصغر والصحة والسقم وله صوت يعرف به لا يتغير وله لون يتميز عن غيره وهو يتغير في الاحوال وذلك لا يتغير وهو آية عجيبة والسماء والارض ثابتان لا يتغيران ثم يرى في بعض الاحوال أمطار هائلة وبروق هائلة والسماء كما كانت والارض كذلك فهو آية دالة على فاعل مختار يديم أصراً مع تغير المحل ويزيل أصراً مع ثبات المحل ثم قال كأن في انزال المطر وانبات الشجر منافع كذلك في تقدم البرق والرعد على المطر



منفعة وذلك لان البرق اذا لاح فالذى لا يكون تحت كن يخاف الابتلال فيستعمله والذي له صهريج أو مصنع يحتاج الي الماء أو زرع يسوى مجارى الماء وأيضا العرب من أهل البوادي فلا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قدر أو البروق اللائحة من جانب دون جانب واعلم ان فوايد البرق وان لم تظهر للمقيمين بالبلاد فهي ظاهرة للبادين ولهذا جعل تقديم البرق علي تنزل الماء من السماء نعمة وآية وأما كونه آية فظاهر فان في السحاب ليس الاماء وهواء وخروج النار منها بحيث تحرق الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق هو الله (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها قال الامام نخر الدين قال ههنا لقوم يعقلون لما كان حدوث الولد من الوالد أمرا عاديا مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام العامة ان ذلك بالطبيعة لكن البرق والمطر ليس أمرا مطردا بل هو مختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة تكون قوية وتارة تكون ضيفة فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو آية لمن له عقل ان لم يتفكر تفكرا تاما \* وقال تعالى في سورة الروم أيضا ( الله الذي يرسل الرياح مضطربة هايجة بعد أن كانت ساكنة فتثير سحابا ) أى تزعجه وتخرجه من أما كنه ( فيبسطه ) تارة أى ينشره كال الانتشار متصلا بمضه بعض ( في السماء ) في جوها ( كيف يشاء ) في أى ناحية شاء من الجنوب أو الشمال أو الدور أو الصبا سائرا أو واقفا مطبقا وغير مطبق تارة يسير قليلا كسير ساعة وأخري كثيرا كسير أيام على حسب ارادته تعالى واختياره لا مدخل فيه لطبيعة ولا غيرها ( ويجعله كسفا ) تارة أخرى أي قطما ( فترى الودق ) المطر ( يخرج من خلاله ) في التاريتين قال الامام نخر الدين ذكر أنواع السحب فنه

ما يكون متصلاً ومنه ما يكون مقطوعاً ثم المطر يخرج منه والماء في الهواء  
 أعجب علامة للقدرة وما يفضي اليه من انبات الزرع وادرار الضرع حكمة بالغة  
 ثم انه لا يم بل يختص به قوم دون قوم وهو علامة المشيئة ( فاذا  
 أصاب به من يشاء من عباده ) أي بلادهم وارضيتهم ( اذاهم يستبشرون ) فاجؤا  
 الاستبشار بمجيء الخصب ( وان كانوا ) أي وان الشأن كانوا ( من قبل أن ينزل  
 عليهم ) أي المطر ( من قبله لمبلسين ) أي آيسين وقوله من قبله تكرير للتأكيد  
 قال ابن عطية وفائدة هذا التأكيد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من  
 الابل اس الى الاستبشار وذلك ان قوله من قبل أن ينزل عليهم يحتمل الفسحة  
 في الزمان أي من قبل أن ينزل بكثير كالايام فجاء قوله من قبله بمعنى أن ذلك  
 متصل بالمطر فهو تأكيد مفيد وقال الزمخشري فائدة التوكيد فيه الدلالة على  
 أن عهدهم بالمطر قد بعد فاستحكم بأسهم وتمادى ابلاسهم فكان استبشارهم على  
 قدر اغتمامهم بذلك ( فانظر الي آثار رحمت الله ) المترتبة على تنزيل المطر من النبات  
 والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه ( كيف يحيي )  
 أي الله تعالى ( الأرض بعد موتها ) أي فانظر الي احيائه البديع للأرض بعد  
 موتها والمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته \* وقال  
 تعالى في سورة فاطر ( والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا ) عبر بصيغة المستقبل  
 لحكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة  
 والحكمة ( فسقناه الى بلد ميت ) أي لانبات فيها والموت يقال بازاء القوة  
 النامية الموجودة في النبات ومقتضى الظاهر فساقه أي ساق الله ذلك السحاب  
 واجراه الى الارض التي تحتاج الى الماء وقال فسقناه الى بلد التفاتاً من الغيبة  
 الى التكلم دلالة على زيادة اختصاصه به تعالى وان الكل منه والوسائط  
 أسباب ( فاحيينا به الارض ) أي صيرناها خضراء بالنبات والكل بالمطر النازل

من السحاب المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازماً في الذهن كما في الخارج أو بالسحاب فانه سبب السبب ( بعد موتها ) أي يبسها قال الامام نجر الدين قال ارسل إسناداً للفعل الي الغائب وقال سقناه باسناد الفعل الي المنكلم وكذلك في قوله فأحيينا وذلك لانه في الاول عرف نفسه بفعل من الافعال وهو الارسال ثم لما عرف قال أنا الذي عرفني سقت السحاب وأحييت الارض ففي الاول كان تعريفاً بالفعل العجيب وفي الثاني كان تذكيراً بالنعمة فان كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والاحياء \* وقال تعالى في سورة الزمر ( الم تر أن الله أنزل من السماء ماء ) وهو المطر وقيل كل ماء في الارض فمن السماء نزل ثم انه تعالى ينزله الي بعض المواضع ثم يقسمه ( فسلكه ) أي أدخله ونظمه ( يتابع في الارض ) أي مجاري ومسالك كالعروق في الاجساد ينبع منها واعلم ان استمسك الماء في جهة السماء دليل على قدرة باهرة تقهر الماء على ذلك ثم ان نزوله بحيث يكون يتابع قريبة من وجه الارض ولم يكن في أسفلها جدا بحيث لا يستخرج منها كل ذلك من آثار قدرته تعالى وأحكام حكمته ورحمته \* وقال تعالى في سورة شورى ( وهو الذي ينزل الغيث ) أي المطر الذي يغيثهم من الجذب ولذلك خص بالنافع منه ( من بعد ما قسطوا ) يتسوا منه وتقييد تنزله بذلك مع تحققه بدونه أيضاً لتذكر كمال النعمة ( وينشر رحمته ) أي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا أو المنني يبسط مطره وان كان الاصل ينشره لانه بين أنه غيث فقال رحمته بيانا وتعميما فينزل من السحاب من الماء ما لو اجتمع عليه الخلائق ما أطاقوا عمله فتصبح الارض ما بين غدرا وانهار ونبات نجم وأشجار وزهر وحب وثمار وغير ذلك من المنافع الصغار والكبار فله ما أعلى هذه القدرة الباهرة والاية

الظاهرة ( وهو الولي ) الذي يتولي عباده بالاحسان ونشر الرحمة ( الحميد )  
المستحق للحمد على ذلك وغيره لا غيره \* وقال تعالى في سورة الزخرف  
( والذي نزل من السماء ماء بقدر ) أي بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم  
والمصالح أو بقدر حاجتكم اليه لزركم وثماركم وشرابكم بأنفسكم وانعامكم  
أو بحسب التدريج ولولا قدرته تعالى الباهرة لكان دفعة واحدة أو قريبا منها  
( فانشرباه ) أي أحيينا بذلك الماء ( بلدة ميتا ) خاليا عن النماء والنبات بالكلية  
وتذكيره لأن البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الي نون العظمة لظهار  
كمال العناية بأمر الاحياء والا شعار بعظم خطره \* وقال تعالى في سورة  
الواقعة ( أفرايتم الماء الذي تشربون ) عذبا فراتا فتحيوا به أنفسكم وتسكنوا  
به عطشكم وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب أهم  
المقاصد المنوطة به ( انتم أنزلتموه من المزن ) أي من السحاب واحده  
مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه أعذب ( أم نحن المنزلون ) له بقدرتنا  
( لو نشاء جعلناه أجاجا ) أي ملحا مرا فلا يبرد عطشا ولا ينبت نباتا ينتفع به  
( فلولا ) أي فهلا ( تشكرون ) يعني نعمة الله عليكم قال بعضهم وفي الآية اشارة  
الى أن بعض بلاد العرب ليس لها آبار ولا أنهار جارية فلا يشرب اهلها الا من  
المطر في المصانع فمنها القدس الشريف وينبع وجدة المحروسة ونحوها وللماء  
العذب مزيد فضل في هذه البلاد ولذا امتن الله به على العباد \* وقال تعالى  
في سورة الملك ( قل أرايتم ) أي أخبروني ( ان أصبح ماؤكم غورا ) أي غائرا  
ذاهبا في الارض بالكلية وقيل بحيث لاتناله الدلاء ( فمن يأتيكم ) على ضعفكم  
حينئذ وانخلع قلوبكم واضطراب أفكاركم ( بماء معين ) جارأ و ظاهر سهل  
المأخذ أي لا يأتي به الا الله تعالى

﴿ البحث الثامن في النظر في الارض وما فيها ﴾  
 ﴿ من الجبال والانهار وما يتبع ذلك وفيه مطلبان ﴾  
 ﴿ المطلب الاول في كيفية النظر في الارض وما فيها من الجبال والانهار ﴾  
 ﴿ وما يتبع ذلك ﴾

اعلم أن الذي انحط عليه رأى الناظرين في طبقات الارض من الفلاسفة في الحالة الراهنة هو أنه لا يمكن الوقوف على حقيقة الارض ولا على كيفية تكوينها بوجه يمكن تطبيقه على جميع كتلتها وأما الجبال فقال المتقدمون من الفلاسفة في كيفية تكوينها انما تولدت هذه الجبال لان البحار كانت في هذا الجانب من العالم وكانت تتولد في البحر طينالزجا وبواسطة قوة حرارة الشمس تنقلب حجرات ان الماء كان يفور ويقل فيتحجر البقية فلهذا السبب تولدت هذه الجبال قالوا وانما كانت البحار حاصلة في هذا الجانب من العالم لان أوج الشمس وحضيضها متحركان في الدهر الا قدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب الي الارض فكان التسخين أقوى وشدة السخونه توجب انجذاب الرطوبات فحين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال والآن لما انتقل الاوج الي جانب الشمال والحضيض الي جانب الجنوب انتقلت البحار الي جانب الجنوب فبقيت هذه الجبال في جانب الشمال هذا حاصل كلامهم في هذا الباب وقد ذكر الامام نجر الدين في رده وجوها \* الاول ان حصول الطين في البحر أمر عام ووقوع الشمس عليها أمر عام فلم حصل هذا الجبل في بعض الجوانب دون البعض والثاني أن أوج الشمس الآن قريب من أول السرطان فعلى هذا من الوقت الذي انتقل أوج الشمس الي الجانب الشمالي مضي قريب من تسعة آلاف

سنة وبهذا التقدير يجب أن الجبال في هذه المدة الطويلة كانت في التفتت فوجب أن لا يبقى من الاحجار شيء لكن ليس الامر كذلك فعلنا ان السبب الذي ذكره لا يعول عليه \* الثالث هو انا نشاهد في بعض الجبال كان تلك الاحجار موضوعة سافاسافا فكان البناء لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض ويبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكره وأقول انه يبعد أيضا حصول هذه الاحجار والصخور من طين البحار اذا كانت الشمس هي المؤثرة فيها ولهذا قال المتأخرون من الفلاسفة الظاهر أن هذه الصخور الموجودة في تلك الكرة تبلورت من قديم في سائل لم يوجد الآن في الكون ما يدل عليه ولا ما يوقفنا على حقيقته واذا كان الاصل الذي تكونت منه الجبال مباينا لجميع الارض بطبعه وحقيقته لم تكن الجبال متولدة بمقتضى الطبيعة بل لا بد لتكونها من صانع قادر مختار ويدل على ذلك ايضا انها اما أن تكون على سطح الارض مجتمعة أو مسلسلة أو منعزلة فالجمعة تظهر على هيئة كتل عظيمة مكرسة على بعضها وينبعث في الغالب من تلك الكتل أطراف حادة مرتفعة جدا ومن قاعدتها سلاسل جبال على هيئة أشعة تمتد الى مسافات مختلفة وهذه السلاسل الثانوية تقارب غالبا في العلو الرؤس التي تنسب هي لها وأما الجبال التي تكون على أثر بعضها بحيث تتكون منها سلاسل طويلة جدا فهي اكثر ما يوجد على سطح الارض ويندر كونها منعزلة وانما الغالب ان تكون مصاحبة لسلاسل متوازية أو متباعدة مطيعة للاكتلة الاصلية التي تغلب وتتسلطن على غيرها وقد يظهر كان السلاسل تتقاطع تقاطعا صليبيا وتختلط جملا او عقودا تذهب سلاسل جبال جديدة تتجه لجميع الجهات بدون انتظام معين وبعضها يهبط الى أسفل ويفنى شيئا فشيئا في السهول ومنها ما يربط مجامع الجبال ببعضها وللمتأخرين من الفلاسفة في تكون سلاسل الجبال واتجاهها واقترانها ببعضها

آراء كثيرة ولم يختتر احد من المشتغلين بالكائنات الطبيعية الذين درسوا الجبال على رؤس جبال الالب والبرنات والانده شيأ منها وعللوا ذلك بان الوقوف على أصول الجبال عسر جدا كالوقوف على معرفة تكوين السكرة الارضية والامور التي يستند عليها في ذاك قليلة فتكون النتائج المأخوذة منها لتوضيح ذلك غير مفيدة بل ربما لم تفد الا زيادة التشكيك ومما يبطل نسبة تكون الجبال الي علة أو طبيعة ما يرى من الاختلاف بينها وبين بعضها في التكوين والشكل والمنظر ومن أشكالها المختلفة كثيرا ما يكون كبرج النواقيس وكالقصور والالواح والمحاريب والثقوب والمدرجات الواسعة وغير ذلك ومنها ما يبدى حوادث غريبة كالجبال البرزلية المكونة من عواميد منشورية مكردسة على بعضها وكالجبال المثقبة بفتحات كثيرة ومن الجبال ما ياخذ في الارتفاع تدريجا حتى تقرب لان تكون كتلا عظيمة تخفى في أقطار السحاب من الجو ومن جبال الاسيا اسنان مرتفعة جدا من هيماليا (بتيت) فالرابع عشر تعلو عن مساواة المحيط (٧٨٢١) مترا وذكر كثير من الجغرافيين أنه ينوف عن (٨٥٠٠) مترا ولم يزل المسافرون والجايون المجتهدون في الارتفاع على رؤس الجبال يندهشون من ارتفاعها وعلوها وطول طرقها والتعسرات التي يصادفونها وكل من الطبيعي والجغرافي يستغرب هذه البقايا القديمة ويبحث فيها مع غاية الانتباه ويقيس ارتفاعها عن سطح البحر المحيط ولذلك اثبتوا ان الجبل الابيض الذي هو اعظم جبال الاوربا يتكون منه على سطح الارض نحو تقرب علوه لان يساوى ارتفاع خط علي كرة قطرها مائتا قدم وهو بالنسبة أصغر جدا من الخشونة اللطيفة التي تنبذر على سطح ليمونة أو برتقالة وأما الفلكي فانه لما قابل كتلة هذه الاجرام السماوية وحجمها بالتى للارض ظهر له من ذلك ما يدهشه من صغر المسافة التي تشغلها الارض من الفراغ ومما يبدو لعينيه

من ارتفاع تلك الجبال في الجو آفا كثيرة من الامتار وأن الكائنات التي  
تحيها بوجودها والممالك التي تكون تلك الجبال حدودها انما هي بالنسبة لما ذكر  
منظومة في سلك العدم قال بعضهم وكيف مع ذلك يستولي على الناس طمعهم  
وحققهم في تلك الاشياء الواهية التي هي بالنسبة لغيرها من الكائنات كلا شيء  
ومن الجبال البراكين أي جبال النار وهي جبال تقذف دخانا وماء ووحلا ومواد  
ذائبة فيبدو منها اذ ذاك مجموع حوادث مخصوصة تظهر النار فيها ملامعها الغربية  
وحركاتها العجيبة وقد اعترفوا بان أسباب تلك الحوادث غير معروفة وثورة  
البركان هي ملعب مخيف مهول بشع المنظر غريب الاعتبار لا يناظر بغيره  
وقد اجتهد مشاهير الطبيعيين في جميع الازمنة في شرح هذه الثورة  
شرحا تعقليا ثم اعترفوا بان ذلك لم يصادف محلا ومنها ما لا يقذف الامياها  
ووحلا ومنها ما يعطي هواء فقط أو غازات نقية ومنها ماله فوهات تعلق عن  
سطح البحر بستة آلاف متر ومنها ما يلتهب في جوف المياه في أعماق  
لا تدركها المجسات ثم من البراكين ما هو نائر على الدوام ومنها ما يبقى أحيانا  
أجيالا كثيرة بدون ان تظهر فيه علامة النار الارضية الباطنية ومنها ما يكون  
ثورانه دوريا فيتجدد كل يوم أو كل شهر أو كل فصل أو كل سنة غير ان  
الغالب ان الطفحات لا تتبع انتظاما معينا ومدة بقاء الحرارة في المادة البركانية  
تختلف باختلاف شدتها فقد شوهد من تلك المواد ما برد بعد خروجه من  
البركان ببعض أسابيع وبعضها ببعض أشهر ومنها ما بقيت حرارتها محرقة  
بعد خروجها بعشر سنين واعترفوا بان أسباب هذه الحرارة مجهولة قالوا  
والى الآن لم نصل لتوضيح وبيان حقيقة هذه الحوادث الكثيرة التي تحصل  
منها ثم ان البراكين تتصل غالبا بل دائما بالبحر بدون واسطة أو بواسطة  
وأيدوا ذلك الاتصال باوضاع البراكين أي محالها مطفية كانت أو نائرة



وبكثرة طفحات المياه والوحل وبغاز الحمض الادر وكلوري الذي يتقذف من الاراضي البركانية ومن المواد البركانية الذي يتسلطن هوفيا ويحلل تركيبها وبالمقدار العظيم من ادر وكلورات الصودا الذي يرسب على هيئة بلورات مضية وبكثرة المياه التي تخرج من فوهة البركان في مدة الثورة على هيئة بخار وبحركات البحر في مدة الثورة أيضاً وبالاسماك والاه سداف البحرية التي توجد غالباً في المياه المقدوفة ويندر ان تكون هذه المياه المقدوفة صافية رائقة وانما الغالب كونها نتنة ذات وحل وتحتوى أحياناً على اسماك حية اذا كان مرورها من بورتها الي خروجها سريعاً وقد تكون تلك المياه حارة في درجة الغلي وسيولة الوحل وحرارته يختلفان قلة وكثرة والمادة الفخارية تتسلطن فيه ولا يتأتى حسبان قوة اندفاع الثورة البركانية بل تارة يرتفع عمود محر ويتكون منه فوق المخروط هيئة فطر كبير جدا ملتهب مشقق بالصاعقة وأرجل هذا الفطر مغموسة في فوهة الجبل ويبقى الغطاء الذي من الاعلى معلقاً فوق السحاب وتارة تكون قوة القذف ضعيفة فتندرج تلك الكتلة على جوانب البركان وتغطي السهول بضباب سميك لا تحلله الشمس ولا ينفذ منه ضوءها والغالب ان الصخور والاجزاء الصلبة من المادة البركانية والتوبال ونحوها تقذف الي علو زائد فيكون منها أعلا الفتحة حزمة نارية تكون أقوى شدة وضوءاً مما يصنع في الملاعب النيرانية الصناعية قال بعض علماء التلاسفة ان أسباب البراكين وأصل المواد البركانية فما عند الطبيعيين فيها الآراء فرضية غير مؤسسة على أصول قوية مع انها تظهر للحس نيرة مقبولة لكن اذا قوبلت بالمشاهدات والامور الواقعية ذهبت ساقطة متروكة والذي نجزم به ان سبب البراكين وأصل مستنتاجاتها من الامور الغامضة عنا اه \* وقد ذكر وافي كيفية الاستدلال بالارض على وجود الاله القادر المختار وجوها

منها انا نشاهد تغير الارض في جميع صفاتها أعني حصولها في احيازها وألوانها  
 وطعومها ونشاهد ان كل واحد من أجزاء الجبال والصخور الصم يمكن كسرها  
 وازالتها عن مواضعها وجعل العالي سافلا والسافل عاليا واذا كان الامر كذلك  
 ثبت ان اختصاص كل واحد من أجزاء الارض بما هو عليه من المكان والحيز  
 والمماسة والقرب من بعض الاجسام والبعد من بعضها ممكن التغير والتبدل واذا  
 ثبت ان اتصاف تلك الاجرام بصفاتها أمر جائز وجب افتقارها في ذلك  
 الاختصاص الى مدبر قديم عليم سبحانه وتعالى عن قول الظالمين وأيضا ان كون  
 الارض أزيد مقدارا مما هو الآن معقول وكونها أنقص منه أيضاً معقول واذا  
 كان كذلك كان اختصاصها بذلك المقدار المعين مع جواز حصول الازيد والانتقص  
 اختصاصا بامر جائز وذلك يجب ان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو  
 الله سبحانه فانظر كيف خلق الارض فراشا ومهادا وسلك فيها سبلا فجاء وجعلها  
 ذلولا لتمشوا في مناكبها وجعلها قارة لا تتحرك وأرسي فيها الجبال ثم وسع  
 اكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وان طالت أعمارهم وكثر  
 تطوافهم قال تعالى والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنم  
 الماهدون وقد اكثر في كتابه العزيز من ذكر الارض ليتفكر في عجائبها فانظر  
 الى الارض وهي مية فاذا انزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وانبتت  
 عجائب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب  
 الارض بالجبال الراسيات الشواخ الصم الصلاب وكيف أودع المياه  
 تحتها فقجر العيون واسال الانهار تجري على وجهها واخرج من الحجارة اليابسة  
 ومن التراب الكدر ماء رقيقا صافيا زلالا وجعل به كل شيء حي فاخرج به  
 كل شيء حي فاخرج به فنون الاشجار والنبات فانظر في الاودية وهي منبت  
 أحسن الاشجار ومجنى الازهار والاثمار ومنشأ السرور وانسراح الصدور

ومع ان منها ما يعد جنة نعيم لا ترى فيه الاظلاظيلا وماء سلسيلا ولا تسمع الاصفير بلبل وهديل حمام وبنغام ظباء وسجع يمام حول تلك الرياض المزهرة والاشجار المثمرة والجداول المنحدرة من كل ما يجلب المسرة ويهدى للمين قررة فنها ما هو كدار الجحيم ليس فيه الا الموت الزؤام وباليات العظام وذلك كوادى الموت الذي هو قرب جاوا فهو واد بطنه رمضاء محرقة وقفر بلقع لانبات فيه ولا حيوان فلا يحله طائر ولا تدب فيه دابة ولا يكمن فيه وحش الا ويمالجه الموت الاحمر ولا يرى فيه الا الرمم البالية من عظام الحيوانات وهو الك الحشرات قال صاحب الرسالة الحميدية فمن جعل بعض وديان الارض دار النعيم وجعل بعضها دار الجحيم هل هو حركة اجزاء المادة أم المريد العليم \* وأما الاستدلال بالجبال فمن وجوه . الاول انها مخازن المياه التي تروي النبات والحيوان وانها مأوى الطيور والوحوش ومنبت الاشجار الصلبة الشاخنة التي هي مادة الاخشاب والوقود وانها الحواجز للبقاع المسكونة تحفظها من الرياح الباردة والحارة ثم منها ذو المناظر البهجة والنباتات المزهرة ومنها الاجرد الوعر الذي سلبت الامطار اتربته وبقيت صخوره تشبه هيكل عظام جرد عنها اللحم فكانت تلك الصخور مادة المران من الدور والحصون ومنها الجبل الناري الذي يقذف اللحم وينير الآفاق في الظلم ومنها ما يقضي على الانسان بالمجب . الثاني ما فيها من الكهوف التي هي مأوى الحيوانات ومن غرائبها الكهوف التي تبرد في الصيف حتى تجمد المياه التي داخلها وتسخن في الشتاء فيأوى اليها كثير من الحيوانات التي لا تقوي على برد الشتاء فسبحان اللطيف الخبير ومن غرائبها كهوف الموت التي لا يدخلها حيوان الامات في الحال فمن الكهوف حصون ومنها منون فسبحان الفاعل المختار . الثالث ما فيها من الاحجار المختلفة فني صغارها ما يصلح للزينة فتجعل فصوصا للخواتم

وفي كبارها ما يتخذ للابنية فانظر الى الحجر الذي تستخرج النار منه مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته ثم انظر الي كثرة النفع بذلك الحقيروقلة النفع بهذا الشربف . الرابع ما يحصل فيها من معادن الفلزات السبعة ومواقع الجواهر النفيسة وقد يحصل فيها معادن الزاجات والاملاح وقد يحصل فيها معادن النفط والقيروالكبريت فكون الارض واحدة في الطبيعة وكون الجبل واحدا في الطبع وكون تأثير الشمس واحدا في الكل يدل دليلا ظاهرا على ان الكل بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة المحدثات والممكنات . فانظر الي الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروز واللعل وغيرها من المعادن التي تولدت في أحشائها مختلفة الخواص متباينة الانواع والاصناف صالحة مع اختلافها وتباينها لمنافع سكان الارض فمنها الجامد والسائل والصلب وغير الصلب وقابل الانطباع تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وغير قابل الانطباع كالفيروز واللعل وقابل الذوبان وغير قابله والثقيل والخفيف والاصفر والابيض والاحمر والاسود وغير ذلك وكم فيها من مصالح للبشر باتخاذها آلات لطعامهم وشرابهم وأسلحتهم وبيوتهم وفلاحتهم وزراعتهم وأدويتهم فانظر كيف هدى الله الناس الي استخراجها وتنقيتها واتخاذ الاواني والآلات والنقود والحلي منها ثم تأمل فان البشر استخراجوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمكة من قعر البحر واستنزلوا الطير من أوج الهواء ثم عجزوا عن ايجاد الذهب والفضة والسبب فيه انه لا فائدة في وجودها الا الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة فالتقادر على ايجادها يبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونها بابا مسدودا اظهارا لهذه الحكمة وابقاء لهذه النعمة ولذلك فان مالا مضرة على الخلق فيه مكنهم منه فصاروا متمكنين من اتخاذ الشبة من النحاس

والزجاج من الرمل ونحو ذلك ثم انظر الي معادن الارض من النفط والكبريت والقار وغيرها وأقلها الملح ولا يحتاج اليه الا لتطيب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك اليها فانظر الي رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الاراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحاً مالحاً محرقالا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطيباً لطعامك اذا اكلته فهناً عيشك واذا تأمل العاقل في هذه اللطائف والمجائب اضطر في افتقار هذه التدابير الي صانع حكيم مقتدر عليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ثم اننا نرى من خواص المعادن غرائب تعجز عقولنا عن تعليلها تعليلاً يقتنع به العقل واذا بحث فيها العاقل اضطر الي الاعتراف بان لها مخصصاً قادراً مختاراً حكيماً وذلك كالمنطيس المعدن الغريب صاحب خاصية الجذب لثله وللحديد والقولاذ وقد ظهر ان تلك الخاصية تحصل للحديد عند توفر شروط عادية وبسبب ذلك حصل الانتفاع في مصالح عديدة وقد عللوا تلك الخاصية بان قالوا ان سبب جذب المنطيس لما ذكر هو من حركة اجزائه الفردة وترتيب اوضاعها وهذا علة وهمية فان حركة اجزائه الفردة غير محسوسة ولكن مع تسليم هذه العلة فهل هي علة عقلية يقتنع العقل بها في حدوث الجذب المذكور عنها فان قالوا نعم قلنا لهم لم نتج عن تلك الحركة والوضع جذب ما ذكر ولم ينتج عن ذلك جذب بقية المعادن من نحو الذهب والنحاس وأيضا كيف ان المنطيس اذا التصق بقضيب من حديد وجذبه اكسبه خاصية ذلك الجذب من دون ان يخسر من قوته شيئاً فيصير ذلك القضيب يجذب كجذب المنطيس مادام ملتصقاً به واذا انفصل عنه بطلت منه تلك الخاصية وتقولون لتلك الحالة التي طرأت على الحديد تمنط مؤقت وأما اذا التصق المنطيس بقضيب من القولاذ اكتسب ذلك القضيب خاصية ذلك الجذب ودامت فيه ولو انفصل عن المنطيس وكذلك اذا ذلك

قضيبي الفولاذ بالمغناطيس اكتسب تلك الخاصية دائماً ويقال لذلك تمتنط صناعي فكيف حصل ذلك الاكتساب بمجرد ملامسة المغناطيس لقضيبي الحديد والفولاذ أتغيرت أوضاع أجزائهما ولو كانا بطول ممتد وإذا كان الأمر كذلك فهل رجع الوضع لأصله في قضيبي الحديد ولو في لحظة من الزمان وبقي في قضيبي الفولاذ أم الحال غير ذلك وأوضحوا لنا هذا الفرق بين الحديد والفولاذ بل والحديد الصلب فانه بحكم الفولاذ يكتسب خاصية الجذب وتدوم معه بعد الانفصال وأيضا أنكم تقولون ان قوة الجذب في المغناطيس في طرفي القطعة منه وكلما اقتربنا لوسطها نجد أن القوة قد ضعفت حتى تكاد تغيب عند الوسط تماما وإذا قسمت تلك القطعة من عند وسطها رجع الطرف الذي عند القطع ذاقوة قوية كما في الطرف الاصل فكيف ضعفت القوة عند الوسط وقويت في الطرفين وكيف قويت في الطرف المفصول بعد القطع أبا لقطع تغير وضع الاجزاء مع ان وضعها لا يتغير باقوي العوامل الخارجية أم الأمر كان لغير ذلك وايضا اذا لمس المغناطيس قضيبي الحديد أو الفولاذ من طرفه وتمتنط القضيبي فلا بد أن تكون القوة في الطرف الآخر من ذلك القضيبي تامة وأما القوة في وسطه فهي قريبة التلاشي فاذا تقولون هل الحركة وتغير وضع الاجزاء قد وصلا الي ذلك الطرف عن طريق غير الوسط أم حرا على الوسط فضعفا عنده ثم قويا بعد مجاوزته وما الذي أعاد لهما تلك القوة بعد الضعف وايضا تقولون ان المغناطيس يفقد قوة الجذب عند حصول الزلزلة ثم تعود اليه بعد مضيها وعلى ذلك عملت الآلة التي تنبه على قرب حصول الزلزلة فيحترس منها فما السبب لتغير وضع الاجزاء وتبدل الحركة عند الزلزلة وكيف كان ذلك ولم كان ذلك فهذه أسئلة لا تقدر على أجوبة شافية عنها بل غاية ماتنتهون اليه ان تقولوا هكذا خاصة المغناطيس لها تيك الاعمال ونحن نقول أيضا كذلك

ولكن نسألکم من الذى خصها بذلك أحركة الاجزاء بما ينشأ عنها من ترتيب  
وضعها تعمل تلك الاعمال الباهرة التي عجزت عقولکم عن تعليلها بما يقنع  
العقل أم الذى خصص ذلك التخصيص واتقن تلك الاعمال هو القادر المريد  
العليم وبالحق ان المغناطيس من أعجب الاشياء وفوائده من أحسن الفوائد  
اذ بالابرة المغنيطيسية سلكت البحار والقفار وأمن السفار من الاخطار اذ  
هى المرشد الامين والهادى المبين فسبحان من هدى الانسان سبيل الرشاد  
بقطعة معدن من دوانى الجمد . والوجه الخامس من الاستدلال باحوال الجبال  
ان منها تتفجر العيون والانهار كما قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه  
الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وفي ذلك آية عظيمة فان الثلج يقع  
اكثره على الجبال ليقيم مدة يتحلب ماؤه الى بواطنها ومخازنها التي فى جوفها  
فتخزنه لمنافع المخلوقات ولو كان لا ينزل على الارض الا المطر لانه ينحدر بسرعة  
من رؤس الجبال ثم ان الارض اجزاؤها بحكم المادة لا تصعد ونحن نرى  
منابع الانهار والعيون فى المواضع المرتفعة وهى الجبال وذلك دليل القدرة  
والاختيار وان الماء صعد من المواضع المتسفلة الى الاماكن المرتفعة بامر الله  
وجري فى الاودية الى البقاع التي انعم الله على أهلها فارتوي بمائها الارض والحيوان  
فى مدة الصيف ونشأ عنه الرياض والجنان قال صاحب الفلسفة الحققة من يتدبر  
فى كيفية التدبير الذى ينزل تبماله الثلج وينحدر من قمة الجبل يأخذ العجب  
والاندهاش لانه لا يخفى أن الثلج لو بقى فى قمة الجبل لما أمكن الشمس أن تذيب منه  
شيأ لشدة انخفاض الحرارة فى قمم الجبال الشاخنة ولونزل باكله الى أسفل الجبل  
لذاب دفعة واحدة وأفاض الانهار وأغرق البلاد وانصب مرة واحدة فى البحار  
فتبقى الانهار طول سنتها تشكي الجفاف ويهلك تبعا لذلك السواد الاعظم من  
الناس ولكن لا يحصل ولن يحصل ان شاء الله ذلك لان الثلوج لا تنزل الا

شيئاً فشيئاً إلى أسفل الجبال بهندسة بديعة جداً وقد حسب علماء الفلاسفة أن  
 التلوج لا تزيد سرعة انحدارها سنوياً عن مائة متر حتى لا تذهب مياهها  
 هباءً منتشوراً ولولا هذا الوضع البديع لذهبنا فريسة الظمأ والقَيْظ فالجبال اذن  
 حكمتها لا تقدر فلولاها لما وجدت أنهار الدنيا العظيمة فهي كخزن للمياه  
 موضوعة على نسق يقصر العقل عن الاحاطة بسره اه وقال الامام حجة  
 الاسلام ان الارض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق  
 الله تعالى النجوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها باذنه إلى أقطار الارض  
 وهي سحب ثقيل حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسله مداراً على الاراضي في  
 وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة  
 للمياه تنفجر منها العيون تدريجاً فلو خرجت دفعة لفرقت البلاد وهلك الزرع  
 والمواشي وقال أيضاً ومن آياته البحار العميقة المكتنزة لاقطار الارض التي هي  
 قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من  
 البوادي والجبال من الماء بالاضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية  
 الارض مستورة بالماء قال النبي صلى الله عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل  
 في الارض فانسب اصطبلاً إلى جميع الارض واعلم ان الارض بالاضافة إلى  
 البحر مثله وقد شاهدت عجائب الارض وما فيها فتأمل الآن عجائب البحر  
 فان عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أضعاف عجائب ما تشاهده على وجه  
 الارض كما ان سعته اضعاف سعة الارض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام  
 ما ترى ظهورها في البحر فتظن انها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران  
 اذا اشتعلت فتتحرك ويعلم انها حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر  
 من فرس أو طير أو بقر أو انسان الا وفي البحر أمثاله وأضعافه وفيه أجناس لا يعهد  
 لها نظير في البر وقد ذكرت أوصافها في مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر



وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوره في صدفه تحت الماء وانظر  
 كيف أنبت المرجان من صم الصخور وتحت الماء وإنما هو نبات على هيئة  
 شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عدها من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها  
 البحر وتستخرج منه ثم انظر الي عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على  
 وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الاموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل  
 اثقالهم ثم ارسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف الملاحين موارد الرياح  
 ومهابها ومواقيتها ولا يستقصي على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات  
 وأعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية فطرة الماء وهو جسم  
 رقيق لطيف سيال مشف متصل الاجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب  
 سريع القبول للتقطع كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به  
 حياة كل ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد الى شربة  
 ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا في تحصيلها لو ملك  
 ذلك ثم لو شربها ومنع من اخراجها لبذل جميع خزائن الارض وملك الدنيا  
 في اخراجها فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر  
 ويفقل عن نعمة الله في شربة ماء اذا احتاج الى شربها والاستفراغ عنها بذل جميع  
 الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والانهار والآبار والبحار فقيها متسع للفكر ومجال  
 وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها منفضحة عن  
 جلال بارئها معربة عن كمال حكيمته فيها منادية أرباب القلوب بنجاتها قائلة  
 لكل ذي لب أما تراني وتري صورتي وتركيبتي وصفاتي ومنافعي واختلاف  
 حالاتي وكثرة فوائدني أتظن اني كوّنت نفسي أو خلقتني أحد من جنسي اه  
 كلام الامام حجة الاسلام ونذكر هنا شيئاً مما أشار اليه من عجائب الانهار والبحيرات  
 والبحار . أما الانهار فانه يوجد منها نهيرات وانهار كثيرة يحصل في مصابها

في بعض أزمنة من السنة حادث موجي أي صفيحة مائية يظهر كأنها تأتي  
 من سطح البحر وتصعد على التيار بسرعة غريبة فتجذب السفن العظيمة  
 معها أحيانا أو تبتلعها في جوفها ثم تقذفها على الشاطئ وتهدم في سيرها السريع  
 الموانع التي تلاقيها بحيث لا تعوق سيرها بل تمر منها وحوافى النهر  
 تتغير عن الحالة التي كانت عليها قبل ظهور تلك الموجة وفي أفريقية والآسيا  
 انهار يوجد في مياهها حادث غريب تحير فيه الراصدون واستغربوه في  
 جميع الأزمنة السالفة وذلك ان تلك المياه تدخل في باطن الارض من  
 محل ثم تخرج منها بمقدار وافر وفوة عظيمة من محل آخر بعيد عن محلها  
 الاول ويوجد نهيرات لا مصب لها فتفقد مياهها في الرمال وفي الاراضي  
 الآجامية وفي يلوبونيس من بلاد اليونان نهر يسمى القيه يخرج من  
 جبل أرقاضية ويدخل في سهول اليده ثم يمر على اولبيا ويفقد ماؤه في  
 الارض قبل أن يصل الي البحر . واما البحيرات فمنها ما يرتفع فيها المياه حتي  
 تساوي حافة حوضها بل ربما ملأت الحوض كله وجاوزته فأثضة منه ومنها  
 ما يفقد ماؤه في تجاوزيف تحت الارض ثم بعد زمن ما يخرج منها بقوة مختلفة  
 وهذا لعظم شأنه وخفاء أصله وجهل منشأه أدهش أفكار ذوي الالباب ولم  
 يقفوا على معرفته وتوضيحه ومنها بحيرات لا تأتيها بحسب المشاهدة مياه جارية  
 ومع ذلك تخرج منها مياه كثيرة وبحيرات تأتيها مياه ولا يشاهد في الظاهر  
 خروج شيء منها ومنها بحيرات تصب فيها جميع أنواع التيارات ومع ذلك  
 لا يشاهد لها فوهة تسيل منها المياه وتوجد هذه البحيرات خصوصا في داخل  
 الافريقية والآسيا وبحر الخرز هو أعظم بحيرات هذا النوع فالت هذه الحوادث  
 علي أن الارض مسخرة لامر الله تعالى في تصريف تلك المياه كما يعلم ذلك من  
 قوله تعالى في قصة طوفان نوح عليه السلام وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء

أقلعي وغيض الماء وقضى الامر وقد يشاهد في البحيرات حوادث مخصوصة تستغرب غاية الاستغراب من اشهرها جفاف بحيرة جينورة والانتظام الدوري في بحيرة سر كيت في البرية ودوي مستنقع بيجاني ببلاد البرتغال ورياح بحيرة بولسلاو في بهيمة المسماة أيضا ببلادجه واضطراب بحيرة لومون في ابقوسيا ووتير في بلاد أسويج والعمق المزدوج القابل للتنقل في كثير من تلك الاحواض . وأما البحار فمع ان طبيعتها السكون وعدم الجري يوجد فيها تيارات سرعتها تختلف كاختلاف سرعة تيارات المياه الارضية التي هي الانهار والنهيرات وغيرها فمنها تيار البحر المحيط المسمى أوقيانوس ويسمي هذا التيار التيار الكبير الاستوائي وسماه ملاحو الشمال غلفستريم يعنى جون الاضطراب ويمتد هذا التيار من عرض ست عشرة درجة الى ثلاثين من كل جانب من خط الاستواء ويبتديء الاستشمار بحركته من الجنوب الغربي لجزائر أسوره وتكون ضعيفة جدا من عرض خمس وعشرين درجة الى خمسة عشر وتكون قرب خط الاستواء أقل ثباتا في اتجاهها منها في عرض عشر درج أو خمسة عشر والتيار الاستوائي في البحر الاطلنطي يتجه نحو موردة هندوراس ثم ينقلب الى جون مكسيك وينقذف بقوة في خليج بهمة وذلك في ست وعشرين وسبع وعشرين درجة في العرض الشمالى وهناك يكتسب سرعة تقرب من اجتياز ميترين في الثانية وغلفستريم يسمي عند مخرج خليج بهمة تيار فلو ريده فيتجه للشمال الشرقي ويسير على هيئة سيل فيجتاز خمسة أميال في الساعة ثم تتناقص سرعته ويزيد عرضه فيكون عرضه بين كبو بسكينو وكوم بهمة خمسة عشر فرسخا وفي عرض ثمان وعشرين درجة سبعة عشر فرسخا وفي موازاة شرلستون يكون من اربعين فرسخا الى خمسين وكلما تقدم جهة الشمال تناقصت سرعته حتى لا يكون الا ميلا في الساعة وفي عرض احدى

وأربعين درجة مع سبع وستين درجة طولاً يبلغ عرض التيار ثمانين فرسخاً بحرية ومن هناك يتجه الى المشرق وحافته الغربية بتقوسها تهدم طرف الكوم العظيم للارض الجديدة التي سماها بعضهم بحاجز مصب النهر البحري الكبير ثم ان هذا التيار من طول اثنين وخمسين درجة الى جزائر أسوره لا يزال آخذاً في الاتجاه جهة المشرق وجهة شرق الجنوب المشرق ثم من شرقي جزائر أسوره يتجه جهة بنغاز جبل الطار وجزائر الحالدات وبقرب هذا البنغاز يتجه جهة الشرق الحقيقي ثم ان هذا التيار المشرق في محاذة الرأس الابيض بعد ان يمتد على ساحل افريقيه يتقوس ويتجه أولاً جهة الجنوب الغربي وينتهي بان تنضم مياهه بمياه التيار الاصيل اعني غلفستريم ولا يشاهد فيما بين ثمان وعشرين الى خمس وثلاثين درجة في العرض الشمالي وست وأربعين الى ثمان وأربعين درجة في الطول حركة دائمة ولا منتظمة ويفصل بين التيار الاستوائى والتيار الذى يتجه نحو المشرق منطقة عرضها مائة وأربعون فرسخاً ويوجد لغلفستريم في عرض خمس وأربعين الى خمسين فرع ثمان يتجه من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى جهة سواحل أوربا وقد بحث الطبيعيون على توضيح حادث التيار الاستوائى ولم يقدرُوا على توضيح تلك المسألة المهمة ولا على معرفة الاصل الصحيح لهذا الحادث المهم نفعه في الاسفار البحرية ومن كان عاقلاً علم أن حدوث تلك الحوادث انما هو بقدره الصانع المختار الحكيم كما قال تعالى الله الذى سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامرہ ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وهناك تيارات مخصوصة تتجه من القطب الشمالى كالجنوبى نحو المناطق المعتدلة والاقطار الاستوائية وتكون تلك التيارات القطبية قوية في بحر الشمال وعلى سواحل اغرونلند واسلنده ولا بونيا وبنغاز بيرين ونحو ذلك غير ان في هذا البنغاز المذكور قد يشاهد في أزمنة من السنة تيار قوي جداً يتجه من الجنوب الى الشمال عكس اتجاه التيار الذى يشاهد

في العادة وتشاهد تلك التيارات أيضا في النصف الجنوبي في أرض النار وزلنده  
 الجديدة وأرض ونديمين ورأس بونسبرنس أعني حيث ينتهي كل من الأفريقية  
 والجزائر الأوقيانوسية والأميريقية بأطراف متجهة جهة القطب ويوجد في جون  
 غسقوني تيار يتجه إلى الشمال الشرقي ويوجد في ساحل الأفريقية الغربية بين  
 التيار الاستوائي والساحل تيار جنوبي شرقي يذهب باستقامة في جون  
 غينا ويوجد في شاطئ دور تيار يتجه في جميع الفصول من الشمال إلى الجنوب  
 ويتسلطن في البحر المحيط الهندي تيار عظيم يتجه من المشرق إلى المغرب  
 وهو ذنب من غلفستريم الذي في المحيط المعتدل ولا يشاهد هذا التيار في  
 شمال خط الاستواء الأدوريا ومياه بحر الهند تتجه من شهر أيار لتشرين أول  
 إلى الخليج الفارسي المسمى بالبحر الأخضر وكانها تخرج منه في مدة الأشهر  
 الستة التالية وتيار السواحل يكاد أن يكون مخالفا لتيار الأباحة وتيار البحر  
 الأحمر يتجه نحو الشمال من شهر تشرين الأول إلى شهر أيار فهو يخالف  
 تيار الخليج الفارسي في ذلك الزمن نفسه أما في الأشهر الستة التالية فتخرج  
 التيارات من البحر الأحمر مع قوة عظيمة بحيث تمنع أحيانا دخول السفن في  
 ذلك البحر وتيار البحر المتوسط الآتي له من المحيط الغربي يتبع الساحل  
 الشمالي للأفريقية ثم يصعد جهة الشمال على سواحل الشام وكانه يقف في  
 جزيرة كريت ثم يتجه جهة الجنوب ويسير على طول سواحل سيسيليا أي  
 صقلية ثم يلطم السواحل الشرقية لجزيرة الأندلس وذكر بعضهم أن التيارات  
 العميقة على سواحل جنويز أمام رأس دلة عقب الأمطار الغريزة تتجه إلى  
 المغرب مع سرعة عظيمة وتتجه عكس ذلك في الزمن الصحو فانظر أي نسبة  
 بين هذه التيارات وحالة الجو والتيارات في خليج القسطنطينية وبغاز اسلامبول  
 وبحر جزائر الروم تتجه دائما جهة الحوض الكبير للبحر المتوسط وهناك محال

كثيرة شاهد فيها الملاحون والمسافرون تيارات مزدوجة أعنى تياراً سفلياً وتياراً علوياً يتجه كل منهما الى جهة مخالفة لاتجاه الآخر مثال ذلك بغاز جبل الطار وبهمة وغيرها وهناك أيضاً تيارات كثيرة تحرك وتثير سطح البحار ومن أعظمها دوامات الاندلسيين فانها قد تكون قوية جداً بحيث تبتلع السفن وشوهد ذلك أيضاً في جون غينا وفي بحر الصين واليابونيا وغيرها ودوامة ملستريم التي هي مهواة شهيرة موضوعة على شاطئ نرويج في عرض ثمان وستين درجة هي دائماً مهواة مفزعة مهلكة وتقف في كل خمس ساعات من خمس دقائق الى عشرين دقيقة وتلحق السفن في الغالب من مسافة عشرة أميال انقلبية فتجذبها وتكسرهما على الصخور ويحصل مثل ذلك أيضاً للحيوانات الكبيرة البحرية مع ما لا يخفى من قوتها وسرعة حركاتها وتوجد أيضاً تلك التيارات المختلفة السريعة في أوريب قرب جزيرة أوبى المسماة بالتركية أي اغريوز وقوة سرعة هذه الدوامة ومعرفتها الغير التامة كما كانتا في زمن أرسطاطاليس كما اعترف به مشاهير علماء المتأخرين من الفلاسفة

— المطلب الثاني في كيفية التفكير في الارض وما فيها —  
 ﴿ من الجبال والبحار على مقتضى ما تدل عليه الآيات القرآنية ﴾

قال الله تعالى في سورة البقرة (الذي جعل لكم الارض فراشا) أي جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للعمود عليها والنوم فيها كاللبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحاً حقيقياً فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها قال الامام نخر الدين واعلم ان كون الارض فراشا مشروط بامور \* الشرط الاول كونها ساكنة وذلك لانها لو كانت متحركة لكانت حركتها اما بالاستقامة

أو بالاستدارة فان كانت بالاستقامة لما كانت فراشا لنا على الاطلاق لان  
 من طفر من موضع عال كان يجب ان لا يصل الى الارض لان الارض  
 هاوية وذلك الانسان هاوي والارض أثقل من الانسان والثقلان اذا نزلا  
 كان أثقلهما اسرعهما والابطأ لا يلحق الاسرع فكان يجب ان لا يصل  
 الانسان الى الارض فثبت انها لو كانت هاوية لما كانت فراشا اما لو كانت  
 حركتها بالاستدارة لم يكمل ارتفاعنا بها لان حركة الارض مثلا اذا كانت  
 الى المشرق والانسان يريد ان يتحرك الى جانب المغرب ولا شك ان حركة  
 الارض أسرع فكان يجب ان يبقى الانسان على مكانه وانه لا يمكنه الوصول  
 الي حيث يريد هذا كلام الامام نجر الدين وهو ظاهر فان حركة الارض  
 اذا كانت مضادة لحركة الانسان وهي أقوى من حركته فانها تغلب على حركته  
 فلا يمكنه ان يتحرك ولا ان يصل الي مقصوده قال فلما أمكنه ذلك علمنا  
 ان الارض غير متحركة لا بالاستدارة ولا بالاستقامة فهي ساكنة ثم اختلفوا  
 في سبب ذلك السكون على وجوه . أحدها ان الارض لانهاية لها من  
 جانب السفلى واذا كان كذلك لم يكن لها مهبط فلا تنزل وهذا فاسد لما  
 ثبت بالدليل من تنهاى الاجسام وتناهيها الذين سلموا تنهاى الاجسام قالوا الارض  
 ليست بكرة بل هي كمنصف كرة وحدبتها فوق وسطحها أسفل وذلك السطح  
 موضوع على الماء والهواء ومن شأن الثقل اذا انبسط ان يندغم على الماء  
 والهواء مثل الرصاصة فانها اذا انبسطت طفت على الماء وان جمعت رسبت  
 وهذا باطل لوجهين . الاول ان البحث عن سبب وقوف الماء والهواء  
 كالبحث عن سبب وقوف الارض . الثاني لم صار ذلك الجانب من الارض  
 منبسطا حتى وقف على الماء وصار هذا الجانب متحدبا . وثالثها الذين قالوا  
 سبب سكون الارض جذب الفلك لها من كل الجوانب فلم يكن انجذابها

الى بعض الجوانب أولى من بعض فبقيت في الوسط وهذا باطل لوجهين . الاول ان الاصغر أسرع انجذاباً من الاكبر فما بال الذرة لا تنجذب الى الفلك . الثاني الاقرب أولى بالانجذاب فالذرة المقذوفة الى فوق أولى بالانجذاب وكان يجب أن لا تعود . ورايها قول من جعل سبب سكونها دفع الفلك لها من كل الجوانب كما اذا جعل شيء من التراب في قنينة ثم أديرت القنينة على قطبها ادارة سريعة فانه يقف التراب في وسط القنينة لتساوى الدفع من كل الجوانب وهذا أيضاً باطل من وجوه خمسة . الاول الدفع اذا بلغ في القوة الى هذا الحد فلم لا يحس به الواحد منا . الثاني ما بال هذا الدفع لا يجعل حركة السحب والرياح الى جهة بعينها . الثالث ما باله لم يجعل انتقالها الى المغرب أسهل من انتقالها الى المشرق . الرابع يجب أن يكون الثقيل كلما كان أعظم أن تكون حركته أبطأ لان اندفاع الاعظم من الدافع القاسر أبطأ من اندفاع الاصغر . الخامس يجب أن تكون حركة الثقيل النازل من الابتداء أسرع من حركته عند الانتهاء لانه عند الانتهاء أبعد من الفلك . وخامسها ان الارض بالطبع تطلب وسط الفلك وهو قول ارسطاطاليس وجمهور أتباعه ونقول ان الاجسام متساوية في الجسمية فاختصاص البعض بالصفة التي لأجلها تطلب تلك الحالة لا بد وأن يكون جائزاً فيفتقر فيه الى الفاعل المختار . وسادسها ان النصف الاسفل من الارض فيه اعتمادات صاعدة والنصف الاعلى فيه اعتمادات هابطة فتدافع الاعتماد ان فلزم الوقوف . والسؤال عليه ان اختصاص كل واحد من النصفين بصفة مخصوصة لا يمكن الا بالفاعل المختار فثبت بما ذكرنا أن سكون الارض ليس الا من الله تعالى وعند هذا نقول انظر الى الارض لتعرف انها مستقرة بلا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها اما انها لا علاقة فوقها فمشاهد على انها لو كانت معلقة بعلاقة



لا تحتاج العلاقة الى علاقة أخرى لا الي نهاية وبهذا الوجه ثبت أنه لا دعامة تحتها فعلنا انه لا بد من ممسك يمسكها بقدرته واختياره ولهذا قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده . الشرط الثاني في كون الارض فراشا لنا أن لا تكون في غاية الصلابة كالجرقان النوم والمشى عليه مما يؤلم البدن وأيضاً فلو كانت الارض من الذهب مثلاً لتعدرت الزراعة عليها ولا يمكن اتخاذ الابنية منه لتعذر حفرها وتركيبها كما يراد وأن لا تكون في غاية اللين كالماء الذي تنوص فيه الرجل . الشرط الثالث أن لا تكون في غاية اللطافة والشفافية فان الشفاف لا يستقر النور عليه وما كان كذلك فانه لا يتسخن من الكواكب والشمس فكان يبرد جدا فجعل الله كونه أغبر ليستقر النور عليه فيتسخن فيصلح أن يكون فراشا للحيوانات . الشرط الرابع أن تكون بارزة من الماء لان طبع الارض أن يكون غائصاً في الماء فكان يجب أن تكون البحار محيطة بالارض ولو كانت كذلك لما كانت فراشاً لنا فقلب الله طبيعة الارض وأخرج بعض جوانبها من الماء كالجزيرة البارزة حتي صلحت لان تكون فراشاً لنا \* وقال تعالى في سورة البقرة أيضاً ( والفلك ) عطف على ما في الآية قبله والمعنى ان آيات لقوم يعقلون حاصلة في السفن ( التي تجرى في البحر ) على وجه الماء وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب تحت الماء وتقبل وتدبر بريح واحدة ( بما ينفع الناس ) أي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من أنواع المنافع أو بنفعهم قال الامام نخر الدين في كيفية الاستدلال بجريان الفلك في البحر على وجود الصانع تعالى وتقدس هي من وجوه . أحدها ان السفن وان كانت من تركيب الناس الا انه تعالى هو الذي خلق الآلات التي بها يمكن تركيب هذه السفن فلو لا خلقه لها لما أمكن ذلك . وثانيها لولا الرياح المعينة على تحريكها

لما تكامل النفع بها . وثالثها لولا هذه الرياح وعدم عصفتها لما بقيت ولما سلمت  
ورابعها لولا تقوية قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض فصيرها  
الله تعالى من هذه الوجوه مصلحة للعباد وطريقا لمنافعهم وتجاراتهم . وخامسها  
انه خص كل طرف من أطراف العالم بشيء معين وأحوج الكل الى الكل  
فصار ذلك داعيا يدعوهم الي اقتحام هذه الاخطار في هذه الاسفار ولولا انه  
تعالى خص كل طرف بشيء وأحوج الكل اليه لما ارتكبوا هذه السفن  
فالحامل ينتفع به لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل اليه . وسادسها تسخير  
الله البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان البحر اذا هاج وعظم الهول فيه اذا أرسل  
الله الرياح فاضطربت أمواجه وتقلبت مياهه . وسابعها أن الاودية العظام مثل  
جيحون وسيحون تنصب أبدا الي بحيرة خوارزم على صفرها ثم ان بحيرة  
خوارزم لا تزداد البتة ولا تمتد فالخلق سبحانه وتعالى هو العالم بكيفية حال  
هذه المياه العظيمة التي تنصب فيها . وثامنها مافي البحار من الحيوانات العظيمة  
ثم ان الله تعالى يخلص السفن عنها ويوصلها الي سواحل السلامة . وتاسعها  
مافي البحار من هذا الامر العجيب وهو قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان  
بينهما برزخ لا يبغيان وقال هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج  
ثم انه تعالى بقدرته يحفظ البعض عن الاختلاط بالبعض وكل ذلك مما  
يرشد العقول والالباب الي افتقارها الي مدبر يدبرها ومقدر يحفظها \* وقال  
تعالى في سورة الانعام ( قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ) أي قل  
تقريrahم بانفراده تعالى بالالهية من ينجيكم من مخاوفهما وشدائدهما الهائلة  
التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة  
البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذوكواكب وحقيقة الكلام فيه انه  
يشدد الامر عليه ويشتبه عليه كيفية الخروج ويظلم عليه طريق الخلاص ومنهم

من حمله على حقيقته فقال أما ظلمات البحر فهي ان تجتمع ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة السحاب ويضاف الرياح الصعبة والامواج الهائلة اليها فلم يعرفوا كيفية الخلاص وعظم الخوف وأما ظلمات البر فهي ظلمة الليل وظلمة السحاب والخوف الشديد من هجوم الاعداء والخوف الشديد من عدم الاهتداء الي طريق الصواب (تدعونه) أي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له أو من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتم (تضرعا وخفية) أي تدعونه متضرعين جهارا ومسررين أو تدعونه دعاء اعلان وإخفاء (لئن أنجيتنا) أي تدعونه قائلين لئن أنجيتنا (من هذه) الظلمات والشدائد وخلصتنا من الهلاك (لنكونن من الشاكرين) أي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة أو جميع النعماء التي من جلتها هذه والمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان الا الى الله تعالى وهذا الرجوع يحصل ظاهرا وباطنا لان الانسان في هذه الحالة يمظم اخلاصه في حضرة الله تعالى وينقطع رجاؤه عن كل ما سوى الله تعالى وهو المراد من قوله تضرعا وخفية فيبين تعالى انه اذا شهدت الفطرة السليمة والحلقة الاصلية في هذه الحالة بانه لاملجأ الا الى الله ولا تعويل الا على فضل الله ووجب ان يبقى هذا الاخلاص عند كل الاحوال والاوقات لكنه ليس كذلك فان الانسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة يحيل تلك السلامة الى الاسباب الجسمانية ويقدم على الشرك (قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب) أي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الي كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب (ثم أتم) بعد ما شاهدون من هذه النعم الجليلة (تشركون) به ولا تشكرون \* وقال تعالى في سورة يونس (هو) أي الله (الذي يسيركم) أي يمكنكم من السير تمكيننا مستمرا عند الملازمة به وقبلها (في البر) مشاة وركبانا (والبحر حتى اذا كنتم في الفلك) أي السفن

وتقدير الكلام كأنه قيل هو الذي يسيركم حتى اذا وقع في جملة تلك التسييرات  
الحصول في الفلك كان كذا وكذا قال العلامة أبو السعود وغاية التسيير ليست  
ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبغي عنه ايثار الكون  
المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث ( وجرين ) أى السفن ( بهم )  
بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايدان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض  
عنه كأنه يذكر لغيرهم مساوى أحوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار  
والتقبيح ( بريح طيبة ) لينة الهبوب موافقة لمقصودهم ( وفرحوا بها ) بتلك  
الريح لطيبها وموافقتها ( جاتها ) جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة  
أى تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها ( ريح عاصف ) أى شديدة  
الهبوب فازعجت سفينتهم واساءتهم ( وجأهم الموج ) فى الفلك ( من كل مكان )  
يعتاد مجيء الموج منه أو من جميع الجوانب بحسب أسباب تتفق له ( وظنوا  
انهم أحيط بهم ) أى ان الهلاك قد أحاط بهم وسدت عليهم مسالك الخلاص  
كن أحاط بهم العدو ( دعوا الله ) بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعائهم  
ملابس لظنهم الهلاك ملابسة للزوم أو استئثاف مبني على سؤال ينساق  
اليه الاذهان كأنه قيل فماذا صنعوا فقبل دعوا الله ( مخلصين له الدين ) من غير  
ان يشركوا به شيئاً ( لئن أنجيتنا ) اللام موطنة للقسم على ارادة القول أى  
قائلين والله لئن أنجيتنا ( من هذه ) الاهوال والشدائد ( لنكونن ) ألبتة بعد  
ذلك أبداً ( من الشاكرين ) لنعمك التى من جلتها هذه النعمة المسؤلة ( فلما  
أنجاهم ) مما غشهم من المكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة ( اذاهم  
ينغون فى الارض ) أى فاجثوا الفساد فيها وسارعوا الي ما كانوا عليه من  
التكذيب والشرك والجرأة على الله تعالى ( بغير الحق ) أى حال كونهم ملتبسين  
بغير الحق واعلم ان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة

للمقصود وحصل له الفرح التام والمسرة القوية ثم قد تظهر علامات الهلاك  
 دفعة واحدة . فاولها ان تبيثهم الرياح العاصفة الشديدة . وثانيها ان تأتيهم  
 الامواج العظيمة من كل جانب . وثالثها ان يغلب على ظنونهم ان الهلاك  
 واقع وان النجاة ليست متوقعة ولا شك ان الانتقال من تلك الاحوال الطيبة  
 الموافقة الى هذه الاحوال القاهرة الشديدة يوجب الخوف العظيم والرعب  
 الشديد وأيضا مشاهدة هذه الاحوال والاهوال في البحر مختصة بايجاب  
 مزيد الرعب والخوف ثم ان الانسان في هذه الحالة لا يطمع الا في فضل الله  
 ورحمته ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع  
 أجزائه متضرعا الى الله تعالى ثم اذا نجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة ونقله  
 من هذه المضرة القوية الى الخلاص والنجاة ففي الحال ينسى تلك النعمة ويرجع  
 الى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والاخلاق الذميمة \* وقال تعالى في  
 سورة الرعد ( وهو الذي مد الارض ) أى بسطها طولا وعرضا قال الامام  
 نجر الدين ان الشيء اذا تزايد حجمه ومقداره صار كان ذلك الحجم وذلك المقدار  
 يمتد فقوله وهو الذي مد الارض اشارة الى ان الله سبحانه هو الذي جعل  
 الارض مختصة بذلك المقدار المعين الحاصل له لا أزيد ولا أنقص والدليل  
 عليه ان كون الارض أزيد مقدارا مما هو الآن وانقص منه أمر جائز ممكن  
 في نفسه فاخصاصه بذلك المقدار المعين لا بد وان يكون بتخصيص وتقدير  
 مقدر وقال أبو بكر الاصم المدهو البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقوله وهو  
 الذي مد الارض يشعر بأنه تعالى جعل حجم الارض حجما عظيما لا يقع البصر  
 على منتهاه لان الارض لو كانت أصغر حجما مما هي الآن عليه لما كمل الانتفاع  
 به ( وجعل فيها رواسي ) أى جيالا ثوابت في احيائها غير منتقلة عن مكانها  
 لا تتحرك ولا يتحرك ما هي راسية فيه وهذا لا بد وان يكون بتخليق القادر

الحكيم ( وانهارا ) مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في معمولية فعل واحدا. اشارة الى ان الجبال منشأ للانهار وبيان لفائدة أخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلاء \* وقال تعالى في سورة الرعد أيضا ( وفي الارض قطع متجاورات ) أي بقاع مختلفة في الاوصاف وهي مع ذلك متجاورة أي متقاربة ومتلاصقة فبعضها تكون طيبة تنبت وبعضها سبخة لا تنبت وبعضها صالحة للزرع لا للشجر وبعضها بالعكس وبعضها قليلة الربيع وبعضها كثيرة وبعضها تكون رخوة وبعضها تكون صلبة وبعضها تكون حجرية أو رملية وبعضها يكون طينا لزجا ولولا مخصص قادر موقع لافعله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع وانتظامها في جنس الارضية وتأثير الشمس وسائر الكواكب في تلك القطع على السوية \* وقال تعالى في سورة ابراهيم ( وسخر لكم الفلك ) بان اقدركم على صنعها واستعمالها بما ألهكم كيفية ذلك ( لتجري في البحر ) جريا تابدا لارادتكم ( بامرهم ) بمشيئته التي نيط بها كل شيء. قال الامام نجر الدين الفلك من الجمادات فتسخيرها مجاز والمعنى انه لما كان يجري على وجه الماء كما يشتهي الملاح صار كانه حيوان مسخر له واعلم انه وان كان تركيب السفن من أعمال العباد الا انه لما كان فعل العبد خلق الله تعالى كانت السفن مسخرة لله تعالى بهذا المعنى وأيضا لولا انه تعالى خلق الاشجار الصلبة التي منها يمكن تركيب السفن ولولا خلقه للحديد وسائر الآلات ولولا تعريفه العباد كيف يتخذونه ولولا انه تعالى خلق الماء على صفة السيالان التي باعتبارها يصح جري السفينة ولولا خلقه تعالى الرياح وخلق الحركات القوية فيها ولولا انه وسع الانهار وجعل فيها من العمق ما يجوز

جري السفن فيها لما وقع الانتفاع بالسفن فصار لاجل انه تعالى هو الخالق لهذه الاحوال وهو المدبر لهذه الامور والمسخر لها حسنت اضافة السفن اليه وأضاف ذلك التسخير الي أمره لان الملك العظيم قلما يوصف بأنه فعل وانما يقال فيه انه أمر بكذا تمظيما لشأنه ومنهم من حمّله على ظاهر قوله انما أمرنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون وتحقيق هذا الوجه راجع الى ما ذكرناه (وسخر لكم الانهار) ان أريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يوميء اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنائهم وما أشبه ذلك وان أريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم واعلم أن ماء البحر قلما ينتفع به في الزراعات لاجرم ذكر تعالى انعامه على الخلق بتفجير الانهار والعيون حتى ينبعث الماء منها الي مواضع الزرع والنبات وأيضا ماء البحر لا يصلح للشرب والصالح لهذا المهم هو مياه الانهار \* وقال تعالى في سورة الحجر (والارض مددناها) بسطناها ومهدناها للسكنى (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت شبه الجبال الرواسي استحقرارها واستقلالها بمددها وان كانت خلقا عظيما بحصيات قبضهن قابض بيده فنبذهن وما هو الا تصوير لعظمته وتمثيل لقدرته وان كل فعل عظيم يتخير فيه الاذهان فهو هين عليه والمعنى وجعلنا في الارض رواسي بقدرتنا الباهرة وحكمتنا البالغة (وانبتنا فيها) أي في الارض (من كل شيء موزون) بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وذلك أن هذا العالم عالم الاسباب والله تعالى انما يخلق المعادن والنبات والحيوان بواسطة تركيب عناصر هذا العالم فلا بد وأن يحصل من الارض قدر مخصوص ومن الماء والهواء كذلك ومن الحرارة والبره والرطوبة بسبب الشمس والكواكب مقدار مخصوص ولو قدرنا حصول الزيادة على ذلك القدر المخصوص أو النقصان عنه لم تتولد المعادن والنبات

والحيوان فالله سبحانه وتعالى قدرها على وجه مخصوص بقدرته وعلمه وحكمته فكانه تعالى وزنها بميزان الحكمة حتى حصلت هذه الانواع وقيل المراد أنه سبحانه وتعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس وينتفعون به فثبت تعالى في الارض ذلك المقدار وقيل المراد ما يوزن من الذهب والفضة وغيرها أو من كل شيء مستحسن مناسب أو ما يوزن ويقدر من أبواب النعمة \* وقال تعالى في سورة النحل (وما ذرأ لكم في الارض) عطف على ما قبله في الآية أي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات حال كونه (مختلفا ألوانه) أي أصنافه في الخلقة والهيئة والكيفية وفي تفسير العلامة أبي السعود مختلفا ألوانه أي أصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخر لله تعالى أولا خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات أو جعل ذلك مختلفا الالوان أي الاصناف لتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وفي بحر العلوم مختلفا ألوانه هيأته من خضرة وبياض وحمرة وسواد وغير ذلك (ان في ذلك لآية لقوم يذكرون) فيرون أن اختلافها في الطباع والاشكال والهيآت والمناظر مع اتحاد المواد ليس الا بصنع صانع حكيم عليم (وهو الذي سخر البحر) أي جعله بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد (لتأكلوا منه لحما طريا) لا تجد أنم منه ولا ألين ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى أكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبيء عنه جعل البحر مبدأ أكله وللإيدان بكمال قدرته تعالى فانه لما أخرج من البحر الملح الزعاف اللحم الطري في غاية العذوبة علم انه انما حدث لا بحسب الطبيعة بل بقدره الله وحكمته حيث أظهر الضد من الضد (وتستخرجوا منه حلية) كالأؤلؤ والمرجان (تلبسونها وتري الفلك مواخر فيه) مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من الخمر وهو شق الماء وقيل هو صوت جرى الفلك (ولتبتغوا) عطف على



لتأكلوا وقوله وترى الفلك الخ اعترض لتمهيد مبادئ الابتغاء أو عطف على علة  
 محذوفة أي لتبتغوا بذلك ولتبتغوا أو متعلقة بفعل محذوف أي وفعل ذلك  
 لتبتغوا أي لتطلبوا (من فضله) أي من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلمكم  
 تشكرون أي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بادائها بالطاعة والتوحيد  
 وأعمل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر لأنه أقوى في باب الانعام من  
 حيث أنه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (وألقى في الأرض  
 رواسى أن تميد بكم) أي كراهة أن تميل وتتحرك أو ثلاثا تميد بكم قال الامام  
 نغر الدين ان الأرض كرة وهذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى  
 خشونات تحصل على وجه هذه الكرة فلو فرضنا ان هذه الخشونات  
 ما كانت حاصلة بل كانت الأرض كرة حقيقية خالية عن الخشونات  
 والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بادني سبب أما لما حصل  
 على ظاهر سطح كرة الأرض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه  
 الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بثقله نحو مركز العالم وتوجه  
 ذلك نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجري الوند  
 الذي يمنع كرة الأرض من الاستدراة فكان تخليق هذه الجبال على وجه  
 الأرض كالأوتاد المغروزة في الكرة الممانعة لها عن الحركة المستديرة فكانت  
 مانعة للأرض من الميول والميل وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان الأرض  
 بسطت على الماء فكانت تنكفيء باهلها كما تنكفيء السفينة لانها بسطت على  
 الماء فارساها لله تعالى بالجبال الثقال (وانهارا وسبلا) يعني وجعل فيها طرقا  
 مختلفة تسلكونها في اسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان  
 الى مكان (لعلكم تهتدون) ارادة ان تهتدوا بها الى مقاصدكم (وعلامات)  
 اي وجعل فيها معالم بها يهتدى من جبل وسهل ومياه واشجار وريح قال

الامام نجر الدين ورأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يتعرفون  
 الطرق \* وقال تعالى في سورة الاسري ( ربكم الذي يزجي لكم الفلك في  
 البحر ) مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم  
 الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها بقدرته الكاملة ويسيرها على وجه البحر  
 ( لتبتغوا من فضله ) من رزقه الذي هو فضل من قبله ( انه كان بكم ) ازلا  
 وأبدا ( رحيا ) حيث هيألكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يسر من  
 أسبابه ( واذا مسكم الضر في البحر ) خوف الغرق ( ضل من تدعون ) اي  
 ذهب عن خواطركم كل من تدعون في حوادثكم وتستغيثون ( الا اياه )  
 تعالي فانكم تدعونه وحده لانكم في شدة لا يكشفها الا هو أو ضل كل  
 من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله ( فلما نجاكم )  
 من الغرق وأوصلكم ( الى البر اعرضتم ) عن التوحيد أو اتسعت في كفران  
 النعمة ( وكان الانسان كفورا ) لنعم الله بسبب ان عند الشدة تمسك بفضله  
 تعالي ورحمته وعند الرخاء والراحة يرض عنه ويركن الى غيره ويتمسك  
 بالعلل والاسباب ( أفأنتم ) الهمة للانكار والفاء للعطف على محذوف  
 تقديره أنجوتم فأنتم ( ان يخسف بكم جانب البر ) الذي هو مأمركم وفي  
 زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه  
 وتعالي وقهره وسلطانه ( أو يرسل عليكم ) من فوقكم ( حاصبا ) ريحاً ترمي  
 بالحصباء ( ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ) يحفظكم من ذلك أو يصرفه عنكم فانه لا راد  
 لامره الغالب ( أم أنتم ان يعيدكم فيه ) في البحر ( تارة أخرى ) بخلق دواعي  
 تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه ( فيرسل عليكم ) وأنتم في البحر ( قاصفاً  
 من الريح ) وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته أو التي لها قصيف وهو الصوت  
 الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر ( فيفرقكم ) بعد كسر فلككم كما ينبيء عنه

عنوان القصف ( بما كفرتم ) بسبب اشراركم أو كفرانكم لنعمة الانجاء ( ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيحا ) أي نأثرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودر كالتأثر من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها \* وقال تعالى في سورة طه ( الذي جعل لكم الارض مهدا ) أي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها أو ذات مهد وهو المكان المهد الموطأ أو المراد انه تعالى جعلها بحيث يتصرف العباد وغيرهم عليها بالعمود والقيام والنوم والزراعة وجميع وجوه المنافع ( وسلك لكم فيها سبلا ) أي أدخل وسهل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاوادية والبراري تسلكونها من قطر الي قطر لتقضوا منها ما ربيكم وتنتقموا بمنافها ومرافها \* وقال تعالى في سورة الانبياء ( وجعلنا من الماء كل شيء حي ) أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء أو كما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل أو صيرنا كل شيء حي من الماء أي بسبب منه لا بد له من ذلك وقال بعضهم أي وأحيينا بالماء كل شيء من الحيوان وغيره وذلك لانه سبب حياة كل شيء فيدخل فيه النبات والشجر لانه من الماء صار ناميا وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر ( أفلا يؤمنون ) انكار لعدم ايمانهم بالله وحده مع ظهور ما يوجه حتما من الآيات الآفاقية والانفسية الدالة على تفرد عز وجل بالالوهية وعلى كون ماسواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للمطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق أي أيعلمون ذلك فلا يؤمنون ( وجعلنا في الارض رواسي أن تمشي بهم وجعلنا فيها ) أي في الرواسي أو في الارض ( فجاجا ) أي مسالك واسعة ( سبلا ) بدل من فجاجا أي مذلة للسلوك ولولا ذلك لمسر أو لتعذر الوصول الى بعض البلاد ( فاعلمهم يهتدون ) أي الي مصالحهم ومهماتهم \* وقال تعالى في

سورة الحج ( ألم تر ان الله سخر لكم ما في الارض ) أي جعل ما فيها من  
الاشياء مذلة معدة لمتاعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا أصاب من  
الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وقد سخرها لكم وسخر  
الحيوانات أيضاً حتى ينتفع بها من حيث الاكل والركوب والحمل عليها فلو لا  
ان سخر الله تعالى الابل والبقر مع قوتها حتى يذللها الضعيف من الناس  
ويتمكن منهما لما انتفع بهما أحد ( والفلك ) أي وسخر لكم الفلك وافردها  
بالذكر وان اندرجت بطريق العموم تحت ما في قوله ما في الارض لظهور  
الامتنان بها ولان تسخيرها أعجب من سائر المسخرات ( تجري في البحر  
بأمسه ) حال من الفلك وكيفية تسخيره الفلك هو من حيث سخر لها الماء  
والرياح ولولا ذلك لما جرت بل كانت تعوص أو تقف أو تعطب فنبه تعالى  
على نعمه بذلك وبأن خلق ما تعمل منه السفن وبان بين كيف تعمل \* وقال تعالى في  
سورة الفرقان ( وهو الذي مرج البحرين ) أي خلاهما متجاورين متلاصقين  
بميت لا يمازجان ( هذا عذاب فرات ) قاع للعطش لغاية عذوبته والمقصود  
من الفرات البليغ في العذوبة حتى يصير الى الخلاوة ( وهذا ملح أجاج ) بليغ  
الملوحة مر محرق بملوحته ومرارته لا يصلح لسقي ولا شرب ولولا ملوحته  
لا جن وانتشر فساد أجونه في الأرض وأحدث الوباء العام ( وجعل بينهما  
برزخا ) المقصود انه سبحانه بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وجعل من  
من عظيم اقتداره برزخا حائلا من قدرته ( وحجرا محجورا ) أي تنافرا  
مفرطا كان كلا منهما يتعود من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك  
كدجلة نهر بغداد تنصب الى بحر فارس وتدخل فيه وتشقه وتجري في خلاله  
فراسخ لا يتغير طعمها كما ان الماء الذي يجري في نهر طبرية نصفه بارد

ونصفه حار فلا يختلط أحدهما بالآخر ومثل النيل المبارك والبحر الاخضر وهو بحر فارس الذي هو شعبة من البحر الهندي الذي يتصل بالبحر المحيط وذلك ان بحر النيل يدخل في البحر الاخضر قبل ان يصل الى بحيرة الزنج ويختلط به ولولا اختلاطه بملوحة لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته كذا في روح البيان قال ولا نهاية لقدرة الله فقد ذكروا ان بحيرة تنيس تصير عذبة ستة أشهر وتصير ملحا أجا جاستة أشهر كذا دأبها أبدأ ويحتمل كما ذكره الامام نخر الدين ان المراد من البحر العذب الاودية العظام كالنيل وجيحون ومن الاجاج البحار الكبار قال وجعل بينهما برزخا أي حائلا من الارض ووجه الاستدلال ههنا بين لان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض أو الماء فلا بد من الاستواء وان لم يكن كذلك فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة خاصة معينة \* وقال تعالى في سورة النمل ( أم من جعل الارض قرارا ) اضراب وانتقال من التبيكيت بما قبله الى التبيكيت بوجه آخر أدخل في الالزام بجهة من الجهات أي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما تدور عليه منافعهم وذكر الامام نخر الدين في كون الارض قرارا وجوها . الاول انه دحاها وسواها للاستقرار . الثاني انه تعالى جعلها متوسطة في الصلابة والرخاوة فليست في الصلابة كالحجر الذي يتألم الانسان بالاضطجاع عليه وليست في الرخاوة كالماء الذي يفوص فيه . الثالث انه تعالى جعلها كثيفة غبراء ليستقر النور عليها ولو كانت لطيفة لما استقر النور عليها ولو لم يستقر النور عليها لصارت من شدة بردها بحيث تموت الحيوانات . الرابع انه سبحانه جعل الشمس بسبب ميل مدارها عن مدار منطقة الكل بحيث تبعد تارة وتقترب أخرى من سمت الرأس ولولا ذلك لما اختلفت الفصول ولما حصلت المنافع .

الخامس انه سبحانه وتعالى جعلها ساكنة فانها لو كانت متحركة لكانت اما متحركة على الاستقامة أو على الاستدارة وعلى التقديرين لا يحصل الانتفاع بالسكنى على الارض . السادس انه سبحانه جعلها كفانا للاحياء والاموات وانه يُطرح عليها كل قبيح ويخرج منها كل مبيع ( وجعل خلالها ) أوساطها ( أنهاراً ) جارية ينتفعون بها وعبارة الخطيب أي جارية على حالة واحدة فلو اضطربت الارض أدنى اضطراب لتغيرت مجاري المياه ( وجعل لها رواسي ) أي جبالاً أثبت بها الارض على ميزان دبره سبحانه وتعالى في مواضع من أرجائها بحيث تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يحصى ( وجعل بين البحرين ) أي المذب والمالح أو خليجي فارس والروم ( حاجزا ) من قدرته أي برزخا معنويا مانعا أحدهما ان يختلط بالآخر ( أإله مع الله ) معين له على ابداع هذه البدائع ( بل اكثرهم لا يعلمون ) توحيد ربهم وقدرته وسلطانه بل هم كالبهايم لاعراضهم عن هذا الدليل الواضح \* وقال تعالى في سورة لقمان ( وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم أن تميد بكم ) كما هو شأن ما على ظهر الماء وعبارة العلامة أبي السعود أن تميد بكم كراهة أن تميل بكم فان بساطة أجزائها تقتضي تبديل احيائها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بجزء معين ووضع مخصوص اه قال الامام نجر الدين واعلم ان الارض ثباتها بسبب ثقلها والا كانت تزول عن موضعها بسبب المياه والرياح ولو خلقها مثل الرمل لما كانت تثبت للزراعة كما ترى الاراضي الرملية ينتقل الرمل الذي فيها من موضع الي موضع ( وبث فيها من كل دابة ) من كل نوع من أنواعها مع كثرتها واختلاف أجناسها وعبارة الامام نجر الدين وبث فيها من كل دابة أي سكون الارض فيه مصلحة حركة الدواب فاسكننا الارض وحركنا الدواب

ولو كانت الارض متزلزلة وبعض الاراضي يناسب بعض الحيوانات لكانت الدابة التي لا تعيش في موضع تقع في ذلك الموضع فيكون فيه هلاك الدواب أما اذا كانت الارض ساكنة والحيوانات متحركة تتحرك في المواضع التي تناسبها وتعيش فيها ( وأنزلنا من السماء ماء فانبثنا فيها من كل زوج كريم ) كثير المنافع أو كريم بماله من البهجة والنضرة الجالبة للسرور قال الامام نخر الدين هذه نعمة أخري أنعمها الله على عباده وتمامها بسكون الارض لان البذر اذا لم يثبت الى أن ينبت لم يكن يحصل الزرع ولو كانت أجزاء الارض متحركة كالرمل لما حصل الثبات ولما كل النبات والالتفات الي نون العظمة في الفعلين فيه حكمة من وجهين . أحدهما ان خلق الارض ثقيلًا والسماء في غير مكان قد يقع لجاهل انه بالطبع وبث الدواب يقع لبعضهم انه باختيار الدابة لان لها اختيارا فيقول الاول طبيعي والآخر اختياري للحيوان ولكن لا يشك أحد في أن الماء في الهواء من جهة فوق ليس طبعًا فان الماء لا يكون بطبعه فوق ولا اختيارا اذ الماء لا اختيار له فهو بإرادة الله تعالي فقال وأنزلنا من السماء ماء . الثاني هو ان انزال الماء نعمة ظاهرة متكررة في كل زمان متكررة في كل مكان فاسنده الي نفسه صريحًا ليتنبه الانسان لشكر نعمته فيزيد له من رحمته \* وقال تعالي في سورة لقمان أيضا ( ألم تر أن الفلك ) أي السفن كبارا وصغارا ( تجري في البحر ) أي على وجه الماء ( بنعمت الله ) باحسانه في تهيئة أسبابه وهو استشهاد على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه ( ليرى من آياته ) أي بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وعبارة الخطيب أي عجائب قدرته ودلائله التي تدلكم على انه الحق الذي أثبت بوجود وجوده ما ترون من الاحمال الثقال على وجه الماء الذي ترسب فيه الابرّة فما دونها ( ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ) تليل لما قبله أي ان فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة

في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكير في  
الانفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل  
لكل مؤمن (واذا غشيهم) أي علام وأحاط بهم (موج كالظلل) كلما يظل  
من جبل أو سحاب أو غيرها (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ما ينازع  
القطرة من الهوي والتقليد بما دهام من الدواهي والشدائد (فلما نجاهم إلى البر  
البر ففهم مقتصد) أي مقيم على الطريق القصد السوي الذي هو التوحيد أو  
متوسط في الكفر لانهجاره في الجملة (وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار) غدار فانه  
نقض للعهد القطري أو رفض لما كان في البحر والختر أشد العدر وأقبحه  
(كفور) مبالغ في كفران نعم الله تعالى واعلم انه لما ذكر الله تعالى ان في ذلك  
لآيات ذكر ان الكل معترفون به غير ان البصير يدركه أولا ومن في بصيرته  
ضعف لا يدركه أولا فاذا غشيته موج ووقع في شدة اعترف بان الكل من  
الله ودعاه مخلصا أي يترك كل من عذاه ويندى جميع من سواه فاذا نجاه من  
تلك الشدة قد يبقى على تلك الحالة وهو المراد بقوله فمنهم مقتصد وقد يعود  
إلى الشرك وهو المراد بقوله وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور \* وقال تعالى  
في سورة فاطر (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه) يسهل  
انحداره لئله من اللذة والملائة للطبع (وهذا ملح أجاج ومن كل) أي من كل  
واحد من البحرين المختلفين طعاما (تأكلون) أي من السمك المنوع إلى أنواع  
تفوت الحصر (لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) قال الامام نضر الدين  
الظاهر ان المراد منه ذكر دلائل على قدرة الله وذلك من حيث ان البحرين  
يستويان في الصورة ويختلفان في الماء فان أحدهما عذب فرات والآخر ملح  
أجاج ولو كان ذلك بايجاب لما اختلف المتساويان ثم انهما بعد اختلافها يوجد  
منهما أمور متشابهة فان اللحم الطري يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما ومن



يوجد في المتشابهين اختلافاً ومن المختلفين اشتباهاً لا يكون الاقارداً مختاراً وقوله وما يستوى البحرين إشارة الى ان عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ ارادته ( وترى الفلك فيه ) أي في كل منهما ( مواخر ) شواق للماء بجريها هذه مقبلة وهذه مدبرة وجهها الى ظهر هذه بريح واحدة ( لتبتغوا من فضله ) من فضل الله تعالى بالنقلة فيهما واللام متعلقة بمواخر ( ولعلكم تشكرون ) الله على ذلك \* وقال تعالى في سورة فاطر أيضاً ( ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد ) أي ذوجدد أي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وفي المفردات أي طرائق ظاهرة من قولهم طريق مجدود أي مسلك مقطوع ومنه جادة الطريق وفي الجبالين الطرائق تكون في الجبال كالعروق ( بيض وحمر مختلف ألوانها ) بالشدة والضعف ( وغرايب سود ) عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذوجدد ومنها ما هو على لون واحد غرايب سود أي صخور شديدة السواد كان قائلاً قال اختلاف الثمرات لاختلاف البقاع الا ترى ان بعض النباتات لا تنبت ببعض البلاد كالزعفران وغيره فقال تعالى اختلاف البقاع ليس الا بإرادة الله والافلم صار بعض الجبال فيه مواضع حمراء ومواضع بيضاء واعلم أن الله تعالى لما ذكر في الاول أخرجنا به ثمرات كان نفس اخراج الثمار دليلاً على القدرة ثم زاد عليه بيانا وقال مختلفا كذلك في الجبال في نفسها دليل للقدرة والارادة لان كون الجبل في بعض نواحي الارض دون بعضها والاختلاف الذي في هيئة الجبل فان بعضها يكون أخفض وبعضها أرفع دليل للقدرة والاختيار ثم زاده بيانا وقال جدد بيض أي مع دلالتها بنفسها هي دالة باختلاف ألوانها كما أن اخراج الثمرات في نفسها دلائل واختلاف ألوانها دلائل \* وقال تعالى في سورة يس ( وآية

لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبياتهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم في السفن أشق واستمسكهم فيها أبدع ( في الفلك المشحون ) المملوء والفائدة في تخصيص المشحون بالذكر ان الادمي يرسب في الماء ويفرق فحملة في الفلك واقع بقدرته تعالى لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب في الماء لان الخفيف يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون أثقل من الثقال التي ترسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله ( وخلقنا لهم من مثله ) مما يماثل الفلك ( ما يركبون ) من الابل فانه سفائن البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والمركبات البخارية فانه اذا كان بين الفلك والابل مناسبة حتى سموها سفائن البر فان المناسبة بين الفلك والمركبات البخارية أتم حيث ان الفلك تجرى بواسطة الرياح في البحار وهذه تجري في البر بقوة البخار وأما كون السفن البخارية مرادة في الآية فهو مما لا مرأه فيه لتحقق المماثلة فيها وحيثذ فالأخبار بما ذكر مع أنه لم يكن عند العرب منه خبر ولا أثر فيه اثبات لنبوة ورسالة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وجعل السفن مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامة بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ( وان نشأ نغرقهم ) أي مع ايجاد السفن وركوبهم لها اذ ركوبهم لا ينجي الا بفضل الله تعالى ( فلا صرئخ لهم ) أي فلا منغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه ( ولا هم ينقذون ) أي ينجون منه بعد وقوعه ( الارحمة منا ومتاعا ) أي لا يفتنون ولا ينقذون لشيء من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانتقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ( الي حين ) أي الي زمان قدر فيه آجالهم

\* وقال تعالى في سورة حم السجدة (قل أئنكم لتكفرون) انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام لتأكيد الانكار أو للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قال ( بالذي خلق الارض) لتفخيم شأنه تعالى واستمظام كفرهم به أي بالمعظيم الشأن الذي خلق الارض على سمعها وعظمتها (في يومين) في مقدار يومين أو في نوبتين فان اليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها (وتجعلون له اندادا) عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان مدارا الانكار هو التعدد أي وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد واعلم ان الاستدلال بكونه تعالى خالقا لارض في يومين وان كان لا يمكن تقريره الا بالسمع ووحى الانبياء والكفار كانوا منازعين في الوحي والنبوة الا ان اول التوراة لما كان مشتتلا على هذا المعنى وكان ذلك في غاية الشهرة بين أهل الكتاب وكفار مكة كانوا يمتقدون في أهل الكتاب انهم اصحاب العلوم والحقائق والظاهر انتم كانوا قد سمعوا من أهل الكتاب هذه المعاني واعتقدوا في كونها حقة فحينئذ يحسن ان يقال لهم ان الاله الموصوف بالقدرة على خلق هذه الاشياء العظيمة في هذه المدة الصغيرة كيف يليق بالعقل جعل الجهاد شريكا له في الالهية فظهر بما قررناه ان هذا الاستدلال قوي حسن (ذلك) العظيم الشأن الذي فعل ما ذكر من خلق الارض في يومين (رب العالمين) أي خالق جميع الموجودات وصريها دون الارض خاصة (وجعل فيها رواسي من فوقها) مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة وظاهرة للطلاب وليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستدلال ومراصد الاعتبار ومطرح الافكار ولو جعل فيها رواسي من تحتها لا وهم ذلك ان تلك الاساطين التحتانية

هي التي أمسكت هذه الارض الثقيلة عن النزول ولكنه تعالى قال خلقت هذه الجبال الثقال فوق الارض ليري الانسان بعينه ان الارض والجبال على اثقال وكلها مفتقرة الى ممسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر الا الله سبحانه وتعالى (وبارك فيها) البركة كثرة الخير والخيرات الحاصلة من الارض اكثر مما يحيط به الشرح والبيان (وقدر فيها اقواتها) أي اقوات أهلها بان عين لكل نوع ما يغني به وحكم بالفعل بان يوجد فيما سيأتي لأهلها من الاوع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة أو اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها فاضاف القوت الى الارض لكونه متولدا من تلك الارض حادثا فيها لانه يكفي في جنس الاضافة أدنى سبب فالشيء يضاف الى فاعله تارة والى محله أخرى أي قدر الاقوات التي يختص حدوثها با وذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع من الاشياء المطلوبة حتى ان أهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشياء المتولدة في تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات واكتساب الاموال لتنظيم عمارة الارض كلها باحتياج بعضهم الى بعض فكان جميع ما تقدم من ابداعها وايداعها ما ذكر من متاعها على مقدار لا تتعداه ومنهاج بديع دبره في الازل وارتماه وقدره فامضاه لا ينقض عن حاجة المحتاجين أصلا وانما ينقص توصلهم او توصل بعضهم اليه فلا يجده حينئذ ما يكفيه وفي الارض أضعاف أضعاف كفايته ( في أربعة أيام ) أي باليومين اللذين خلق فيهما الارض فهو على حذف مضاف أي تمام أربعة ايام (سواء) أي استوت تلك الايام سواء أي استواء يعني في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ( للسائلين ) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر في الاربعة للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها أو بقدر أي قدر فيها اقواتها لاجل السائلين أي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين \*

وقال تعالى في سورة شوري (ومن آياته الجوار) السفن الجارية ( في البحر كالاعلام ) أي كالجبال في العظم قال الامام نخرالدين اعلم أنه تعالى ذكر من آياته هذه السفن العظيمة التي تجرى على وجه البحر عند هبوب الرياح واعلم أن المقصود من ذكره أمران \* أحدهما أن يستدل به على وجود القادر الحكيم \* والثاني أن يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد \* أما الوجه الاول فنقول فيه هذه السفن العظيمة التي تكون كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على أسرع الوجوه وعند سكون هذه الرياح تقف وقد بينا بالدليل أن محرك الرياح ومسكنها هو الله تعالى اذ لا يقدر أحد على تحريكها من البشر ولا على تسكينها وذلك يدل على وجود الاله القادر وأيضا ان تلك السفينة تكون في غاية الثقل ثم انها مع ثقلها بقيت على وجه الماء وهو أيضا دلالة أخرى . وأما الوجه الثاني وهو معرفة ما فيها من المنافع فهو أنه تعالى خص كل جانب من جوانب الارض بنوع آخر من الامتعة واذا نقل متاع هذا الجانب الى ذلك الجانب في السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة في التجارة فهذه الاسباب ذكر الله تعالى حال هذه السفينة ثم قال تعالى ( ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكده على ظهره ) فييقين ثوابت على ظهر البحر أي غير جاريات لا غير متحركات أصلا ( ان في ذلك ) الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته تعالى ( لآيات ) عظيمة في أنفسها كثيرة في العمد دالة على ما ذكر من شؤنه تعالى ( لكل صبار شكور ) لكل من حبس نفسه عن التوجه الى مالا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في آلائه أو لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر ( أو يوبقهن ) عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن بعضها ( بما كسبوا ) أي أهلهن من الذنوب وايقاع الايباق عليهن

مع أنه حال أهلها للمبالغة والتهويل ( ويعف عن كثير ) منها فلا يفرق أهله  
وادخال العفو في حكم الايباق حيث جعل مجزوما مثله لما أن المعني أو يرسلها  
فيوبق ناساً وينج آخرين بطريق العفو عنهم ( ويعلم الذين يجادلون في آياتنا )  
عطف على علة مقدره مثل لينتقم منهم وليعلم الخ ( ما لهم من محيص ) أي  
مهرب من العذاب قال الامام نجر الدين معنى الآية وليعلم الذين يجادلون  
أي ينازعون على وجه التكذيب أن لا مخلص لهم اذا وقفت السفن واذا  
عصفت الرياح فيصير ذلك سبباً لاعترافهم بأن الاله النافع الضار ليس الا الله  
تعالى \* وقال تعالى في سورة الزخرف ( الذي جعل لكم الارض مهداً ) أي  
فراشاً قارة ثابتة كالمهد للصبي ولو شاء لجعلها مزلة لا يثبت فيها شيء كما ترون  
من بعض الجبال فالانتفاع بها انما حصل لكونها واقفة ساكنة ولاجل  
كونها موصوفة بصفات مخصوصة باعتبارها يمكن الانتفاع بها في الزراعة  
والأبنية وستر عيوب الاحياء والاموات ولما كان المهد موضع راحة الصبي  
جعل الارض مهداً لكثرة ما فيها من الراحة ( وجعل لكم فيها سبلاً )  
أي طرقاً تسلكونها في أسفاركم وذلك أن انتفاع الناس انما يكمل اذا قدر كل  
أحد أن يذهب من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم فهياً تعالى تلك السبل  
ووضع عليها علامات مخصوصة ليحصل الانتفاع ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك  
في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك ( لعلكم تهتدون ) أي لكي تهتدوا  
بسلوكمها الى مقاصدكم أو بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصل  
وقال تعالى في سورة الزخرف أيضاً ( وجعل لكم من الفلك والانعام  
ما تركبون ) أي ما تركبونه ( لتستروا على ظهوره ) أي لتستعملوا على ظهور  
ما تركبونه ( ثم تذكروا نعمه ربكم اذا استوتيم عليه ) أي تذكروها بقلوبكم  
معترفين بها مستعظمين لها وذلك الذكر هو أن يعرف ان الله تعالى خلق

وجه البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجه يتمكن الانسان من تصريف هذه السفينة أي جانب شاء وأراد فاذا تذكروا أن خلق البحر وخلق الرياح وخلق السفينة على هذه الوجوه القابلة لتصريفات الانسان ولتحريكاته ليس من ذلك الانسان وانما هو من تدبير الحكيم العليم القدير عرف ان ذلك نعمة عظيمة من الله تعالى فيحمله ذلك على الانقياد والطاعة له تعالى وعلى الاشتغال بالشكر لنعمة التي لا نهاية لها (وتقولوا) بألسنتكم متعجبين من ذلك جمما بين القلب واللسان (سبحان الذي سخر لنا هذا) أي الذي ركبناه سفينة كانت أودابة (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين ومعنى الآية ليس عندنا من القوة والطاقة ان نقرن هذه الدابة والفلك وان نطيقهما فسبحان من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته (وانا الي ربنا لمنقلبون) أي راجعون قال الامام نجر الدين ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله ان ركوب الفلك في خطر الهلاك فانه كثيرا ما تنكسر السفينة ويهلك الانسان وراكب الدابة أيضا كذلك لان الدابة قد يتفق لها اتفاقات توجب هلاك الراكب واذا كان كذلك فركوب الفلك والدابة يوجب تعريض النفس للهلاك فوجب على الراكب أن يتذكر أمر الموت وان يقطع انه هالك لا محالة وانه منقلب الى الله تعالى وغير منقلب من قضائه وقدره حتي لو اتفق له ذلك المحذور كان وطن نفسه على الموت \* وقال تعالى في سورة الجاثية (الله الذي سخر لكم البحر) بان جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخاقل كالأخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لمياعانه (لتجري الفلك فيه بامرهم) واتم ركبوها ولو كانت موقرة باثقال الحديد الذي يغوص فيه أخف شيء منه كالابرة وما دونها ففي ذلك دلالة ظاهرة على وحدانيته تعالى وقول الطبيعيين ان كل جسم ثقيل يغوص في الماء يخف ثقله بمقدار ما يعادله من الماء لا يمنع من الاستدلال بذلك علي قدرة

الله تعالى لان اتصاف الجسم الثقيل بالخفة ليس لذاته لما في ذلك من الجمع بين النقيضين وهو ان يكون ثقيلًا وليس بثقيل وهذا محال فلا بد حينئذ أن يكون الجسم الثقيل خف على الماء وبقي طافيا على وجهه بقدره الله تعالى (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص والصيد وغيرها (واملكم تشكرون) ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك قال الامام نجر الدين اعلم انه تعالى ذكر الاستدلال بكيفية جريان الفلك على وجه البحر وذلك لا يحصل الا بسبب تسخير ثلاثة أشياء. أحدها الرياح التي تجري على وفق المراد. وثانيها خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك. وثالثها خلق الخشبة على وجهه تبقي طافية على وجه الماء ولا تنغوص فيه وهذه الاحوال الثلاثة لا يقدر عليها واحد من البشر فلا بد من موجد قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى \* وقال تعالى في سورة الذاريات ( وفي الارض آيات للموقنين ) أي دلائل واضحة على شؤنه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط المهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلتحج بالوان النبات وانواع الاشجار وأصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتها واعتلالهم \* وقال تعالى في سورة الذاريات أيضا ( والارض فرشناها ) مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها ( فنعم الماهدون ) أي نحن ( ومن كل شيء ) أي من الاجناس ( خلقنا زوجين ) أي نوعين ذكرًا وأنثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك قال المنطقيون المراد بالشيء الجنس وأقل ما يكون تحت الجنس نوعان فمن كل جنس خلق نوعين من الجوهر مثلا المادى والمجرد ومن المادى النامى والجامد ومن النامى المدرك



والنبات ومن المدرك الناطق والصامت ( لعلكم تذكرون ) أى فعلنا ذلك كله  
كى تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل وانه فرد لا كثرة فيه \* وقال تعالى في  
سورة الرحمن ( مرج البحرين ) أى أرسلها من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى  
أرسل البحر المالح والبحر العذب ( يلتقيان ) أى يتجاوران ويتماس سطوحهما لافصل  
بينهما فى مرأى العين وقيل أرسل بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما  
خليجان ينشعبان منه ( بينهما برزخ ) أى حاجز من قدرة الله عز وجل ( لا يبغيان )  
أى لا يبغي أحدهما على الآخر بالمازجة وابطال الخاصية وفى الخطيب أسى  
لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه لافى الظاهر ولا فى الباطن فتى حفرت  
على جنب الملح فى بعض الاماكن وجدت الماء العذب وان قربت قال  
البقاعي بل كلما قربت كان أحلى نخلطها سبحانه فى رأى العين وحجز بينهما  
فى غيب القدرة اه قال الامام فخر الدين انه تعالى خلق فى الارض بحاراً  
تحيط بها الارض وبيعض جزاؤها يحيط الماء وخلق بحراً محيطاً بالارض  
وعليه الارض وأحاط به الهواء كما قال به أصحاب علم الهيئة وورد به  
أخبار مشهورة وهذه البحار التى فى الارض لها اتصال بالبحر المحيط  
ثم انهما لا يبغيان على الارض ولا يغطيانها بفضل الله تعالى لتكون  
الارض بارزة بتخذها الانسان مكاناً وعند النظر الى أمر الارض يحار  
الطبيعى ويتلجلج فى الكلام فان عندهم موضع الارض بطبعه أن يكون  
فى المركز ويكون الماء محيطاً بجمع جوانبه فاذا قيل لهم فكيف ظهرت الارض  
من الماء ولم ترسب يقولون لانجذاب البحار الى بعض جوانبها \* فان قيل  
لماذا انجذب فالذى يكون عنده قليل من العقل يرجع الى الحق ويجعله بارادة  
الله تعالى ومشيتته والذى يكون عديم العقل يحمل سببه من الكواكب وأوضاعها  
واختلاف مقابلاتها وينقطع فى كل مقام مرة بعد أخرى وفى آخر الامر اذا

قيل أوضاع الكواكب لم اختلفت على الوجه الذي أوجب البرد في بعض الارض  
 دون بعض آخر صار كما قال تعالى فهت الذي كفر ويرجع الى الحق ان هداه  
 الله ثم قال قوله تعالى مرج البحرين أي أرسل بعضهما في بعض وهما عند  
 الارسال بحيث يلتقيان أو من شأنها الاختلاط والالتقاء ولكن الله تعالى منعهما  
 عما في طبيعتهما وعلى هذا يلتقيان حال من البحرين ويحتمل ان يقال من  
 محذوف تقديره تركهما فهما يلتقيان الى الآن ولا يمتزجان وعلى الاول فالفائدة  
 في قوله يلتقيان اظهار القدرة في المنع فانه اذا أرسل الماءين بعضهما على بعض  
 وفي طبيعتهما بخلق الله وعادته السيلان والالتقاء ويمنعهما البرزخ الذي هو  
 قدرة الله أو بقدرة الله يكون أدل على القدرة مما اذا لم يكونا على حال يلتقيان  
 وفيه اشارة الى مسألة حكيمية وهي ان الحكماء اتفقوا على ان الماء له حيز واحد  
 بعضه يجذب الي بعض كأجزاء الزئبق غير ان عند الحكماء المحققين ذلك باجراء  
 الله تعالى ذلك عليه وعند من يدعي الحكمة ولم يوفقه الله من الطبيعيين يقول  
 ذلك له بطبعه فقوله يلتقيان أي من شأنهما ان يكون مكانهما واحدا ثم انهما  
 بقيا في مكانين متميزين فذلك برهان القدرة والاختيار . وعلى الوجه الثاني  
 المائدة في قوله يلتقيان بيان القدرة أيضا على المنع من الاختلاط فان الماءين  
 اذا تلاقيا لا يمتزجان في الحال بل يبقيان زمانا يسيرا كالماء المسخن اذا غمس  
 اناء مملوء منه في ماء بارد ان لم يمكث فيه زمانا لا يمتزج بالبارد لكن اذا دام  
 مجاورتهما فلا بد من الامتزاج فقال تعالى مرج البحرين خلاهما ذهابا الى ان  
 يلتقيا ولا يمتزجا فذلك بقدرة الله تعالى ثم قال تعالى بينهما برزخ لا يبغيان  
 اشارة الى ما ذكرنا من منعه اياها من الجريان على عادتهما والبرزخ الحاجز  
 وهو قدرة الله تعالى في البعض وبقدرة الله في الباقي فان البحرين قد يكون  
 بينهما حاجز أرضي محسوس وقد لا يكون وقوله لا يبغيان فيه وجهان \*

أحدهما من البني أي لا يظلم أحدهما على الآخر بخلاف قول الطبيعي حيث يقول  
 الما أن كلاهما جزء واحد فقال هما لا يبغيان ذلك \* وثانيهما ان يقال لا يبغيان  
 من البني بمعنى الطالب أي لا يطلبان شيئاً وعلى هذا فيه وجه آخر وهو ان  
 يقال ان يبغيان لا مفعول له معين بل هو بيان انهما لا يبغيان في ذاتهما ولا  
 يطلبان شيئاً أصلاً بخلاف ما يقول الطبيعي انه يطلب الحركة والسكون في  
 موضع عن موضع اه واعلم ان المتأخرين من الطبيعيين يقولون ان ماء البحر  
 العذب أخف من ماء البحر المالح فلذلك يطفوا ماء البحر العذب على وجه  
 البحر المالح ولا يختلط به فنقول لهم لو اتينا بقدرين مملوء أحدهما من الماء  
 العذب والآخر من الماء المالح وصبنا أحدهما في الآخر هل يطفو العذب  
 على وجه المالح أو يختلطان لاشك أنهما يختلطان وحينئذ فما الذي يمنع البحر  
 المالح من الاختلاط بالبحر العذب او تغلب أحدهما على الآخر حتي ينصب  
 فيه ويكون ماؤها واحدا سوى قدرة الله تعالى ( فباي آلاء ) أي نعم ( ربكما  
 تكذبان ) وليس من البحر ين شي يقبل التكذيب ( يخرج منهما اللؤلؤ ) الدر  
 ( والمرجان ) الحرز الاحمر المشهور ( فباي آلاء ربكما تكذبان ) أبكثرة النعم  
 من خلق المنافع في البحار وتسليطكم عليها واخراج الحلى العجيبة أم بغيرها ( وله  
 الجوار ) أي السفن الجاريات ( المنشآت ) المرتفعة أو المرفوعات الشرع  
 أو المحدثات ( في البحر كالأعلام ) أي التي رفعت في البحر كالأعلام والتي تجري  
 في البحر كالأعلام أي كأنها الجبال والمقصود بيان القدرة فان الجبال لا ترتفع  
 على الماء ولا تجري الا بقدرة الله تعالى ( فباي آلاء ربكما تكذبان ) من خلق  
 مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب  
 لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه \* وقال تعالى في سورة الحديد  
 ( وانزلنا الحديد ) أي المعروف على وجه من القوة والصلابة واللين قال الحسن

رحمه الله وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان  
أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقال بعضهم المعنى وأخرجنا  
الحديد من المعادن لان المعدل انما يكون بالسياسة والسياسة مفتقرة الى العدة  
والعدة مفتقرة الى الحديد وأصل الحديد ماء وهو منزل من السما وقال بعضهم  
انزلنا هنا بمنى انشانا وأحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى أخرج لهم الحديد  
من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامة وقال قطرب انزلنا أي هيئنا من النزل  
يقال أنزل الامير على فلان نزلا حسنا ( فيه باس شديد ) وهو القتال به فمنه  
جنة وهي آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب أوقوة شديدة  
يعنى السلاح للحرب لان آلات الحرب انما تتخذ منه (ومنافع للناس) أي ومنه  
ما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفاأس والابرة ونحو ذلك وما من صنعة  
الا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها ثم ان مصالح العالم اما أصول واما فروع  
أما الاصول فاربعة الزراعة والحياكة وبناء البيوت والسلطنة وذلك لان الانسان  
مضطر الى طعام يأكله وثوب يلبسه وبناء يجلس فيه والانسان مدنى بالطبع فلا  
تم مصالحته الا عند اجتماع جمع من ابناء جنسه ليشتغل كل واحد منهم بمهم خاص  
حينئذ ينتظم من الكل مصالح الكل وذلك الانتظام لا بدوان يفضي الى المزاحمة  
ولا بد من شخص يدفع ضرر البعض عن البعض وذلك هو السلطان فثبت انه  
لا تنتظم مصالح العالم الا بهذه الحرف الاربعة ومن المعلوم انها لا تتم ولا تكمل  
الا بالحديد وعند هذا يظهر ان اكثر مصالح العالم لا تتم الا بالحديد ويظهر ايضا ان  
الذهب لا يقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح فلو لم يوجد الذهب في  
الدنيا ما كان يختل شيء من مصالح الدنيا ولو لم يوجد الحديد لاختل جميع مصالح  
الدنيا ثم ان الحديد لما كانت الحاجة اليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير  
الوجود والذهب لما قلت الحاجة اليه جعله عزيز الوجود وعند هذا يظهر أثر

جود الله تعالى ورحمته على عباده فان كل ما كانت حاجتهم اليه اكثر جعل وجدانه  
 أسهل وكلما كان وجدانه أيسر كانت الحاجة اليه أقل \* وقال تعالى في سورة  
 الملك ( هو الذي جعل لكم الارض ذلولا ) أي سهلة يسهل عليكم السلوك  
 فيها ولا يمتنع المشي فيها لحزونها وغلظها لينة قابلة للانقياد لما تريدون منها  
 من زرع الحبوب وغرس الاشجار وحفر الآبار وشق العيون والانهار وبناء  
 الابنية وغير ذلك ولو كانت حجرية صلبة لتعذر ذلك ولو جعلها صخرية  
 خشنة تعسر المشي عليها وأيضا لو كانت حجرية أو مثل الذهب أو الحديد  
 لكانت تسخن جدا في الصيف وكانت تبرد جدا في الشتاء فلا يستطيع المشي  
 عليها أيضا ولكانت الزراعة فيها ممتنة والغراسة فيها متعذرة ولما كانت كفاتا  
 للاحياء والاموات وذكر الامام نجر الدين في معني جعلها ذلولا انه تعالى  
 سخرها لنا بان أمسكها في جو الهواء قال ولو كانت متحركة على الاستقامة  
 أو على الاستدارة لم تكن منقادة لنا ( فامشوا في مناكبها ) الفاء لترتيب  
 الامر على الجمل المذكور أي فاسلكوا في جوانبها أو جبالها وهو مثل  
 لفرط التذليل فان منكب البعير أرق أعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب  
 بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها  
 شيء لم يتذلل ( وكلوا من رزقه ) والتمسوا من نعم الله تعالى ( واليه النشور )  
 أي المرجع بعد البعث لا الي غيره فبالنحو في شكر نعمه وآلآئه \* وقال تعالى في  
 سورة نوح ( والله جعل لكم الارض بساطا ) تتقلبون عليها تقابكم على بسطكم  
 في بيوتكم ( لتسلكوا منها سبلا فجاجا ) أي طرقا واسعة لتتوصلوا الى البلاد  
 الشاسعة برا وبحرا فيعم الانتفاع بجميع البقاع وقيل الفجج هو المسلك بين  
 الجبلين \* وقال تعالى في سورة المرسلات ( ألم نجعل الارض كفاتا ) الكفات  
 اسم ما يكفت أي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع

لما يضم ويجمع أي ألم نجعلها كفاتا تكفت (أحياء) كثيرة على ظهرها (وأمواتا)  
 غير محصورة في بطنها والمعنى ان الاحياء يسكنون في منازلهم والاموات  
 يسكنون في قبورهم ولهذا كانوا يسمون الارض أما لانها في ضمها للناس كالام  
 التي تضم ولدها وتكفله ولما كانوا يضمون اليها جعلت كأنها تضمهم وقيل  
 الكفات جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الارض  
 باعتبار بقاعها وقوله احياء وامواتا راجع الي الارض أيضاً أي الارض منقسمة  
 الي حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي لا ينبت (وجعلنا فيها رواسي  
 شاخات) أي جبالا ثوابت طوالا شواحق (واسقينكم ماء فراتا) بان خلقنا  
 فيها انهارا وينابيع (ويل يومئذ) أي يوم القيامة (للكذابين) بامثال هذه  
 النعم المظيمة \* وقال تعالى في سورة النبأ (ألم نجعل الارض مهادا) المهاد البساط  
 والفراش وهو مصدر والمراد منه هنا الممهود أو المبالغة كزيد جود أو بمعنى  
 ذات مهاد (والجبال أونادا) أي تثبت بها الارض كما تثبت الخيام بالاو تاد  
 حتي لا تميد باهلها فيكمل كون الارض مهادا بسبب ذلك \* وقال تعالى في  
 سورة النازعات (والارض بعد ذلك) أي بعد ان بنى السماء (دحاها) أي  
 بسطها بسطا مهياً لنبات الاقوات ومهدا لسكنى اهلها وتقلبهم في أقطارها  
 وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو  
 (أخرج منها ماءها) بان فجر منها عيوناً وأجرى انهارا (ومرعاها) أي رعيها  
 بالكسر بمعنى الكلاً والمراد هنا ما ترعاه النعم من الشجر والعشب وما  
 يأكله الناس من الاقوات والثمار واطلاق المرعى على ما يأكله الناس  
 استعارة (والجبال ارساها) أي اثبتها وأثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا  
 تحقيق للحق وتنبية علي ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل  
 بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسانه عز وجل

ولولاه لما ثبتت في أنفسها فضلا عن اثباتها للارض ( متاعا ) مفعول له لمقدر  
 اى فعل ذلك تمتيعاً أو مصدر لعامل مقدر اى متعمكم بذلك متاعا ( لكم  
 ولا نعماكم ) جمع نعم وهى الابل والبقر والنعم \* وقال تعالى في سورة الفاشية  
 ( أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال )  
 الشامخة التى ينزلون فى اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها ( كيف نصبت )  
 نصبا رصينا ثابتا فهى راسخة لا تميل ولا تميد ولا تزول ( والى الارض ) التى  
 يضربون فيها ويتقلبون عليها ( كيف سطحت ) سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية  
 وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق \* وقال تعالى فى سورة  
 الشمس ( والارض وما طحاها ) اى ومن بسطها من كل جانب كى يمش أهلها  
 قال الليث الطحو كالدحو وهو البسط وإبدال الطاء من الدال جائز والمعنى  
 وسما نساله سبحانه وتعالى ان يوسع علينا نعمه وان يبسط علينا جوده وكرمه  
 والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وجميع النبيين  
 والمرسلين ومن اقتدى بهداهم . من المؤمنين آمين

الى هنا انتهى الجزء الثانى من كتاب الدليل الصادق

على وجود الخالق . وبطلان مذهب الفلاسفة

ومنكرى الخوارق . ويليه الجزء الثالث

أوله المقصد الرابع فى ما وراء

الطبيعة







صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
يبسها	يبثها	١١	٢٨٦	الاجزاء	جزاء	١١	٢٦٠
المهمة	المهة	١٥	٣٠٦	بينها	بينهما	٢١	٢٦٠
يتمازجان	يتمايزجان	١٣	٣٢٢	وتخفرز	وتخفرزا	١	٢٦٥
أتم	أتم	١٤	٣٢٩	ارتباط	آبار	٣	٢٦٦
أثقال على أثقال	على أثقال	٣	٣٣٠	ذروا	ذورا	١٩	٢٦٩
لا ينقص	لا ينقض	١٦	٣٣٠	فيسطه	فيسطة	٣	٢٧١
بجميع	بجمع	١٨	٢٣٥	وكيفا	وكيف	٤	٢٧٩
شأنها	شأنها	٤	٣٣٥	وأيضاً حينئذ	وأيضاً حينئذ	١٢	٢٨١

